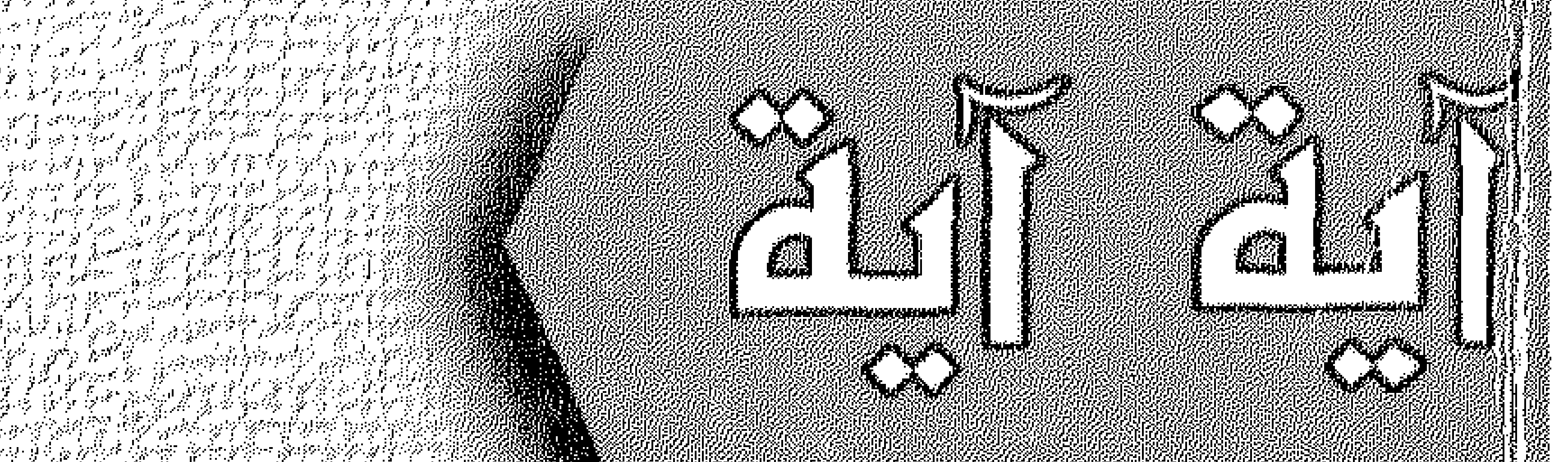
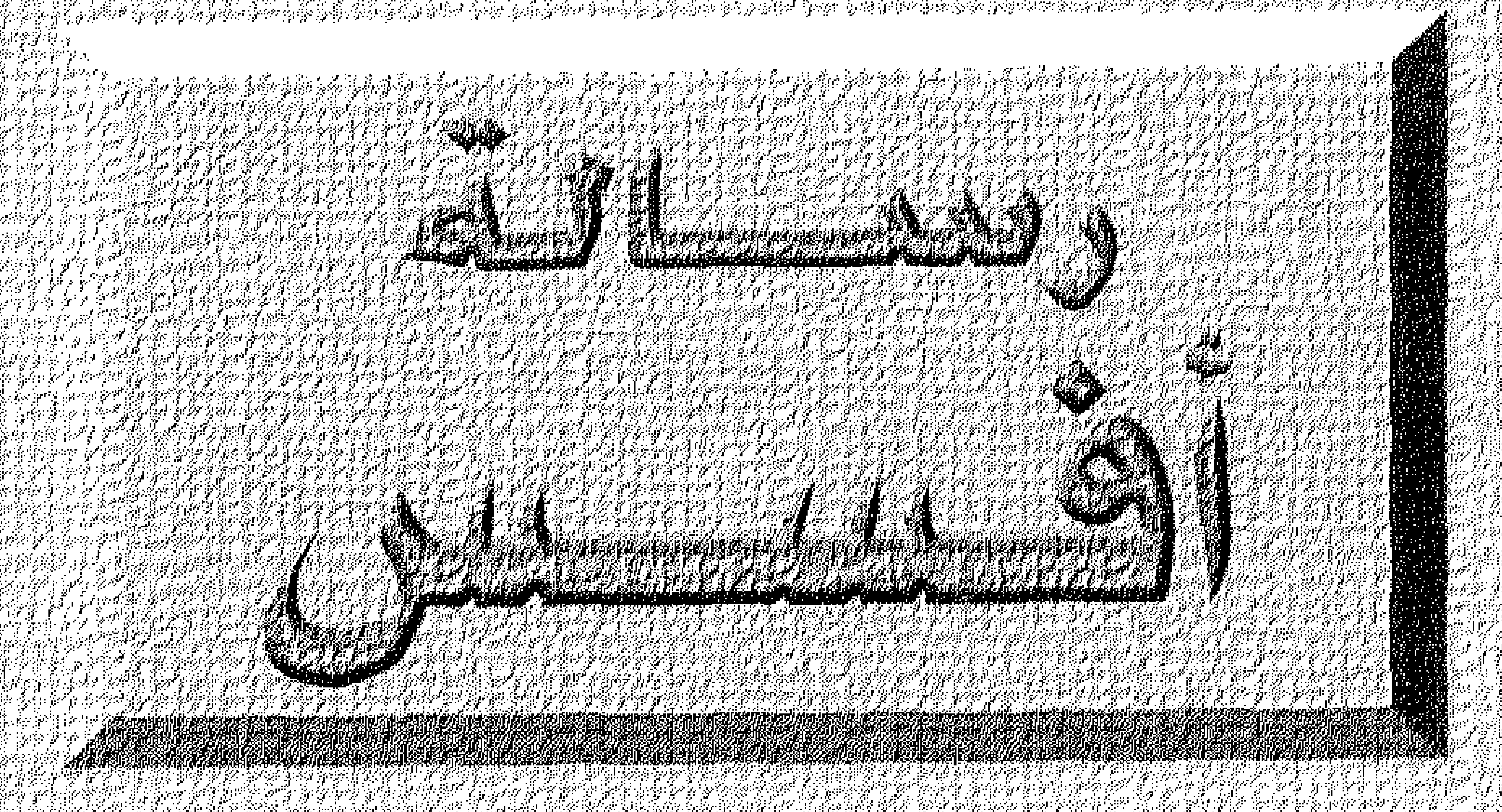
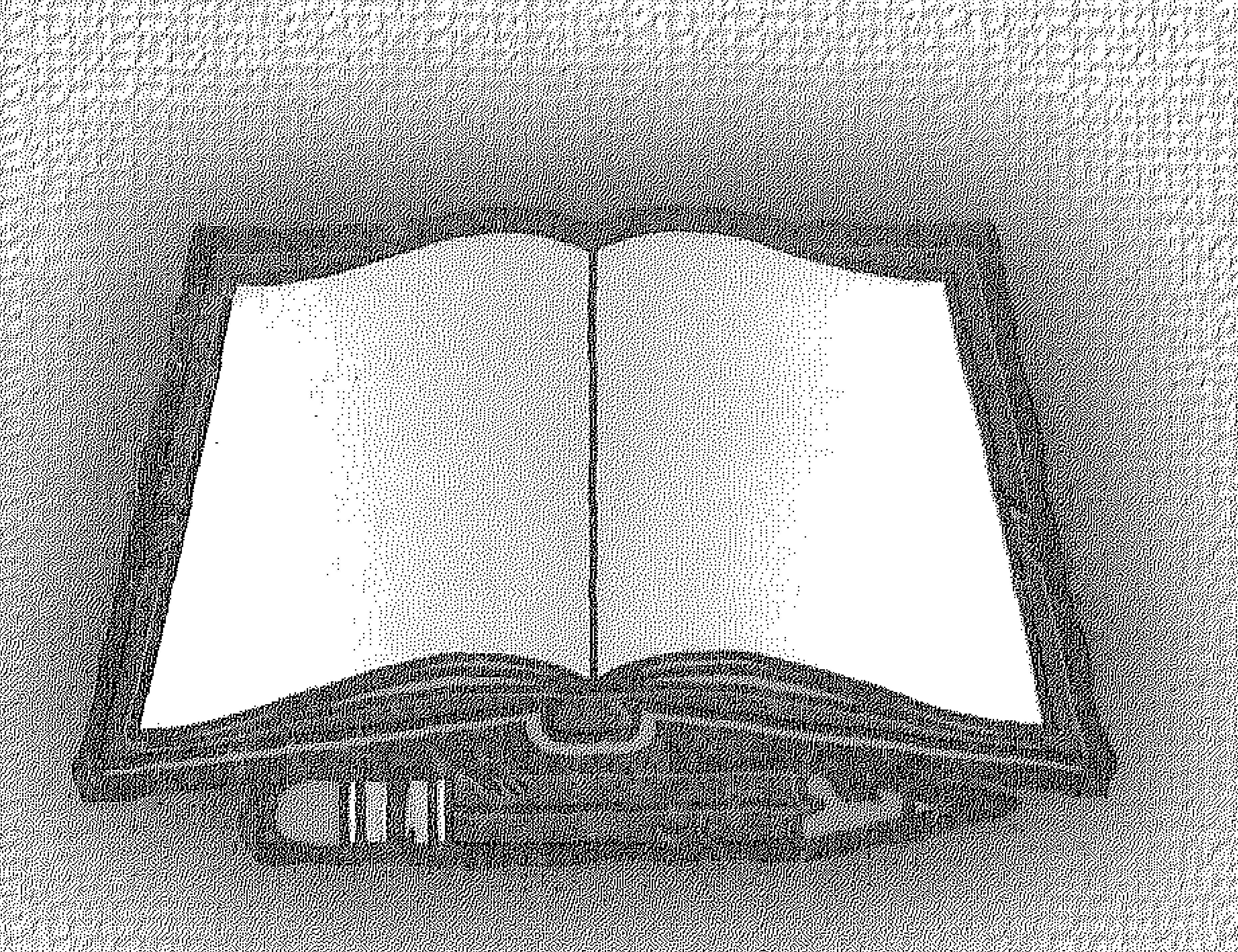






متى بهنام

تأملات فى
رسالة بولس الرسول

إلى القديسين في أفسس

مفصلة آية آية

بقلم

متى بهنام

طبعة ثالثة
١٩٩٧

اسم الكتاب : تأملات فى رسالة بولس الرسول إلى القديسين فى أفسس

المؤلـــف : متى بهنام

الناشـــر : مكتبة كنيسة الإخوة - ٣ شارع أنجه هانم - شبرا مصر - القاهرة

ويطلب من المكتبات الفرعية الأخرى والمكتبات المسيحية.

المطبعـــة : طبع بمطبعة كنيسة الإخوة بأسيوط.

طبعة ثالثة : ١٩٩٧

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٧/١٣٦٢٢

الترقيـــم الدولـــى : ٤ - ٥٢ - ٠٦٠ - ٥ - ٩٧٧

تمهيد

مدينة أفسس :

كانت هذه المدينة واقعة على الساحل الغربى لآسيا الصغرى، وكانت عاصمة ذلك الجزء من القارة الآسيوية، وقد اشتهرت بعظمتها من النواحى الدينية والسياسية والتجارية.

وكان معظم سكان أفسس من أصل يونانى كما كان بينهم عدد كبير من اليهود المشتغلين بالتجارة (أع ١٨:١٩ ـ ٢٤ ، ١:١٩ و ١٧ و ٣٤).

وكان فى تلك المدينة هيكل إلهة اليونانيين والرومانيين الكاذبة التى كانت تدعى عند الرومانيين «ديانا» وعند اليونانيين «أرطاميس» (أع ٢٣:١٩ ـ ٣٦). وكان ذلك الهيكل معتبراً وقتئذ أحد عجائب الدنيا السبع [(١)].

ويبدو كأن الروح القدس قصد عن طريق ذلك الهيكل الفخم أن يقود المؤمنين إلى معرفة الحق السامى الخاص بالهيكل الروحى، أعنى «بيت الله» الذى هو كنيسة الله أى جميع المؤمنين الحقيقيين المبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية «الذى فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً فى الرب. الذى فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله فى الروح» (أف ١٩:٢ ـ ٢٢). لقد هدم هيكل الإلهة ديانا ـ هدمه الغوطيون سنة ٢٦٢ ميلادية، أما

---

(١) كان ذلك الهيكل مبنياً من أنقى أنواع الرخام وطوله ٤٢٥ قدماً وعرضه ٢٢٠ قدماً، وكان سقفه قائماً على ١٢٧ عموداً من الرخام النقى، وارتفاع كل عمود أكثر من ٦٠ قدماً، وقد استغرق بناء ذلك الهيكل أكثر من مائتى سنة.

الكنيسة بيت الله فإن أبواب الجحيم لن تقوى عليها.

لقد كانت أفسس وقتئذ أعظم مركز للعبادة الوثنية الكاذبة والتى كثرت معها أعمال السحر والشعوذة (أع ١٩:١٩) كما اعتقد الجميع فى آسيا أن تمثال هذه الإلهة قد هبط من السماء (أع ١٩:٣٥).

وقد كان فى مدينة أفسس مجمع لليهود ولكن ذلك المجمع بممارساته الناموسية المتنوعة لم يستطع أن يبدد ظلمات الوثنية التى كان الأفسسيون بل وجميع سكان آسيا غارقين فيها. ولكن شكراً لله فإن شيئاً عجيباً حدث هنالك، ذلك أن إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذى هو قوة الله للخلاص قد كُرِزَ به فى أفسس بل وسمعه جميع سكان آسيا فحطَّم عظمة تلك الإلهة الكاذبة فلم تقم لها قائمة بعد ذلك. لقد استطاع الإنجيل أن يعمل ما كان يخشاه ديمتريوس زعيم الصناع من أن يحسب هيكل أرطاميس الإلهة العظيمة لا شئ ومن أن تهدم عظمتها، هذه التى يعبدها جميع آسيا والمسكونة (أع ١٩:٢٧).

الكرازة بالإنجيل فى أفسس :

لسنا نعلم بالتحقيق كيف ومتى كُرز بالإنجيل فى أفسس، ولكننا نعلم أنه لما حل الروح القدس على المؤمنين الذين كانوا مجتمعين فى يوم الخمسين، كان بين الرجال اليهود الأتقياء الساكنين فى أورشليم من كل أمة تحت السماء بعض رجال من آسيا (التى كانت أفسس عاصمتها) (أع ٢:٩). هؤلاء سمعوا بشارة الإنجيل وتابوا وآمنوا بالمسيح.

كذلك واضح أن الرسول زار مدينة أفسس لأول مرة وهو فى طريقه من كورنثوس إلى سوريا عند عودته من أوروبا، من سفرته التبشيرية الثانية [١]، وأنه دخل المجمع وحاج اليهود ولكنه لم يمكث طويلاً بل ترك أكيلا وبريسكلا هناك (أع ١٨:١٩ و ٢٠).

(١) غالباً فى سنة ٥٤ ميلادية.

ثم واضح أيضاً أن الرب استخدم هنالك أبلوس الاسكندرى، الذى أتى إلى أفسس، وكان رجلاً فصيحاً ومقتدراً فى الكتب وخبيراً فى طريق الرب، وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفاً بمعمودية يوحنا فقط، ولكن إذ سمعه أكيلا وبريسكلا أخذاه وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق (أع ١٨: ٢٤ ـ ٢٦).

وواضح بكل يقين أن الرسول العظيم بولس عاد إلى أفسس مرة أخرى، وأن مدة السنوات الثلاث التى قضاها فى أفسس كارزاً ومعلماً «ليلاً ونهاراً» أتت بأبرك الثمرات فى خلاص نفوس كثيرة وفى تعليم المؤمنين «جهراً وفى كل بيت» (أع ١٩: ١ ـ ٢٠ ، ٢٠: ٢٠ ـ ٣١).

عندما وصل بولس إلى أفسس وجد اثنى عشر تلميذاً. هؤلاء كانوا قد اعتمدوا بمعمودية يوحنا المعمدان فقط، ولكنهم فى الوقت نفسه كانوا يجهلون حق الإنجيل الكامل الخاص بحضور الروح القدس وعمله فى المؤمنين، والرسول بولس فى حديثه إليهم أدرك ذلك، لذا وجه إليهم سؤالين :

السؤال الأول: «هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟» (أع ١٩: ٢) لقد ميّز الرسول أن إيمانهم لم يكن مؤسساً على عمل الفادى الذى مات على الصليب والذى قام من بين الأموات. إنهم لم يدركوا تعليم الإنجيل الكامل ولم يعرفوا أن الروح القدس أتى لكى يسكن فى المؤمن فى اللحظة التى فيها يقبل الرب يسوع مخلصاً، لذا أجابوا قائلين : «ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس». إن الحق الإلهى الصريح هو أن سكنى الروح القدس فى قلب الإنسان هى البرهان الوحيد على أنه مسيحى حقيقى «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له (أى ليس للمسيح)» (رو ٨: ٩) وهل كان ممكناً أن تُبنى الكنيسة فى أفسس على أساس معمودية يوحنا؟ لذا وجه الرسول إليهم

سؤاله الثانى : «فقال لهم فبماذا اعتمدتم؟» فأجابوه «بمعمودية يوحنا» فالذى حدا بالرسول أن يسألهم عن المعمودية هو يقينه بأن مَن اعتمد بالمعمودية

المسيحية لا يمكن أن يجهل حقيقة الولادة الجديدة. لو كانوا اعتمدوا بالمعمودية باسم الرب يسوع لكانوا بلا ريب عرفوا عن الإنجيل وقوته المخلصة.

إن كل ما كان يدركه هؤلاء التلاميذ قد تعلموه من أبلوس الذى مع أنه كان رجلاً فصيحاً ومقتدراً فى الكتب وحاراً بالروح إلا أنه كان عارفاً معمودية يوحنا فقط. فلم يكن مدركاً لحقيقة الفداء الكامل بعمل ربنا يسوع المسيح فوق الصليب وقيامته من الأموات وصعوده إلى السماء. لقد علّم أبلوس بمعمودية التوبة التى تتطلع إلى الملك الآتى، أما المعمودية المسيحية فإنها تتطلع إلى الوراء حيث أكمل عمل الخلاص بذاك الذى وُلد من عذراء وعاش عيشة القداسة الفريدة والكاملة «القدوس» وتتطلع إلى موته الكفارى وإلى نصرة قيامته، وإلى صعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب. إن المعمودية المسيحية هى برهان اتحاد كل ابن حقيقى لله مع المسيح فى الموت والدفن والقيامة. وقد كانت نتيجة حديث الرسول بولس مع أولئك التلاميذ أنهم «لما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع» (أع ١٩:٥).

ثم إذا تتبعنا الرسول بولس فى خدمته فى أفسس نجده فى مجمع اليهود كان يجاهر مدة ثلاثة شهور «محاجاً ومقنعاً فى ما يختص بملكوت الله» (أع ١٩:٨) ولكن لما كان قوم من اليهود يتقسون ولا يقنعون شاتمين الطريق أمام الجمهور اعتزل عنهم وأفرز التلاميذ محاجاً كل يوم فى مدرسة إنسان اسمه تيرانس (ع ٩) لقد رفض بولس أن يبقى فى شركة مع من ينكرون سيده. «أية شركة للنور مع الظلمة. وأى اتفاق للمسيح مع بليعال». إن الأمر الإلهى الصريح «اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب» (٢كو ٦:١٤ ـ ١٨). إن كل خادم أمين للمسيح لا يتوانى عن الانفصال عمن ينكرون اسم سيده أو قيمة عمله الفدائى.

لقد كانت الكنيسة فى أفسس تجتمع فى تلك المدرسة، إذ ليست العبرة بمكان الاجتماع وبفخامة تشييده بل بأمانة المجتمعين باسم الرب وفى حضرته (مت ١٨:٢٠). لقد أراد الرب أن تسمع آسيا كلمة الإنجيل، ولمدة سنتين استمر بولس

كارزاً ومعلماً فى كل يوم «حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين فى آسيا من يهود ويونانيين» (أع ١٩:٩ و ١٠).

ولقد وضع الله ختم المصادقة على كرازة الرسول بولس بأنه «كان يصنع على يديه قوات غير المعتادة حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة منهم» (أع ١٩:١١ و ١٢).

كذلك كان عمل النعمة فى نفوس الذين آمنوا عملاً حقيقياً ومثمراً «.. وكان اسم الرب يسوع يتعظم. وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم. وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع. وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفاً من الفضة. وهكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة» (أع ١٩:١٧ ـ ٢٠).

مقاومات الكرازة فى أفسس :

مع أن الله قد بارك كثيراً كرازة وخدمة الرسول بولس فى أفسس وأيدها بالقوات «غير المعتادة» التى صنعها على يديه، إلا أنه لقى مقاومات عنيفة من الشيطان وأعوانه، فقد بدأت تلك المقاومات عندما كان قوم من اليهود قد تقسوا ولم يقنعوا بكرازته بل كانوا يشتمون الطريق أمام الجمهور كما سلفت الإشارة (أع ١٩:٩) وفيما كتبه الرسول نفسه فى بعض رسائله نرى كم لقى من المقاومات العنيفة، ففى ١كورنثوس ١٥:٣٢ يقول «كإنسان قد حاربت وحوشاً فى أفسس» مشيراً بذلك بدون شك إلى المقاومات الشديدة التى لقيها هناك ولا سيما من اليهود، ثم يقول أيضاً «ولكننى أمكث فى أفسس إلى يوم الخمسين لأنه قد انفتح لى باب عظيم فعّال ويوجد معاندون كثيرون» (١كو ١٦:٨ و ٩) ثم قوله بعد ذلك فى رسالته الثانية «فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التى أصابتنا فى آسيا أننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً» (٢كو ١:٨).

لقد كانت للشيطان أيضاً وسائله المتنوعة فى مقاومة عمل الله، فلم يكتف بالمقاومات القاسية التى أثارها على خادم الرب الأمين بولس وعلى خدمته، بل استعمل وسيلة أخرى وهى تقليد عمل الله بواسطة سبعة بنين لسكاوا رجل يهودى رئيس كهنة «فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين أن يسموا على الذين بهم الأرواح الشريرة باسم الرب يسوع قائلين نقسم عليك بيسوع الذى يكرز به بولس» لقد كان هؤلاء التعساء المجدفون يجهلون عاقبة استخدام الاسم القدوس المبارك ـ اسم ربنا يسوع فى سحرهم وعرافتهم، فالإنسان الذى كان فيه الروح الشرير وثب عليهم وغلبهم وقوى عليهم حتى خرجوا من ذلك البيت عراة ومجرحين حتى صار ذلك معلوماً عند الجميع «وكان اسم الرب يسوع يتعظم» (أع ١٩: ١٣ ـ ١٧) شكراً لله فإنه بالرغم من شدة وقسوة مقاومات العدو فإن كلمة الرب كانت «تنمو وتقوى بشدة» (أع ١٩: ٢٠) لأنه مهما اشتد هجوم الشيطان وأعوانه فإن كلمة الرب لا يمكن أن ترجع إليه فارغة.

لم تكن هذه كل المقاومات التى لقيها الرسول بولس فى أفسس، إذ واجه مقاومة أخرى شديدة وقاسية، فإن إنساناً اسمه ديمتريوس صائغ صانع هياكل فضة للإلهة أرطاميس، كان ذا نفوذ بين الصناع إذ كان يكسبهم مكسباً ليس بقليل، لذا جمعهم هم والفعلة فى مثل ذلك العمل وهيجهم ضد الرسول بولس قائلاً «أنتم تعلمون أن سعتنا إنما هى من هذه الصناعة. وأنتم تنظرون وتسمعون أنه ليس من أفسس فقط بل من جميع آسيا تقريباً استمال وأزاغ بولس هذا جمعاً كثيراً قائلاً إن التى تصنع بالأيادى ليست آلهة. فليس نصيبنا هذا وحده فى خطر من أن يحصل فى إهانة بل أيضاً هيكل أرطاميس الإلهة العظيمة أن يحسب لا شئ وأن سوف تُهدم عظمتها هى التى يعبدها جميع آسيا والمسكونة» (أع ١٩: ٢٤ ـ ٢٧). عندئذ غضبوا وطفقوا يصرخون قائلين عظيمة هى أرطاميس الأفسسيين حتى امتلأت المدينة كلها اضطراباً وخطفوا غايوس وارسترخس رفيقى بولس فى السفر (ع ٢٨ و ٢٩).

وجدير بالملاحظة أن اهتمام ديمتريوس الرئيس كان بالخسارة المادية التى تلحقه هو والصناع بسبب كرازة بولس فقد قال لهم «تعلمون أن سعتنا إنما هى من هذه الصناعة» (ع ٢٥) أما هدم عظمة الإلهة ديانا فكان أمراً ثانوياً بينما كان ربح المال أمراً رئيسياً.

وإن رجلاً يهودياً حكيماً اسمه اسكندر خاطب الجميع فاستطاع أن يسكّن هياجهم وأن يصرف المحفل (ع ٣٣ ـ ٤١).

وبعدما انتهى الشغب دعا بولس التلاميذ وودعهم وخرج ليذهب إلى مكدونية [١] (أع ٢٠:١) ولكن خدمته فى أفسس لم تنته عند هذا الحد، فإنه إذ كان بعد ذلك بوقت قصير فى ميليتس القريبة من أفسس استدعى قسوس (أى شيوخ) تلك الكنيسة (أفسس) حيث خاطبهم خطابه الوداعى حاثاً إياهم بأنهم كأساقفة (أى نظار) يجب عليهم بأن يرعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه، لأن ذئاباً خاطفة ستدخل بينهم، وأن من بينهم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم، لذا يستودعهم لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيهم وتعطيهم ميراثاً مع جميع القديسين (أع ٢٠:١٧ ـ ٣٨).

وفى رسالته الأولى إلى تيموثاوس (١:٣ و ٤) يقول بولس بأنه طلب إلى تيموثاوس بأن يمكث فى أفسس لكى يوصى المؤمنين هنالك بأن لا يعلموا تعليماً آخر وأن لا يُصغوا إلى خرافات وأنساب لا حد لها.

ثمار خدمة الرسول فى أفسس :

يجدر بنا أن نشير بكل إيجاز إلى ثمار خدمة الرسول بولس فى أفسس أو بالحرى إلى نصرة الإنجيل ليس فى أفسس فقط بل وفى كل آسيا (آسيا الصغرى) «حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين فى آسيا من يهود ويونانيين» (أع

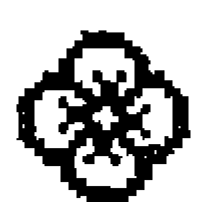
(١) غالباً فى سنة ٥٧ ميلادية.

١٩: ١٠). هؤلاء لم يسمعوا كلمة الله فقط بل أن كثيرين منهم قبلوها، الأمر الذى شهد به ديمتريوس الصائغ نفسه، فقد اعترف قائلاً «إنه ليس من أفسس فقط بل ومن جميع آسيا تقريباً استمال وأزاغ بولس هذا جمعاً كثيراً» (أع ١٩: ٢٦) ولقد تأسست بالفعل كنائس ليس فى أفسس فقط بل فى جهات أخرى فى آسيا. ولهذه الكنائس وجّه الرب وهو فى المجد خطاباته السبعة أى التى «إلى الكنائس السبع التى فى آسيا» (رؤ ١: ١١ وأصحاح ٢ ، ٣).

ما وصلت إليه الحالة فى أفسس :

فى رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس يكتب هذا الخبر المحزن «أنت تعلم أن جميع الذين فى آسيا (وأفسس ضمناً) ارتدوا عنى (أى تركوا الرسول عند القبض عليه فى المرة الأخيرة)» (٢تى ١: ١٥) ولا ريب أيضاً أن كثيرين تحولوا عن الحق الذى علمهم بولس إياه، فكأنه قد تحقق ما أنذر الرسول بولس به شيوخ تلك الكنيسة (أع ٢٠: ٢٩ و ٣٠) ولكن بالرغم من ذلك يذكر الرسول فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس ٤: ١٢ بأنه أرسل إليهم تيخيكس، وذلك لفرط عناية الرسول واهتمامه بهم.

وفى خطاب الرب نفسه لتلك الكنيسة (رؤ ٢) يمتدحهم كثيراً إلا أنه يتهمهم إتهاماً خطيراً بأنهم تركوا محبتهم الأولى وينذرهم بأنه سيزحزح منارتهم من مكانها إن لم يتوبوا. وهذا ما صار فعلاً. إذ أين هى كنيسة أفسس الآن؟



مقدمة الرسالة

كتب الرسول بولس هذه الرسالة ورسائله إلى كولوسي وفيلبي وفليمون أثناء سجنه الأول في رومية، ومع أننا لسنا نعلم علم اليقين وبالتحديد تاريخ كتابة هذه الرسالة، إلا أنها كُتبت على الأرجح ما بين سنة ٦٠ و ٦٤ ميلادية [١].

لقد كتب الرسول هذه الرسالة ورسائله الأخرى سالفة الذكر وهو «أسير في سلاسل» في سجن رومية، فكأن الرب قد سمح للسلطة الرومانية الغاشمة بأن تلقي عبده وخادمه الأمين في ذلك السجن لكي يعطيه هذه الفرصة الذهبية الثمينة التي فيها يكتب هذه الرسائل القيمة ولا سيما هذه الرسالة الغنية بالحقائق الإلهية. وهذا يفسر لنا قول المرنم في أحد المزامير «لأن غضب الإنسان يحمدك. بقية الغضب تتنطق بها» (مز ٧٦: ١٠) لقد استخدم الله غضب الإنسان الذي قذف برسوله إلى السجن ليؤول إلى حمده ومجده. ولقد تنطق ببقية ذلك الغضب إذ منح عبده وخادمه الأمين نعمة خاصة في كتابة هذه الرسالة.

إن هذه الرسالة هي بحق أسمى كتابات الرسول بولس، وإننا إذ نتصفحها كأننا نقف على رابية مرتفعة ومقدسة. ليس معنى ذلك أننا نقلل من قيمة أو أهمية بقية الرسائل أو الأسفار الإلهية الأخرى، لأن «كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر» (٢تى ٣:١٦) ولكن من الذي يستطيع أن ينكر أن الروح القدس، في هذه الرسالة، أماط اللثام عن أسرار ومقاصد ومشورات إلهية لم تكن معروفة من قبل ولم تعلن بوضوح وبكل تفصيل

---

(١) يظن بعض المفسرين أن هذه الرسالة كتبت سنة ٦٢ ميلادية.

فى الرسائل الأخرى، كما أنها لم تعلن قط فى أسفار العهد القديم؟ (أف ٣: ٥ و ٩).

إن موضوع هذه الرسالة ليس هو ما يحتاج إليه الإنسان كخاطئ وعلاج الله لهذه الحالة الذى نجده فى الرسالة إلى أهل رومية، كما أن موضوعها يختلف اختلافاً كلياً عن موضوع الرسالة إلى أهل غلاطية التى فيها يقاوم الرسول بكل شدة خطأ الرجوع إلى الناموس، سواء من الناحية الفرائضية أو الوصايا والمبادئ الأدبية، كما ينبر فيها على النعمة التى فى المسيح المصلوب والمُقام من الأموات وإلى الوعد الذى أعطى قبل الناموس وأُكمل فى المسيح دون سواه، وبذا تجرى البركة إلى الأمم ويُقبَل الروح القدس بالإيمان. وتختلف كذلك عن الرسالة إلى أهل فيلبى التى فيها يُرى المسيحى الحقيقى كسائح يركض ويسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع، كما أن الرسالة إلى أهل كولوسى لا تصل بالمؤمنين إلى السمو الذى فى رسالة أفسس، فإن المؤمن يُرى فى رسالة كولوسى كمن مات مع المسيح وقام أيضاً معه ولكنه لا يُرى فيها كمن أجلس فى السماويات فى المسيح يسوع، الحق الذى نراه فى رسالة أفسس دون بقية الرسائل.

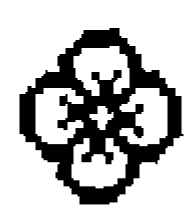
ويبدو أن حالة المؤمنين الروحية والأدبية فى أفسس وقت كتابة الرسالة كانت سامية، وأنه لم يكن هناك ما يعيق أو يعطل الروح القدس من أن يقدم لهم وبالتالى لكنيسة الله فى كل الأجيال الإعلانات الإلهية السامية التى فى هذه الرسالة. لقد كان هناك توافق وتجاوب بين حالة الكنيسة فى أفسس وبين الحقائق الإلهية الفريدة التى فى هذه الرسالة التى كتبت إليهم ونحن بدورنا لا نستطيع أن ندرك سمو الحقائق الإلهية ونتمتع بها اختبارياً إلا إذا سمت حالتنا الروحية. ليعطنا الرب بنعمته أن نكون كذلك.

***

أقسام الرسالة

تنقسم هذه الرسالة إلى قسمين رئيسيين، فالثلاثة الأصحاحات الأولى هى القسم التعليمى، والثلاثة الأصحاحات الأخيرة هى القسم العملى. فى القسم الأول يبين الروح القدس غنى نعمة الله، وفى القسم الثانى يقدم التحريضات العملية لمن قبلوا هذه النعمة. أعنى المقام أولاً ثم المسئولية، أو الامتيازات ثم الالتزامات أو بالأحرى المقام السماوى من ناحية، ثم السلوك الذى يوافقه ونحن هنا على الأرض من الناحية الأخرى. وهذا هو الترتيب الإلهى فى كل كلمة الله.

ليتنا لا نفرح فقط بما أجزلته لنا نعمة الله بل لنسلك كما يحق لغنى هذه النعمة.



الأصحاح الأول

غنى عن البيان أن موضوع هذه الرسالة هو «المسيح والكنيسة» والعلاقة الوثيقة والأبدية التى بينهما. وهذه العلاقة يرسمها لنا الروح فى هذه الرسالة فى صور متنوعة.

ففى الأصحاح الأول يقدم لنا الروح القدس العلاقة التى بين المسيح والكنيسة مرسومة فى صورة «جسد» وربنا يسوع المسيح له المجد هو رأس هذا الجسد، والكنيسة التى هى جميع المؤمنين أو بعبارة أوضح جميع المسيحيين الحقيقيين المولودين من الله فى عهد النعمة هذا، (أى العهد الجديد) هذه الكنيسة هى جسد المسيح، والمؤمنون أفراداً هم أعضاء هذا الجسد.

وبما أن رأس هذا الجسد قد أكمل عمل الفداء بموته ثم أقيم من الأموات بمجد الآب، وقد أجلسه الآب عن يمينه فى السماويات (ص١:٢٠).

وبما أنه لا يمكن أن يكون الرأس منفصلاً عن الجسد تُرى الكنيسة التى هى جسده جالسة فى السماويات فيه (ص ٢:٦).

بالروح مقرونون برأسنا القدير

وهاتان الكلمتان «فى السماويات» تردان فى هذه الرسالة خمس مرات (ص ١:٣ و ٢٠ ، ٢:٦ ، ٣:١٠ ، ٦:١٢).

وجدير بالإشارة، فى هذه المناسبة، إلى أن فى هذه الرسالة عبارتان تعتبران بمثابة مفتاحين لهذه الرسالة وهما :

أولا : «فيه» أى «فى المسيح» فَوإن كانت هذه الرسالة تنبِّر كثيراً على مقام

الكنيسة وبركاتها الروحية إلا أنها كلها «فى المسيح» فكل من ليس «فى المسيح» ليس له نصيب أو تمتع بأية «بركة روحية». إننا بدون المسيح لا نستطيع أن نعرف الله ولا أن نصل إليه ونتمتع به وبغنى البركات التى للذين هم فى المسيح يسوع دون سواه.

والعبارة الثانية : هى «فى السماويات» والكنيسة كما سلفت الإشارة تُرى فى هذه الرسالة جالسة فى السماويات فى المسيح يسوع. ولكن بينما تُرى الكنيسة فى هذا السمو العجيب، فإن الروح القدس يُنبِّر فى هذه الرسالة كثيراً على أهمية سلوك المؤمنين على الأرض. إنها تشير إلى ما يجب أن يكون سلوكنا عليه وكذلك ما لا يجب أن نسلك فيه سبع مرات (٢:١ و ١٠ ، ٤:١ و ١٧ ، ٥:٢ ، ٨ و ١٥). وهذا معناه أنه إن كنا شعباً سماوياً فيجب أن يكون سلوكنا متوافقاً مع مقامنا ـ أن يكون سلوكنا سماوياً. ومَن هو كفؤ للوجود فى حالة عملية كهذه؟ إننا نشكر الله على وسائله الإلهية التى أعدها لنا ووهبنا إياها والتى تقدّرنا على السلوك الموافق لدعوتنا السماوية، لذا يُشار فى هذه الرسالة إلى الروح القدس نحو ثلاث عشرة مرة، ولا شك أن الروح القدس هو الذى يمنحنا القوة والنعمة للسلوك، ونحن هنا على الأرض، سلوكاً سماوياً، لذا يرد ذكر النعمة فى هذه الرسالة اثنتى عشرة مرة.

***

«بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله إلى القديسين الذين فى أفسس والمؤمنين فى المسيح يسوع» (ع١)

يفتتح الروح القدس هذه الرسالة بذكر اسم كاتبها وخدمته، فبولس هو كاتب هذه الرسالة، وهو الإناء المختار من الله ليكون رسول يسوع المسيح إلى الأمم (غل ٢:٧ ـ ٩). لقد أُفرز من بطن أمه لهذه الخدمة، وتتميز خدمته الرسولية بأنه قبلها

من الرب يسوع وهو فى المجد، أعنى بعد ارتفاعه إلى السماء وجلوسه عن يمين أبيه (أع ٩:١٥ ، غل ١:١٢ و ١٥).

وقد كان اختياره لهذه الخدمة المباركة «**بمشيئة الله**» وهنا نرى نبع ومصدر هذه الخدمة التى كانت لبركة وغبطة المؤمنين فى كل الأجيال. فقد كانت مشيئة الله أن هذا الذى كان قبلاً مجدفاً ومضطهداً لكنيسة الله أو بالحرى للرب يسوع يصير الإناء المختار ليحمل اسم الرب أمام أمم وملوك وبنى إسرائيل (أع ٩:١٥) وليس ذلك فقط بل ليقدم لكنيسة المسيح أسمى الإعلانات الإلهية التى تتضمنها رسائله ولا سيما هذه الرسالة.

إن كان بولس رسولاً «بمشيئة الله» فإنه لزاماً على كنيسة الله أن تصغى بكل انتباه إلى الحقائق الإلهية التى أُعطىَ له أن يقدمها لها.

ويُشار إلى «مشيئة الله» فى هذا الأصحاح أربع مرات (ع ١ و ٥ و ٩ و ١١) ياله من تنازل من إلهنا الطيب أن يعلن لنا مشيئته الصالحة، ويا لها من بركة لنفوسنا أن نعرف هذه المشيئة وأن نختبرها ونتمتع بها.

وبعد أن يذكر الروح القدس اسم كاتب الرسالة وخدمته يشير إلى الذين كُتبت هذه الرسالة إليهم، «**إلى القديسين الذين فى أفسس**» فمع أن الرسالة موجهة إلى الكنيسة باعتبارها «جسد المسيح» إلا أن الروح القدس يخاطب المؤمنين فيها كأفراد «إلى القديسين» فإنه من الأهمية بمكان أن يعرف كل واحد فى كنيسة الله أن الروح القدس يخاطبه فيها شخصياً، وأن يستوعب ما يقدمه له هذه الحقائق، سواء التعليمية أو العملية، وأن يدركها ويشبع بها ويسير عملياً بموجبها.

«إلى القديسين» إن المعنى الأصلى لكلمة «قديس» هو مفرز لله أو مخصص له. ليس معنى ذلك أن المؤمنين صاروا قديسين بسبب قداسة تميزوا بها عن سواهم، فليسوا هم الذين بسبب قداستهم أو تقواهم صيّروا أنفسهم أو صيرهم الناس قديسين، ولكن الرب يسوع المسيح، على أساس ذبيحته الكاملة، قد صيّرهم

قديسين (عب ١:١٠ ، ١٣ : ١٢). حسناً كتب أحد خدام الرب الموهوبين [١] تعليقاً على كلمة «القديسين» في هذا الفصل «إننا لا نصبح قديسين بسبب قداستنا بل يجيب أن نحيا حياة القداسة لأننا قديسون».

«والمؤمنين في المسيح يسوع» إن كلمة المؤمنين هنا (كما في مستهل الرسالة إلى أهل كولوسي) تجئ في معظم الترجمات الأخرى، بمعنى الأمناء [٢] والمقصود هو أن الرسالة ليست موجهة إلى مجرد معترفين بإيمانهم بالرب يسوع، ولكن إلى أناس بالرغم من المقاومات التي واجهتهم (كما واجهت الرسول نفسه إذ كان وقتئذ أسيراً في رومية) فإنهم بنعمة الله أمسكوا بأمانة بإيمانهم الذي قبلوه. إنهم مؤمنون حقيقيون وأمناء للرب يسوع المسيح.

إلى « .. المؤمنين في المسيح يسوع» إن من له إيمان في المسيح يسوع يجب أن يكون أميناً له أيضاً.

«نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح» (ع ٢)

يحيي الرسول المؤمنين في أفسس، كما هي عادته في رسائله الأخرى، بهذه التحية الطيبة متمنياً لهم الامتلاء بالنعمة والسلام والتمتع بهما. إنها أمنية مزدوجة «نعمة وسلام» من «الله أبينا والرب يسوع المسيح» فالله أبونا هو «إله كل نعمة» (١بط ٥ : ١٠) وهو أيضاً «إله السلام» (عب ١٣ : ٢) وكذلك الرب يسوع المسيح، فهو الذي أتانا «مملوءاً نعمة وحقاً .. ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة» (يو ١ : ١٤ ـ ١٧ . انظر أيضاً ٢كو ٨ : ٩) وهو له المجد «رب السلام» الذي قال «سلاماً أترك لكم، سلامي أعطيكم ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو ١٤ : ٢٧).

---

(١) الدكتور أيرنسيد Dr. H.A. Ironside

(٢) The faithful

إن الآب هو وابنه الحبيب يسوع المسيح هما نبع ومصدر كل نعمة وكل سلام.

ثم لنلاحظ الارتباط الوثيق بين النعمة والسلام، فالله لا يهب سلاماً إلا على أساس نعمته، ولا يمكن لأى إنسان أن يتمتع بالنعمة ما لم يكن قد حصل أولاً على «سلام مع الله». ليتنا لا نعرف فقط أن لنا نعمة وسلاماً بل أن نتمتع بهما أيضاً.

«مباركٌ الله ابو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح» (ع ٣)

لقد ارتسمت أمام الرسول مقاصد ومشورات الله ونعمته من نحو الكنيسة والأسرار المجيدة التى لم تكن معروفة من قبل والتى أعطى له أن يُعلنها للقديسين، فلم يستطع إلا أن يبدأ رسالته بهذه التسبحة الشجية «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح» فمتى أدرك المؤمن مقامه السماوى وبركاته الروحية التى فى المسيح، لا يمكن إلا أن تتفجر من قلبه وعواطفه تسابيح السجود والتعبد، أما المسيحى الذى يجهل مقامه ومركزه وامتيازاته والبركات الروحية التى له فى المسيح فإنه لا يستطيع أن يتقدم أمام الله أبيه كساجد حقيقى لا يستطيع أن يرنم ويسبح ويبارك الله.

وقد أشار أحد خدام الرب إلى هذه التسبحة فقال «إن هذا الفصل (ع ٣ - ١٤) هو بمثابة أنشودة أو تسبحة مكونة من ثلاثة أجزاء : الجزء الأول يشير إلى الماضى البعيد، إلى الأزل، وموضوعه الله الآب وينتهى بهذه الكلمات «لمدح مجد نعمته» (ع ٣ - ٦). والجزء الثانى يشير إلى الزمان الحاضر وموضوعه الله الابن وينتهى بهذه الكلمات «لمدح مجده» (ع ٧ - ١٢). والجزء الثالث يشير إلى المستقبل وموضوعه الله الروح القدس ويختتم بالقول «لمدح مجده» (ع ١٣ و ١٤). وأن هذه الأجزاء الثلاثة يربطها معاً ربنا يسوع المسيح «فى المحبوب» (ع ٦)، «فى المسيح» (ع ١٢)، «فيه» (ع ١٤).

«مباركٌ الله» إننا نباركه، نتعبد له لأنه ، له المجد، قد «باركنا بكل بركة

روحية فى السماويات فى المسيح».

ثم لنلاحظ أن عبارة «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح» تجئ فى الأصل (كما فى معظم الترجمات) هكذا «مباركٌ إله [1] وأبو ربنا يسوع المسيح» وهذا يرينا الإنسان الوحيد الذى مجّد الله هنا على الأرض فى حياته وفى موته - الإنسان الذى بحسب فكره والذى وجد فيه كل سروره، فمن هذا الوجه كان الله إلهه (مز ١:٢٢ ، مت ٤٦:٢٧ ، مز ٧:٤٥ ، عب ٩:١) ولكنه فى الوقت نفسه هو ابن الله أيضاً. هو ابن الله من وجهين. إنه ابن الله الأزلى - هو الله «الكلمة» «وكان الكلمة الله» (يو ١:١). إن ربنا يسوع المسيح هو الابن الوحيد للآب منذ الأزل «الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب». هذا هو الحق الإلهى الواضح فى كل الكتاب المقدس (يو ١:١و ١٤ و ١٨، ١٦:٣ ، ٣:١٠ ، ٥:١٧ و ٢٤ ، ١يو ٢:١ ، عب ٨:١ وشهادات أخرى عديدة) كذلك هو ابن الله بتجسده وولادته من العذراء «فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى **ابن الله**» (لو ٣٥:١).

ولقد أوضح الرب له المجد هذه الحقيقة الثنائية، إذ كانت أول رسالة أرسلها لتلاميذه بعد قيامته من الأموات هى قوله لمريم المجدلية «اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم» (يو ١٧:٢٠) وعلى أساس موته وقيامته أدخلنا معه فى هذه العلاقة المزدوجة، والتى هو فيها متميز عنا بلا شك. إنه تبارك اسمه «البكر بين إخوة كثيرين».

إن إله وأبا ربنا يسوع المسيح قد «باركنا بكل بركة روحية فى السماويات». ما أسمى هذا الحق! إنها ليست بركة يريد الله أن يباركنا بها أو أن يمنحنا إياها مستقبلاً، ولكنه قد **باركنا** بها فعلاً. باركنا **بكل بركة روحية**، فهى ليست بركات أرضية كبركات العهد القديم. ليست بركات مادية أو جسدية ولكنها بركات

(1) "Blessed be the God and Father of our Lord Jesus Christ".

روحية. لقد باركنا «**بكل**» بركة روحية، فلا توجد لديه تعالى بركة إلا وقد أجزلها لنا، كما أنها ليست من الأرض ولكنها سماوية «**فى السماويات**» أى دائرتها «الأماكن السماوية». لقد كانت بركات إسرائيل أرضية، وقد فقدها بسبب عدم أمانته، ولكن بركات الكنيسة سماوية، والذى يكسبها جمالاً وجلالاً هى أنها «فى المسيح». إنها فى المسيح وللذين هم «فى المسيح».

جميل حقاً أن نعرف وندرك أننا قد بُوركنا بكل بركة روحية، ولكن السؤال المهم هو : هل نحن متمتعون فعلاً بكل هذه البركات الروحية السماوية؟ إن لنا ثروة لا يمكن أن تقدر بثمن ـ لنا غنى المسيح الذى لا يستقصى، ولكن هل نحن متمتعون عملياً بهذه الثروة وبهذا الغنى أم نحيا هنا كأننا فقراء؟ إن كانت امتيازاتنا وبركاتنا سماوية فيجب أن تكون حياتنا واختباراتنا سماوية أيضاً. ليت كل مسيحى حقيقى يضع يده على هذه الثروة الروحية المجيدة ويتمتع عملياً واختبارياً بكل بركة روحية فى السماويات.

«كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة» (ع ٤)

إن موضوع الاختيار هو من الحقائق الإلهية الواضحة كل الوضوح فى كلمة الله والمرتبطة بقصد الله الأزلى، وليس للإنسان أى دخل فيه لأنه سابق لخلق الإنسان بل «وقبل تأسيس العالم». لما لم يكن فى الأزل سوى الله، قصد تعالى «أن يأتى بأبناء كثيرين إلى المجد» ولكن كيف كان ذلك ممكناً بعد دخول الخطية إلى العالم ووجودها فيهم وعليهم؟ لقد كان ضرورياً أن الذين يقرّبهم الله إليه ويوجدهم فى أقرب مكان إلى قلبه، يكونون «قديسين وبلا لوم قدامه» وهذا ليس من عمل الإنسان بل هو عمل الله على أساس الفداء بدم ابنه الحبيب يسوع المسيح. لقد «أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أف ٥: ٢٥ ـ ٢٧) هذا هو مركز المسيحى

الحقيقى. إنه «فى المسيح» والله لم يكن ممكناً أن يراه كقديس وبلا لوم قدامه لولا أنه «فى المسيح». إنه تبارك اسمه، هو «القدوس» - هو الكامل الذى «بلا لوم» وهل يمكن أن يُرى المسيح له المجد أقل من ذلك؟ حاشا. والله يرى الخاطئ الأثيم الذى احتمى فى المسيح وفى كفاية عمله كما يرى المسيح نفسه. إن الله يرانا قديسين وبلا لوم قدامه «فى المحبة» أعنى محبة الله الآب والرب يسوع المسيح «الله محبة» وربنا يسوع المسيح هو «ابن محبته». هو «صورة الله غير المنظور - بهاء مجد الله ورسم جوهره» هو الإعلان الإلهى الكامل لمحبة الله - هو المحبة المتجسدة «الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر (أى أعلنه)» (يو ١:١٨).

والذى يسعد المؤمنين فى المجد ليس فقط صيرورتهم قديسين وبلا لوم، ولا وجودهم فى دوائر المجد الأبدى فحسب، بل بالحرى «المحبة» فمحبة الله الآب والرب يسوع المسيح ستكون موضوع غبطة وهناء القديسين هناك كما أنها موضوع بهجتهم هنا على الأرض.

إن كنا ونحن فى هذا العالم نُرى كقديسين وبلا لوم، فإن ذلك سيتحقق عملياً فى المجد، وسيُستعلن أمام الخلائق بأسرها عند ظهور ربنا يسوع «متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهَرون أنتم أيضاً معه فى المجد» (كو ٣:٤). هناك «نكون مثله» (١يو ٣:٢). هناك أيها القديسون سيوقفكم الله أمام مجده «بلا عيب فى الابتهاج» «له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور. آمين» (يه ٢٤).

وهناك حقيقة أخرى وهى أننا الآن قديسون وبلا لوم من حيث مقامنا ومركزنا أمام الله، بينما من الناحية العملية «فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا» (يع ٣:١) فكم من تقصيرات تبدو فى حياتنا (١يو ١:٨ - ١٠ ، ٢:١) وكم من المرات، نحن الذين بلا لوم قدامه «تلومنا قلوبنا» (١يو ٣:٢٠) إلا أن من واجبنا أن نصحو ونسهر لكى نسلك «كما يليق بقديسين» (أف ٥:٣) - ولنحيا بلا لوم «إن لم

تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله. ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه» (١يو ٣:٢١ و ٢٢).

ومع أن موضوع الاختيار هو حق إلهى ثابت وواضح كل الوضوح فى كلمة الله، إلا أن هذا لا يتعارض مع إرادته تعالى من نحو خلاص جميع الناس، ولا مع مسئولية الإنسان أمامه تعالى، فهو «يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون» (١تى ٢:٤) لذا هو «الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا» (أع ١٧: ٣٠) إذ «لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة» (٢بط ٣:٩) فلا عذر للإنسان الذى يرفض دعوة الله المقدمة إليه. إن الرب له المجد يدعو الجميع أن يأتوا إليه، ومن يُقبل إليه لا يُخرجه خارجاً. إذن من يهلك فإن هلاكه هو بسبب رفضه للمسيح، لأن الله لم يعين أحداً للدينونة أو الهلاك الأبدى.

«إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته» (ع ٥)

رأينا فى تأملنا فى العدد الثالث أن الله هو إله ربنا يسوع المسيح وهو أيضاً «أبو» ربنا يسوع المسيح، فهو كإله ربنا يسوع المسيح قد اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه، ولكنه كالآب قد عيننا للتبنى. فهو الآب ذو العواطف الحبية الذى قصد منذ الأزل بأن يأتى بأبناء ليكونوا معه فى المجد الأبدى، فلم يكتف بأن اختارنا منذ الأزل لنكون قديسين وبلا لوم قدامه، بل قرّبنا إليه، لا كمجرد عبيد بل كأبناء ـ أبناء الآن وأبناء فى المجد الأبدى ـ هناك سوف لا نقف أمامه كالملائكة «العاملين مرضاته» بل كأبناء سنتمتع بعواطف المحبة الأبوية. هذا هو مقامنا ـ مقام البنين لإله وأبى ربنا يسوع المسيح، والرب نفسه هو البكر بين إخوة كثيرين. إنه (الرب يسوع) كالابن الأزلى للآب هو وحده الفريد فى ذلك، ولكن سروره له المجد هو فى أن يدعونا إخوة وذلك بعد قيامته من الأموات وليس قبل ذلك.

إننا، ونحن هنا على الأرض التى فيها تلوثنا بخطايا والتى فيها كنا عبيداً للشيطان، إذ آمنا بالرب يسوع المسيح ووضعنا ثقتنا فى كفاية عمله فوق الصليب قد تركنا خلفنا كل ما كنا عليه ودخلنا فى هذه النسبة المباركة والمجيدة مع الله كبنين «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو (أى المسيح) بكراً بين إخوة كثيرين» (رو ٨: ٢٩).

لقد عيننا الآب للتبنى بيسوع المسيح «**لنفسه**». تبارك اسم إلهنا وأبينا المحب فإنه قد عيننا لنكون أبناء **له** «لنفسه» ولمجده.

إن كلمة «التبنى» لا تجئ إلا فى بعض رسائل الرسول بولس، ولنلاحظ أننا قد أخذنا فعلاً روح التبنى «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب» (رو ٨: ١٥) وذلك بفضل عمل ربنا يسوع المسيح الذى مات عنا فوق الصليب لكى ننال التبنى. «ثم بما أنكم **أبناء** أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب. إذ لست بعد عبداً بل **ابناً**» (غل ٤: ٤ ـ ٧) لقد أخذنا الروح القدس الذى هو «روح التبنى» ولكننا ننتظر ونتوقع الوقت المجيد الذى فيه نحصل على التبنى الذى سيشمل أجسادنا الترابية عندما يأتى المخلص «الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (فى ٣: ٢ و ٢١) هذا هو رجاء المسيحى الحقيقى، فنحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن فى أنفسنا متوقعين **التبنى فداء أجسادنا**» (رو ٨: ٢٣) لقد نلنا الآن روح التبنى من الله الذى هو «أبو الأرواح» (عب ١٢: ٩) ولكننا متوقعون التبنى فداء أجسادنا. ليس المقصود هو أننا فى المجد سنكون أبناء أكثر مما نحن الآن «أيها الأحباء **الآن** نحن أولاد الله» (١يو ٣: ٢) ولكن الرسول يوحنا يضيف إلى ذلك قوله «ولم يُظهر بعد ماذا سنكون» ولكن سيجئ الوقت (وهو قريب) الذى فيه سيستعلن أمام الخليقة بأسرها لمجد الله، أننا أبناء الله حقاً عندما نكون مثله (أى مثل المسيح).

لقد عيننا الآب للتبنى بيسوع المسيح لنفسه وذلك «**حسب مسرة مشيئته**»

أى أنه لم يكن مجرد قصد أزلى أن الله اختارنا لنكون قديسين وبلا لوم وأنه عيننا للتبنى ولكن لأن فى ذلك سروره أيضاً، لقد سرَّت مشيئته بأن يقرِّبنا إليه لا كعبيد بل كبنين، وذلك «لمدح مجد نعمته» (ع ٦). إن هذه المشيئة التى فيها مسرته هى مشيئة أزلية، فقد قال المسيح (الذى هو الحكمة الأزلى) «من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال أبدئت (أى أظهرت) .. كنت عنده صانعاً وكنت كل يوم لذته فرحة دائماً قدامه. فرحة فى مسكونة أرضه. **ولذاتى** مع بنى آدم» (أم ٨:٢٢ ـ ٣١) ثم عند ولادته فى هذا العالم رنم جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين «المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس **المسرة**» (لو ٢:١٣ و ١٤) فكانت مسرة الآب والابن منذ الأزل بنا نحن الذين اختارنا وعيننا للتبنى. إن أعظم ملاك فى السماء لن يكون له نصيب فى مجد الإنسان الخاطئ الأثيم الذى خلصته نعمة الله الغنية.

«لمدح مجد نعمته *التى* انعم بها علينا فى *المحبوب*» (ع ٦)

إن هذه الكلمات مرتبطة بالأعداد السابقة (٣ ـ ٥)، هذه الأعداد التى هى بمثابة سلسلة ذهبية ثمينة من المشارات الإلهية الغنية، والتى كلها «لمدح مجد نعمته» فالله قد باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة، وعيننا للتبنى ـ أى صيَّرنا أبناء له، وذلك «لمدح مجد نعمته» وسيجئ قريباً اليوم الذى فيه ستكون الكنيسة الممجدة موضوع تعجب الملائكة والبشر. إن الخلائق بأسرها سترى عجائب محبة الله غير المحدودة ونعمته الفائقة من نحو البشر الخطاة.

لقد قصد الله أن تسمو وتتفاضل نعمته المجيدة من نحو الخطاة المساكين لتكون موضوع مدح من الكائنات بأسرها إلى آباد الدهور كلها. صحيح أن غنى هذه النعمة لا يعرفه الآن سوى الذين افتقدتهم وأدركتهم النعمة، ولكن بعد قليل ستُستعلن هذه النعمة «متى جاء (الرب) **ليتمجد** فى قديسيه **ويُتعجب** منه فى جميع المؤمنين» (٢تس ١ : ١٠). إن مجد هذه النعمة سيكون موضوع تعجب كل

الكائنات بعدما ينتهى دور الكنيسة على الأرض ـ أعنى عندما يُضم إليها آخر عضو من المعينين للحياة الأبدية. عندئذ ستؤخذ الكنيسة للمجد لتكون مع الرب، ثم إذ يستعلن المسيح أمام الخليقة بأسرها عندئذ سيعاين سكان السماء والأرض والجحيم سمو عظمة نعمة الله فى الكنيسة الممجدة والتى هى أقرب الخلائق إلى الرب يسوع وإلى قلبه وعواطفه. ستتعجب هذه الكائنات عندما يرون العروس امرأة الحمل معه ومشاركة له فى مجده وفرحه.

لقد أنعم الله علينا بهذه النعمة «**فى المحبوب**» ذلك لأن محبته هى النبع الذى منه جرت إلينا وفاضت علينا هذه النعمة، لذا لا يقال هنا بأنه أنعم بها علينا «فى المسيح» مع أن هذا حق، ولكن «فى المحبوب» [١] لقد كان هناك شخص واحد الذى أشبع قلب الله والذى حقق كل رغبة وأشواق قلبه. ذلك هو المسيح ـ المحبوب الوحيد بكيفية لا يشاركه فيها أى كائن سواه. إن كنا محبوبين فذلك لأننا فيه فقط أى «فى المحبوب». حقاً ما أسمى هذه النعمة وما أمجدها! لقد أظهر الله لنا نعمة ومحبة مقياسها المسيح ـ لقد قال له المجد فى صلاته لأبيه «أحببتهم كما أحببتنى» (يو ١٧:٢٣) إننا بكل جرأة مقدسة وبكل خشوع نقول إن الله لا يستطيع أن يعمل لأجلنا أكثر من ذلك كما أنه لا يمكن أن يعمل أيضاً أقل من ذلك. لقد رفعنا إلى أسمى ما يمكن أن تصل إليه نعمته الغنية ومحبته الفائقة وذلك «فى المحبوب» ولأجله. لاسمه المعبود كل المجد. هللويا.

«الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة» (ع ٧ و ٨)

وصلنا الآن إلى الجزء الثانى من هذه التسبحة الشجية (١:٧ ـ ١٢) وقد رأينا فى الجزء الأول منه (١:٣ ـ ٦) مشورات نعمة الله الآب فى الأزل القديم، أما فى

(١) هذه هى المرة الوحيدة فى كل الترجمة العربية للكتاب المقدس التى فيها يقال عن ربنا يسوع «المحبوب».

الجزء الثانى من هذه التسبحة فإننا نرى الوسيلة الإلهية لتحقيق ما قصدته هذه النعمة الغنية بواسطة **الابن** ربنا يسوع المسيح فى **الزمان** الحاضر «الذى فيه لنا الفداء [(١)] بدمه غفران الخطايا». لقد كنا أسرى وعبيداً تعساء للشيطان والخطية ولكننا افتدينا وتحررنا من هذه العبودية المُرة والقاسية بالثمن الكريم الذى دفع فينا «بدمه». إن عقوبة الخطية هى الموت (تك ٢:١٧، رو ٦:٢٣) ولا يمكن إنقاذ حياة الإنسان الخاطئ من الموت إلا بواسطة بذل حياة أخرى ليست فيها خطية نيابة عنه، وبما أن نفس (أى حياة) الجسد هى فى الدم (لا ١٧:١١) لذلك أتى ابن الله الرب يسوع المسيح إلى العالم وإذ صار إنساناً بذل نفسه (أى حياته) فدية عن كثيرين (مت ٢٠:٢٨) وكل الذين يضعون ثقتهم فيه وفى كفاية عمله ينالون اليقين الكامل بنوالهم الفداء أى عتقهم من عبوديتهم وذلك بواسطة الدم الكريم.

وبالفداء أيضاً سدَّد الرب يسوع للعدالة الإلهية الدين الذى كان علينا الذى كنا عاجزين عن وفائه (لو ٧:٤١ و ٤٢).

إن كنا فى المسيح نرى مركزنا ومقامنا وبركاتنا فإننا فيه أيضاً نجد الفداء الذى يؤهلنا نحن الأثمة لهذه البركات، نعم لقد كنا أثمة وفجاراً ولم نكن نملك شيئاً سوى خطايانا ولكن تبارك اسم إلهنا من أجل الفداء الذى لنا فى ربنا يسوع المسيح. وجدير بالملاحظة أن الروح القدس لا يشير إلى الفداء وغفران الخطايا إلا بعد أن سما بنا المقام السماوى الذى أوصلنا الله نفسه إليه، وذلك لكى يؤكد لنا أن قصد الله ومشيئته المباركة كانا فى فكره منذ الأزل وبالتالى قبل خلق الإنسان وقبل أن تسود الخطية. إنه قصد أزلى لا شأن فيه للإنسان ولا لحالته كخاطئ

---

(١) يشار إلى الفداء فى هذه الرسالة ثلاث مرات (١:٧ و ١٤ ، ٤:٣٠) والفداء المُشار إليه فى عدد ٧ أعنى غفران خطايانا قد حصلنا عليه فعلاً. أما الفداء فى المرة الثانية أعنى «فداء المقتنى» فالمقصود به امتلاك ميراثنا فى المجد مستقبلاً، بينما الفداء فى المرة الثالثة المقصود به فداء أجسادنا عند مجئ الرب حيث نكون مثله.

ولكنه كخاطئ احتاج إلى الفداء بالدم الكريم لغفران خطاياه.

إنه وإن كان فداء أجسادنا وفداء المقتنى أى ميراثنا سنحصل عليهما عند مجئ ربنا يسوع المسيح الثانى، إلا أننا قد حصلنا الآن على فداء كامل لنفوسنا، ولا يستطيع المؤمن أن ينال فى المستقبل فداءً أو غفراناً أكثر مما ناله الآن، أو بالحرى لا يمكن أن يعمل الله لمحو الخطية وإبطالها أكثر مما عمل. لقد بذل ابنه الوحيد الذى سفك دمه الثمين على الصليب. فهل يستطيع الله، له المجد أن يعمل أكثر من ذلك لمحو الخطية من أمام نظره؟ يا له من حق ثمين يملأ الضمير سلاماً وراحة والنفس فرحاً وعزاءاً!

صحيح أننا عرضة للسقوط فى الخطية (الأمر الذى يجب أن نسهر ضده) ولكن السقوط فى الخطية يجب أن يقود المؤمن لا إلى الخوف من الدينونة الأبدية بل لإدانة النفس. ومن الأهمية بمكان أن يراعى المؤمن الفرق بين هذين الأمرين : فمن جهة الدينونة الأبدية فإن الخطية بالنسبة للمؤمن، قد دينت فى صليب المسيح وبذا تلاشت إلى الأبد، أما من جهة إدانة النفس فإن أول واجب على المؤمن إذا أخطأ هو التذلل والاعتراف أمام الله، هذا ولا يمكننا أن ندين أنفسنا إدانة صحيحة إلا إذا أدركنا أولاً بأن دينونة الله للخطية قد وقعت فعلاً، بالنسبة لنا، على المسيح فوق الصليب.

ثم لنلاحظ عظم الثمن الذى دُفع لفدائنا. «الذى فيه لنا الفداء **بدمه**» فلم يكن يكفى أى ثمن أقل من ذلك لفدائنا وعتقنا وإنقاذنا من اللعنة والدينونة التى كانت تهددنا. إن لعمل المسيح فوق الصليب وللدم الثمين الذى سُفك هناك قيمة غير محدودة تكفى لفداء جميع البشر لو أتوا إلى الله محتمين فى قيمة وفاعلية ذلك الدم الثمين. ويجب أن يكون واضحاً وجلياً أمام الجميع أن خلاص الخاطئ أساسه موت المسيح وسفك دمه الثمين على الصليب وليس بالتمثل بحياة المسيح والاقتداء به. إن التمثل بحياة المسيح هو امتياز الذين افتُدوا بدم المسيح وحصلوا على غفران خطاياهم.

ومن الأهمية بمكان أن نراعى هذه الحقيقة وهى أن كلمة الله ترينا وجهين :

أولا : الغفران الأبدى : وهذا ما يشير إليه الرسول فى هذا العدد ، فكل مؤمن قد نال الغفران الأبدى فى اللحظة التى فيها أتى إلى الله بواسطة الرب يسوع وفى استحقاقات عمله الكفارى فوق الصليب «الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة» (١بط ٢:٢٤) فكل خطايا المؤمن من بداية الحياة إلى نهايتها قد حمل المسيح دينونتها على الصليب، والله لا يعود يذكرها فيما بعد. وكيف يمكن أن يذكر الله خطاياى بعد أن حمل المسيح دينونتها نيابة عنى؟ لقد تلاشت إلى الأبد من أمام نظره.

ثانياً : غفران الآب لأولاده : إن الغفران الأبدى مصدره **الله** ديّان الجميع، ولكن من اللحظة التى فيها انتهت مسئوليتى أمام الله كخاطئ ابتدأت مسئوليتى كابن أمام **الآب**، فإذا أخطأت آتى أمام الآب لا لكى أطلب منه غفراناً أبدياً وخلاصاً من الدينونة بل آتى أمامه معترفاً بخطيتى لرد شركتى معه كابن له. إن الخطية بالنسبة للمؤمن لا تسلب منه حياته الجديدة لأن هذه الحياة «مستترة مع المسيح فى الله» ولكنها (أى الخطية) تسلب منه شركته مع الله أبيه ـ هذه الشركة التى لا يمكن استردادها إلا إذا أتى المؤمن العاثر إلى الله أبيه معترفاً بخطيته فينال غفراناً به يسترد شركته مع الآب» (١يو ١:٦ ـ ١٠ ، ٢:١ و ٢).

وجدير بالملاحظة أيضاً أن هناك فرقاً بين «مجد نعمته» (ع ٦) وبين «غنى نعمته» (ع ٧) فإن مجد نعمته مرتبط ببركاتنا الروحية واختيارنا وبتعييننا للتبنى، أعنى بكل امتيازاتنا التى لنا فى المسيح يسوع ربنا، أما غنى النعمة فمرتبط بما أعده الله لنا كخطاة مساكين ـ أي الفداء بدم ربنا يسوع المسيح. ولكن الله تبارك اسمه، لم يكتف بإظهار موارد النعمة الغنية من نحونا كخطاة تعساء، بل بإظهار مجد نعمته ـ بإظهار صفاته المجيدة، أعنى بإظهار ما هو تعالى من نحونا وليس فقط ما كنا عليه.

لقد أجزل الله لنا نعمته الغنية «بكل حكمة وفطنة» فهو، تبارك اسمه، لم

يجزل لنا هبات النعمة الغنية فقط، بل شاء في جوده وصلاحه أن يهبنا الإدراك الروحي ـ الحكمة والفطنة لكي نفهم ونعرف مشورات محبته ونعمته من نحونا في المسيح يسوع، ولكي نتمتع بإدراكنا لها. وكلمة الله هي الإعلان الإلهي الكامل لكل مشوراته، وكلما فتشنا في كنوز الكلمة الإلهية ودرسناها بروح الصلاة وبالتأمل العميق، كلما نمونا في النعمة وفي معرفة أفكار الله ومشوراته ولا سيما من نحو ابنه الحبيب، وكأنه يقول لنا إنكم تستطيعون الآن أن تدخلوا في دائرة أفكاري وتعرفوا ما هي مشيئتي وإرادتي من نحو ابني. لقد تحررتم من الخوف من جهة خطاياكم التي تلاشت من أمام نظري، وصارت لكم الحرية الكاملة في أن تدركوا مشيئتي. لاسمه المعبود كل المجد.

«إذ عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه»

(ع ٩)

عجيبة حقاً هي محبة إلهنا وأبينا ونعمته الفائقة، فقد سر بأن يهبنا الحكمة والفطنة لنعرف «سر مشيئته» هذه المشيئة «التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر .. ما لم تر عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه فأعلنه الله لنا بروحه. لأن الروح يفحص كل شئ حتى أعماق الله» (١كو ٢:٨ ـ ١٠) كما لم يعلنها لأحد من قديسيه في القديم، لا قبل الناموس ولا في عهد الناموس (أف ٣:٥ و ٩).

إن هذه المشيئة، المتعلقة بسيادة المسيح وجمع كل شئ ما في السموات وما على الأرض فيه، كانت سراً لم يعرفه أحد من قبل.

ومن الأهمية بمكان أن نعرف أن المقصود بكلمة «سر» التي تتكرر كثيراً في أسفار العهد الجديد ولا سيما في هذه الرسالة هو فكر أو مشورة أو قصد إلهي أزلي كان مكتوماً وغير معروف ولكنه أظهر وأعلن على صفحات العهد الجديد، وقد أعطى للمؤمنين امتياز معرفة كل سر من هذه الأسرار، لذا ليست فيما بعد أسراراً غامضة أو مكتومة بل هي أسرار معلنة ومعروفة «قد أعطى لكم أن تعرفوا

أسرار ملكوت السموات وأما لأولئك (أى لغير المؤمنين) فلم يُعطَ» (مت ١٣ : ١١) لقد أعطى لنا أن نعرف هذه الأسرار، ليس لإشباع الذهن بل بالحرى للتمتع بها ولبنيان نفوسنا فى المسيح ولتقديس حياتنا العملية.

لا ريب أنه توجد فى أسفار العهد القديم حقائق إلهية مباركة ولكن لا يقال عنها أبداً إنها «أسرار» لأن الأسرار لم تُعلن وتُوضح إلا فى كتابات العهد الجديد، كما أنه لا يصح اعتبار أية فريضة من الفرائض المسيحية (مع أهميتها) أنها سر، ولا أى من حقائق الإنجيل السامية إلا إذا قيل عنه بصريح العبارة أنه سر[1].

لقد عرّفنا الله يسر مشيئته وذلك «حسب مسرته التى قصدها فى نفسه» فقد كان سروره تعالى فى أن يعلن لنا أمجاد ابنه الحبيب الذى تم إرادته، الذى «وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب».

---

(١) إتماماً للفائدة نذكر هنا أهم الأسرار التى أعلنت على صفحات العهد الجديد :

١ - سر التقوى «سر التجسد» (١تى ٣:١٦)
٢ - سر اتحاد المسيح بالكنيسة (أف ٥:٣٢)
٣ - سر الإيمان (١تى ٣:٩)
٤ - سر اتحاد الأمم واليهود المؤمنين بالمسيح (أف ٣:٥ و ٦)
٥ - سر الاختطاف (١كو ١٥:٥١)
٦ - سر رجوع اليهود للرب (رو ١١:٢٥)
٧ - سر الإنجيل (أف ٦:١٩)
٨ - سر ملكوت الله (مر ٤:١١ ، مت ١٣:١١ ، لو ٨:١٠)
٩ - سر السبعة الكواكب والسبع المنابر (رؤ ١:٢٠)
١٠ - سر الإثم (٢تس ٢:٧)
١١ - سر بابل العظيمة أم الزوانى (رؤ ١٧:٥)
١٢ - سر جمع كل شئ فى المسيح (أف١:٩ و ١٠)

«لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئ في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك» (ع ١٠)

لقد سبقت الإشارة إلى أن الروح القدس أعلن لنا في العهد الجديد أسراراً كانت مكتومة وغير معروفة من قبل، ومن بين هذه الأسرار التى سُرّت مشيئة الله أن يعرفنا إياها هو أن له المجد سيجمع كل الأشياء السماوية والأرضية في المسيح لتكون تحت سيادته. هذا هو «سر مشيئته» (ع ٩) إن سيادة المسيح وسلطانه غير معترف بهما حالياً في هذا العالم، ولكن عند انتهاء التدبير الحاضر ستستعلن سيادة المسيح للخليقة بأسرها، لأن الله «رفّعه (الآن) وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو (عندئذ) باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (أى الكائنات الجهنمية) ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (في ٢: ٩ ـ ١١).

والمقصود بعبارة «لتدبير ملء الأزمنة» هو أن الله، بواسطة المسيح سيحقق قصده عندما يضع حداً أو نهاية للأزمنة المرتبطة بسيادة البشر على الأرض في الأدوار والأزمنة المتعاقبة (أزمنة الأمم) وحينئذ يضع صولجان الملك والسيادة في يد المسيح «قضيب استقامة قضيب ملكك» (عب ١: ٨).

واضح أنه «**لما جاء ملء الزمان**» أرسل ابنه إلى هذا العالم لإتمام عمل الفداء، ولكن عند «**ملء الأزمنة**» سيرسله الله مرة أخرى ليجمع كل شئ فيه، وعندئذ ستعترف كل الكائنات أن الرب يسوع هو «ملك الملوك ورب الأرباب».

إن مسرة مشيئته تعالى التى قصدها في نفسه هى استعلان مجد ابنه ربنا يسوع المسيح. ذلك المجد الذى سنشترك معه فيه، فموضوع ذلك السر أى «سر مشيئته» هو المسيح والكنيسة، الأمر الذى تبينه هذه الرسالة بكل وضوح «هذا السر عظيم ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة» (٥: ٣٢). ليس المقصود هو أن الكنيسة في ذاتها هى سر بل «المسيح والكنيسة» والكنيسة لها هذا

الامتياز وهذه الغبطة المباركة لأنها مقترنة بالمسيح وأنها للمسيح وفى المسيح. يا لها من سعادة تتمتع بها الكنيسة بل وستعم الخليقة بأسرها عندما يتم «تدبير ملء الأزمنة»! عندئذ ستنتهى أزمنة الحزن والخجل الحادثة الآن .. سينتهى زمان إخضاع الخليقة للبُطل وكذا زمان ضعف الكنيسة وانقساماتها، وزمان سطوة الشيطان وخداعه وتعذيبه للبشر. هذه الأمور الحادثة الآن ولا سيما للإنسان الذى بسبب الخطية أصبح خاضعاً لكل أنواع الآلام والأمراض والموت، وحيث الخليقة كلها تئن. هذه كلها وغيرها سيضع الله لها حداً عندما يسود المسيح على الخليقة الذكى. فى ذلك سيقيد الشيطان وسيتحرر الإنسان من عبوديته له ومن ضلالاته. عندئذ سيبارك الله شعبه الأرضى تحت سيادة ومُلك المسيّا، كما سيبارك الله كل الشعوب عندما يتقدس فى وسطهم، والأرض نفسها سوف لا تكون فى حالة الفقر والتعاسة والأنين التى هى عليها الآن لأن اللعنة سترفع وتفرح البرية وتزهر. كل هذه الأشياء سيحققها الله. سيغير كل المشاهد الحاضرة عندما يجعل المسيح كنبع ومركز ومصدر كل بركة. سيكون المسيح هو الإنسان الأقوى الذى سيربط القوى - نسل المرأة الذى سيسحق رأس الحية. إنه رب السماء والأرض. المسيّا الذى سيملك على شعبه الأرضى وابن الإنسان الذى سيسود على كل الأمم. وبالإجمال سيكون علاج الله التام لهذا العالم المضطرب هو المسيح عندما يخرج من خبائه لتراه كل عين.

«الذى فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كل شئ حسب رأى مشيئته لنكون لمدح مجده نحن الذين قد سبق رجاؤنا فى المسيح» (ع ١١ و ١٢)

يشير الرسول بولس هنا إلى نفسه وإلى اليهود الذين آمنوا نظيره بالمسيح يسوع، فإنهم بسبب إيمانهم بالرب يسوع قد نالوا نصيباً سماوياً. لقد سبقت الإشارة فى عدد ٥ إلى أن المؤمنين الحقيقيين سبق الله الآب فعينهم للتبنى - أى صاروا أولاداً لله، لذا فهم ورثة أيضاً (رو ٨:١٧). لا ريب أن الذين سيؤمنون

بالمسيح من اليهود والأمم، عند جمع كل شئ فى المسيح أى عند «تدبير ملء الأزمنة»، وذلك بعد اختطاف الكنيسة، هؤلاء سيتمتعون ببركات أرضية عظيمة، أما نحن فقد نلنا نصيباً سماوياً فى المسيح قبل كل ذلك لأن بركاتنا ليست أرضية بل «فى السماويات» وذلك «حسب قصد الذى يعمل كل شئ حسب رأى مشيئته» تبارك اسم إلهنا وأبينا، فقد كان قصده أن أولاده الذين اقترنوا بابنه الحبيب الوحيد ينالون فيه نصيباً سماوياً ومجيداً. تبارك اسمه المعبود لأن هذا «قصده» وهذا «رأى مشيئته».

«لنكون لمدح مجده نحن الذين سبق رجاؤنا فى المسيح» سلف القول إن الإشارة هنا إلى المؤمنين بالمسيح من اليهود الذين كُرز لهم بالإنجيل أولاً - أعنى قبل أن يُكرز به بين الأمم، وقد كان الرسول بولس واحداً منهم لذا يقول بأننا قد نلنا نصيباً سماوياً «لنكون لمدح مجده نحن الذين سبق رجاؤنا فى المسيح» أعنى أنهم سبقوا بقية اليهود الذين رفضوا المسيح ولم يؤمنوا به فى مجيئه الأول. هذا هو المقصود بقوله «سبق رجاؤنا فى المسيح» أى أن رجاءنا هو فى المسيح إذ آمنا به فى زمان رفضه أعنى قبل ظهوره بالمجد عندما تنظره كل عين (رؤ ١ .٧) «فينظرون إلى الذى طعنوه» (زك ١٢ : ١٠). عندئذ ترجع بقية من تلك الأمة إلى الرب بالتوبة والندامة والإيمان به رباً وملكاً.

إن كلمة «**نحن**» فى هذا العدد هى قاصرة على الذين آمنوا بالمسيح من اليهود، أما كلمة «**أنتم**» فى عدد ١٣ فهى خاصة بالمؤمنين الحقيقيين من الأمم، فكأن الرسول بولس أراد أن يقول بأننا نحن (المؤمنين من اليهود) الذين «سبق رجاؤنا» أى آمنا أولاً بالمسيح ستكون «لمدح مجده» أما بقية إسرائيل فإنهم بسبب رفضهم للمسيح لن يكونوا لمدح مجده. صحيح أن مجد الرب سيُشرق على الذين سوف يؤمنون به منهم فى التدبير الآتى «قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك» (إش ٦٠ :١) وسيتحقق ذلك لهم عندما يرون الملك فى بهائه. فى ذلك اليوم سيهتفون قائلين «هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلصنا» (إش ٢٥ :٩)

أما الذين سيكونون «لمدح مجده» فإنهم أولئك الذين قبلوا المسيح قبل أن يروه فى ظهوره، والذين بالتالى سيظهرون معه فى مجده. «عظيمة حقاً هى غبطة أولئك الذين سيقبلون المسيح عندما يرونه بعيونهم عند ظهوره ولكن أكثر وأعظم غبطة هم الذين لم يروه ولكنهم آمنوا به» (يو ٢٠:٢٩).

«الذى فيه أنتم أيضاً سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم الذى فيه أيضاً إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس» (ع ١٣)

وصلنا الآن إلى الجزء الثالث والأخير من هذه التسبحة الشجية (١:١٣ و ١٤) ففى الجزء الأول منها (١:٣ ـ ٦) رأينا قصد **الآب** ومشورات نعمته الغنية فى الأزل القديم، لقد اختارنا منذ الأزل لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه وذلك «لمدح مجد نعمته». كذلك رأينا فى الجزء الثانى من هذه التسبحة (١:٧ ـ ١٢) ما عمله **الابن** لفدائنا وغفران خطايانا بواسطة دمه الكريم الذى سُفك فوق الصليب وذلك «لمدح مجده». أما فى هذا الجزء الثالث من هذه التسبحة فإننا نرى عمل **الروح القدس** فى تجديد الخطاة وسكناه فيهم وذلك أيضاً «لمدح مجده» فالآب قصد فى الأزل أن يبارك الإنسان والابن أكمل العمل الذى به يتم قصد الآب الأزلى، والروح القدس قد أتى إلى العالم ليحقق هذا العمل المبارك فى نفوس الخطاة الذين يؤمنون بالمسيح يسوع. هذا العمل الذى يستمر إلى أن يصل المؤمنون إلى المجد، وفى كل ذلك نرى الله المثلث الأقانيم عاملاً لأجل فداء الإنسان وبركته.

لقد كان كلام الرسول بولس فى العدد السابق (١٢) خاصاً به وبالمؤمنين بالمسيح من اليهود، أما هنا فالكلام موجه إلى المؤمنين الحقيقيين من الأمم «الذى فيه أيضاً (أى فى المسيح) أنتم (الأمم) سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم» ولنلاحظ أن فى هذا العدد ثلاث كلمات لها أهميتها وهى «سمعتم» «آمنتم» «ختمتم» فقد سمعوا أولاً ثم آمنوا لأن «الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله» (رو ١٠:٧) لقد سمع أولئك المؤمنين «كلمة الحق» التى هى «إنجيل خلاصهم».

إن أول عمل للروح القدس فى نفس الإنسان الخاطئ هو اقتياده لمعرفة حقيقة ذاته ـ لإدراك أنه ميت بالذنوب والخطايا، وقد جلبت عليه الخطية كل ذل وتعاسة وأنه يستحق لأجلها الهلاك الأبدى، وإذ يسمع كلمة الحق أى إنجيل الخلاص ويقبلها ويؤمن بالرب يسوع وبكفاية عمله لأجله فوق الصليب فإنه يولد ثانية ـ يولد من الماء (أى كلمة الله) والروح، والله مصادقة منه على هذا الإيمان يختم هذا المؤمن بروحه القدوس «إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس». إنه فى اللحظة التى فيها يؤمن الإنسان بالرب يسوع المسيح ويقبله مخلصاً له يُختم بالروح القدس.

إن أول شخص خُتم بالروح القدس هو الرب يسوع، ولكن ذلك تمَّ بكيفية كان هو فريداً فيها (مت ٣:١٧ ، أع ١٠:٣٨) على أنه لم يُختم بالروح القدس بعد إكماله عمل الفداء بل قبل ذلك لما كان سائراً هنا على الأرض «لأن هذا الله الآب ختمه» (يو ٦:٢٧). لقد خُتم ربنا المبارك كابن الإنسان بدون حاجة إلى سفك دم أو إلى الفداء، ومع ذلك فقد مات وسُفك دمه الكريم لكى يمكن أن نُختم بالروح القدس نحن الذين لم يكن لنا أى استحقاق بحسب الطبيعة ـ أى أن يسكن فينا نفس الروح القدس الذى سكن فى الرب يسوع المسيح أولاً.

لقد علّم الرب تلاميذه بأن يطلبوا من الآب عطية الروح القدس (لو ١١:١٣) وقد استجاب الآب طلبتهم هذه فى يوم الخمسين إذ أعطاهم الروح القدس (أع ٢) لقد أرسله من السماء ليسكن فى المؤمنين ـ فى كل مسيحى حقيقى، فلا يوجد مؤمن واحد لم يُعطَ الروح القدس «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك (الإنسان) ليس له (أى أنه ليس للمسيح)» (رو ٨:٩) فهل يليق بعد ذلك أن يطلب المؤمن حلول الروح القدس الذى خُتم به وسكن فيه؟ وألا يكون عدم إيمان شنيع لو أن التلاميذ طلبوا من الله أن يرسل إليهم المسيح بينما كان موجوداً معهم؟ كذلك فإن من الخطأ وعدم الإيمان أن يطلب المؤمنون انسكاباً جديداً للروح القدس أو يوم خمسين آخر بينما الروح القدس قد أتى فعلاً من السماء وسكن فى

جميع المؤمنين الحقيقيين. صحيح أن من واجبنا أن لا نُحزن الروح القدس وأن لا نطفئه، بل بالحرى يجب أن نصلى باستمرار لكى نتأيد بقوة الروح القدس فى الإنسان الباطن «امتلئوا بالروح» (أف ٤: ٣٠ ، ١تس ٥: ١٩ ، أف ٣: ١٦، ٥: ١٨).

إن الله نفسه هو الذى يختم المؤمن بمجرد إيمانه بالرب يسوع وقبوله رباً ومخلصاً « .. الله الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا » (٢كو ١: ٢١ و ٢٢).

والختم هو برهان أو علامة صحة الإيمان - أعنى أنه إيمان حقيقى وليس إسمياً أو زائفاً «ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحى. لا فى ألواح حجرية بل فى ألواح قلب لحمية» (٢كو ٣: ٣) فالمؤمنون الحقيقيون هم رسالة المسيح إلى عالم هالك، والرسالة المكتوبة تعبِّر دائماً عن فكر وغاية كاتبها، كذلك أولاد الله لم تُكتب أسماؤهم بحبر أو تنقش فى ألواح حجرية بل هم رسالة المسيح الذين كتب الروح القدس على قلوبهم وفى حياتهم كلمة الله الحية. إن العلامة المميزة للمسيحى الحقيقى من المسيحى بالإسم هى ختم الروح القدس.

ثم إن الختم هو أيضاً برهان أو علامة الملكية «لكن أساس الله الراسخ قد ثبت إذ له هذا الختم. يعلم الرب الذين هم له» (٢تى ٢: ١٩) وقد قال المسيح له المجد «أما أنا فإنى الراعى الصالح وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى» (يو ١٠: ١٤). إن قطعان الغنم أو المواشى تتميز بختم صاحبها (أى بوضع وَسم أو تمغة من نار عليها) كذلك لدى الله وسمٌ الذى به تتميز ملكيته للمؤمنين وأنهم له وخاصته، ووسمٌ هذا هو الروح القدس إن طابع الله هو ختمه أى الروح القدس الذى يعطينا نحن أيضاً اليقين بأننا أولاده (رو ٨: ١٥ و ١٦).

والختم أيضاً هو برهان ضمان الأمن والحفظ إلى النهاية، لأن الروح القدس هو «عربون ميراثنا» (ع ١٤) وفى هذا الجواب الإلهى الصريح لن يرتابوا فى أمر

حفظ المؤمن إلى النهاية وفى عدم إمكانية هلاكه.

ولنلاحظ أيضاً أنه يشار إلى الروح القدس كختم للمؤمنين ثلاث مرات فى العهد الجديد (أف ١:١٣ ، ٤:٣٠ ، ٢كو ١:٢٢).

ويسمى الروح القدس هنا «روح الموعد القدوس» لأن الله الآب، بناء على إكمال عمل الفداء، وعد بإرسال الروح القدس إلى العالم ليسكن فى المؤمنين الحقيقيين (أع ١:٤ ، يو ١٤:٢٦ ، ١٥:٢٦ ، أف ٣:٦).

«الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده» (ع ١٤)

إن الروح القدس الذى به ختمنا ليوم الفداء ـ أى فداء أجسادنا عندما يأتى الرب يسوع المسيح مخلصنا «الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (فى ٣:٢١) هو أيضاً عربون ميراثنا المجيد والأبدى، فكما أن الروح القدس هو الختم الذى ختمنا به برهاناً على كمال وكفاية عمل المسيح لفدائنا وتطهيرنا من خطايانا وقبولنا أمام الله كذلك أيضاً هو (أى الروح القدس) عربون ميراثنا. إن الروح القدس هو ختم نعمة الله الغنية التى نلناها فعلاً فى المسيح وهو أيضاً عربون الأمجاد التى سننالها بعد قليل مع المسيح. هذا هو عمل هذا العربون الإلهى، أى الروح القدس فينا، فإنه يعطينا، ونحن هنا فوق الأرض، أن نتمتع بأفراح ميراثنا الأبدى ـ أن نفرح بأمجاد هذا الميراث قبل الوصول إليه ـ أن نتذوق غبطة السماء ونحن هنا قبل أن نصل فعلاً إلى السماء، أو بالحرى يبهجنا ويلذذنا الروح القدس بما لنا فى المسيح نفسه قبل أن نصل إليه لنكون معه فى المجد. إن هذا الميراث المجيد هو فى الواقع ميراث المسيح نفسه الذى له بحق الفداء الذى أكمله فوق الصليب، والذى به (أعنى بالصليب) اشترى كل شئ لنفسه، وقريباً سيجئ الوقت الذى فيه سيضع يده على هذا الميراث بقوته وسلطانه، وعندئذ سيشرك معه كل خاصته فى مجد ميراثه هذا «وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى» (يو ١٧:٢٢).

وواجبنا نحن المؤمنين أن لا نسمح لأى معطل بأن يتسرب إلى حياتنا الروحية لكى يحرمنا الفرح والشبع والتلذذ بميراثنا العتيد أو بالحرى بالرب نفسه الذى هو رجاء المجد فينا. إن أقل انحراف أو ميل جسدى من شأنه أن يعطل أفراحنا بميراثنا السماوى وبشركتنا مع الرب سيدنا، لذا فإن حاجتنا القصوى هى فى أن نكون باستمرار فى روح الصلاة والصحو والسهر حتى نتمتع على قدر ما بما سنكون عليه في المجد عند مجئ ربنا المبارك. ومَن ذا يستطيع أن يتصور ويدرك الحالة السعيدة التى سنكون عليها عندما نرى ربنا وحبيبنا وجهاً لوجه، حيث لا يكون هناك أثر للخطية والضعفات والأثقال التى تحيط بنا هنا. إن هذه كلها ستختفى وتتلاشى عند مجئ ربنا يسوع المسيح «لفداء المقتنى». عندئذ سيغير أجسادنا المائتة ويلبسنا الأجساد الممجدة «نكون مثله لأننا سنراه كما هو».

وسيتحقق ذلك كله «لمدح مجده» تأمل فى هذا! إن كل قديس مفدى، أو بالحرى كل خاطئ قد خلصته النعمة الإلهية الغنية سيكون لمدح مجد إلهنا وأبينا ولشبع قلب الرب يسوع طوال الأبدية. إنه لهذه الغاية ترك الرب يسوع المسيح عرش السماء وأتى إلى هذا العالم ومات فوق الصليب محتملاً عارنا ودينونتنا ـ أتى من السماء وفدانا بدمه الكريم وصيرنا خاصة له. والآب أعطانا الروح القدس الذى هو عربون ميراثنا وذلك «لمدح مجده».

ثم لنلاحظ الفرق بين «مجد نعمته» (ع ٦) و «مدح مجده» فإن مجد نعمته قد ظهر فعلاً فى الصليب، أما مدح مجده فسيستعلن أمام الخلائق بأسرها عندما يُظهر المسيح حياتنا ونحن نُظهر معه فى المجد (كو ٣ : ٤).

هذا هو الفارق بين مجد نعمته ومجده فى العبارتين الكريمتين «لمدح مجد نعمته» و «لمدح مجده». ويجدر بنا أن نلاحظ أيضاً الفارق بين «مجد نعمته» (ع ٦) و «غنى نعمته» (ع ٧) فلئن كان مجد نعمته قد ظهر للمؤمنين وللمؤمنين وحدهم فى الصليب إلا أن هذا المجد لن يستعلن بصورة كاملة وللخليقة أجمع إلا فى المستقبل عندما تأتى بنا النعمة إلى المجد الأبدى رغم كل ضعفاتنا وعدم

استحقاقنا. عندئذ سنكون «لمدح مجد نعمته». أما «غنى النعمة» فهو ما نتمتع به فعلاً وبصورة كاملة فى الوقت الحاضر أولاً كخطاة وثانياً كمؤمنين لأن ابن الله أتانا مملوءاً نعمة ومن ملئه أخذنا ونعمة فوق نعمة، ونحن فى النعمة نقيم ونفتخر على رجاء مجد الله.

«لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع *القديسين* لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم فى صلواتى»
(ع ١٥ و ١٦)

الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد مملوء بالصلوات العظيمة القيمة والتى قدمها كثيرون من رجال الله القديسين والأفاضل، ومن أهم الصلوات التى سجلها لنا الروح القدس على صفحات الوحى المقدس تلك التى قدمها الرسول بولس وهو أسير ومقيد بالسلاسل ـ صلوات رفعها إلى الله من أجل المؤمنين أفراداً وكنائس، فو إن كانت السلطات الغاشمة استطاعت أن تقيِّد الرسول العظيم بالسلاسل إلا أن روحه بقيت حرة وطليقة فلم تستطع القيود الحديدية أن تعطل شركته مع ربه وإلهه. وكم لنا من تعاليم روحية وسامية فى صلوات أولئك القديسين سيما التى للرسول بولس!

ولم تكن خدمة الرسول بولس قاصرة على الكرازة بالإنجيل والوعظ والتعليم، ولا على تأسيس الكنائس والاهتمام بها فى بلاد عديدة، بل كان، قبل كل شئ، رجل الصلاة. لقد كانت الصلاة أول علامة على تجديده «هوذا يصلى» (أع ٩:١١) كما كانت الصلاة أيضاً جزءاً كبيراً من حياته. أليس فى هذا درس عملى لنا جميعاً؟ ألا يعلمنا رجل الصلاة هذا بحياته كما فى كتاباته أن نواظب على الصلاة لا لأجل أنفسنا فقط بل ولأجل جميع القديسين أفراداً وجماعات وكذلك لأجل «جميع الناس» (١تى ٢:١ و ٢).

وتتضمن هذه الرسالة صلوتين، الأولى فى هذا الفصل (١:١٥ ـ ٢٣) والثانية فى الأصحاح الثالث (٣:١٤ ـ ١٩) وقد سبقت الإشارة عند التأمل فى العدد

الثالث من هذا الأصحاح إلى أن الله تبارك اسمه، هو إله ربنا يسوع المسيح وأنه أيضاً أبو ربنا يسوع المسيح، وهنا نرى أن كل صلاة من هاتين الصلوتين مرتبطة في موضوعها بإحدى هاتين العلاقتين، فالصلاة الأولى مقدمة إلى «إله ربنا يسوع المسيح» (١٧:١) بينما الصلاة الثانية مقدمة إلى «أبي ربنا يسوع المسيح» (١٤:٣) فكلاهما مقدمتان إلى الله الآب بالارتباط والاقتران بالرب يسوع من وجهين، ففي الصلاة الأولى نراه كالإنسان الذي الله إلهه «إلهي» (مت ٤٦:٢٧، يو ١٧:٢٠) بينما في الصلاة الثانية نراه في علاقته الفريدة ـ الأزلية والأبدية كالابن الوحيد «أبي» (يو ١٧:٢٠ ، ١٨:١).

يقول الرسول للمؤمنين «لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين لا أزال شاكراً لأجلكم ...» لقد قاده الروح القدس في الأعداد السابقة (ع ٣ ـ ١٤) إلى توضيح الحقائق الإلهية المتعلقة بمشورات الله، الآب والابن والروح القدس، تلك المشورات الأزلية الخاصة بفداء الإنسان وبركته ـ هذه الحقائق المجيدة هي التي ملأت قلب الرسول ـ بالشكر لله ولا سيما إذ سمع بإيمان أولئك المؤمنين ومحبتهم نحو جميع القديسين. وواضح أن غرض وموضوع الإيمان هو الرب يسوع المسيح، وقد سمع الرسول عن إيمانهم بالرب له المجد، فمع أن الإيمان هو عمل سري يربط القلب بالمسيح إلا أن له صوتاً مسموعاً. إنه كنور الشمس الذي يشرق في كل مكان والتي «لا شئ يختفي من حرِّها» (مز ٦:١٩). ولقد قيل عن المؤمنين في تسالونيكي بأنهم قد صاروا قدوة للآخرين لأنه في كل مكان قد ذاع إيمانهم بالله (١تس ١: ٧).

وكما أن غرض وموضوع الإيمان هو الرب يسوع المسيح كذلك فإن غرض وموضوع المحبة هو «جميع القديسين» فحيثما يوجد إيمان صحيح بالرب يسوع فهناك تكون المحبة الصحيحة لجميع القديسين. إن المحبة للقديسين هي من أعظم البراهين على صحة الإيمان والولادة الجديدة. إنها (أي المحبة) هي الثمر الإلهي للإيمان الحقيقي بالمسيح «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب

الإخوة» (١يو ٣: ١٤).

ومن الأهمية بمكان أن نعى قوله «محبتكم نحو جميع القديسين» ذلك لأننا معرضون لأن تقصر محبتنا على إخوتنا الذين لهم نفس ميولنا وطباعنا وأمزجتنا، أو الذين هم نظيرنا فى مراكزنا الثقافية أو الاجتماعية أو حتى المادية أيضاً. إن هذه ليست محبة لجميع القديسين بل هى محبة لذواتنا أكثر مما هى محبة لهم. إن الجسد فينا يميل إلى محبة من لهم مثل مشاربنا وإلى تجنب من يخالفوننا فى عوائدنا أو الذين يسببون لنا أتعاباً. ليت لنا أحشاء المسيح فنحب القديسين لأنه هو يحبهم جميعاً.

مع أنه واجب علينا كمؤمنين بالرب يسوع أن نحب جميع القديسين إلا أنه لا يجوز أن تكون المحبة على حساب حق الله والمسيح، فإذا ما ظهر أى شر فى وسط جماعة المؤمنين، سواء أكان تعليمياً أم عملياً، فإنه من الواجب القضاء على هذا الشر بروح المحبة وليس التساهل فيه بدافع المحبة. فإن المحبة على حساب الحق الإلهى إهانة لاسم الرب ولمجده. إن رسول المحبة يوحنا الذى يحثنا على أن نحب بعضنا بعضاً وعلى أن نقبل المؤمنين الأمناء (٣يو ٨) يحثنا أيضاً على أن لا نقبل فى البيت من يتعدى ولا يثبت فى تعليم المسيح ولا نقول له سلام. لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة (٢يو ٩ - ١١). يجب أن يكون المكان الأول فى القلب وبين جماعة المؤمنين للرب ثم لجميع القديسين.

«كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته» (ع ١٧)

سلف القول أن هذه الصلاة موجهة إلى الله «إله ربنا يسوع المسيح» ذلك لأن ابن الله الأزلى صار إنساناً لأجل فدائنا بموته فوق الصليب. لذا صار الله إلهه بينما هو فى الوقت ذاته ابن الله الوحيد، والله الآب هو أبوه من الأزل وإلى الأبد (انظر عب ١: ٨ و ٩).

إن إله ربنا يسوع المسيح هو «أبو المجد» أى أنه نبع ومصدر كل مجد، فكل

بركاتنا السماوية هي منه ولمجده، وكما أنه هو «أبو المجد» كذلك هو «أبو الأنوار» (يع ١:١٧) و «أبو الأرواح» (عب ١٢:٩) و «أبو الرأفة» (٢كو ١:٣) وهو أيضاً «إله كل تعزية» (٢كو ١:٣) و «إله السلام» (فى ٤:٩ ، عب ١٣:٢٠ ، رو ١٥:٣٣ ، ١٦:٢٠) و «إله كل نعمة» (١بط ٥:١٠) و «إله الرجاء» (رو ١٥:١٣) و «إله الصبر والتعزية» (رو ١٥:٥). وكما أن إله ربنا يسوع المسيح هو «أبو المجد» كذلك الرب يسوع هو «إله المجد» (أع ٧:٢) و «رب المجد» (يع ٢:١) وهو أيضاً «رب السلام» (٢تس ٣:١٦) و «رب الأرباب» (رؤ ١٩:١٦).

ما أسعدنا حقاً بإلهنا وأبينا وربنا وسيدنا المبارك يسوع المسيح الذى لنا فيه كل هذه الصفات المجيدة التى لغبطتنا وسعادتنا. لاسمه المعبود المبارك كل مجد وإكرام إلى آباد الدهور كلها. آمين.

إن أول شئ طلبه الرسول فى صلاته هذه هو قوله «كى يعطيكم .. روح الحكمة والإعلان فى معرفته» وغنى عن البيان أن ليس المقصود بذلك هو أن الله يعطيهم الروح القدس فإنهم نالوه فعلاً وبه ختموا ليوم الفداء (ع ١٣). إن كل مسيحى حقيقى قد نال عطية الروح القدس، ولكن إرادة الله هى أنه يهبنا بالروح القدس الحكمة لفهم وإدراك الإعلانات الإلهية التى أودعها لنا فى الكتاب المقدس الذى هو كلمة الله. إن كل الكتاب هو موحى به من الله، ولكن الإنسان الطبيعى لا يستطيع أن يقبل ما يعلنه روح الله فى كلمته (١كو ٢:٨ و ١٤) أما المؤمن فإن الروح القدس ساكن فيه وهو الذى يهبه الحكمة والفهم لإدراك ما تعلنه كلمة الله. ثم لنلاحظ أن الرسول يصلى لأجل المؤمنين لكى يعطوا أمرين متميزين «الحكمة» و «الإعلان» أعنى أن الروح يعمل عملاً إلهياً فى الذهن فيهبه «الحكمة» التى بها يستطيع أن يفهم ويدرك «الإعلان» الإلهى أى كلمة الله، إذ أنه لا يمكن فهم هذه الكلمة إلا بواسطة الذهن المستنير بروح الله. لقد عمل المسيح له المجد هذين الأمرين لتلاميذه بعد قيامته من الأموات، فإنه «فتح ذهنهم» (لو ٢٤:٤٥) كما

أنه فتح كلمة الله أمامهم «إذ كان .. يوضح لنا الكتب» (لو ٢٤:٣٢) فبروح «الإعلان» يفتح أمامنا حق الله، وبروح «الحكمة» يفتح أذهاننا لندرك ونتقبل ذلك الحق الإلهي.

إنه، تبارك اسمه، يعطينا «روح الحكمة والإعلان» ليكون لنا إدراك أعمق أو بالحرى لننمو ونتقدم باستمرار في معرفة الله الآب والرب يسوع المسيح، وهذا هو المقصود بقوله هنا «في معرفته» (أو في كمال معرفته) ومهما نمونا في الحياة والاختبارات الروحية فإننا نحتاج إلى المزيد من روح الحكمة والإعلان في معرفته تعالى وفي معرفة ربنا يسوع المسيح وغناه الذي لا يستقصى (يو ١٦:١٤).

«مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في *القديسين*» (ع ١٨)

يستمر الرسول في صلاته لأجل المؤمنين فيقول «مستنيرة عيون أذهانكم» (أو قلبكم) [١] فكما أننا بالقلب آمنا بالمسيح «لأن القلب يؤمن به للبر» (رو ١٠:١٠) كذلك بالقلب نستطيع أن نتمتع بالحقائق والبركات الإلهية التي لنا في المسيح يسوع ربنا، أما بالذهن وحده فلا نستطيع أن نتلذذ بالرب وبالشركة الحية والعميقة معه، ولكننا بالقلب نستطيع أن نتمتع اختبارياً بما ذخره الله لنا في المسيح من غنى وأمجاد لا يستطيع الإنسان الطبيعي مهما سما ذكاؤه الذهني أن يدركها أو يستسيغها.

يطلب الرسول بولس لأجل المؤمنين بأن تستنير عيون أذهانهم (أو قلبهم) وذلك لكي يعرفوا ثلاثة أشياء جوهرية :

أولا : «لتعلموا ما هو رجاء دعوته». إن الله، تبارك اسمه، دعانا «دعوة مقدسة» (٢تي ١:٩) وبنعمته صيّرنا شركاء «الدعوة السماوية» (عب ٣:١) هذه

---

(١) جاءت كلمة «أذهانكم» في بعض الترجمات بمعنى «قلبكم» The Eyes of your heart

هى «دعوة الله العليا فى المسيح يسوع» (فى ٣:١٤). يا لغنى نعمة الله! فإنه لم يختر لهذه الدعوة المجيدة كل الحكماء والأقوياء والشرفاء بل «اختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه» (١كو ١:٢٦ ـ ٣١).

وغاية هدف هذه الدعوة هو «الرجاء المبارك» والصالح ـ الرجاء الذى لا يخزى. ولقد رأينا فى مستهل هذا الأصحاح كيف أن الله الآب قد «باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة» وهذا هو «رجاء دعوته» إنه فى يوم قريب سنكون مثله (أى مثل المسيح) وسنراه كما هو. إنه لهذه الغاية اختارنا الله ولابد أن يحقق لنا ذلك. لقد دعانا الله لحالة الكمال عندما نكون مشابهين صورة ابنه يسوع المسيح (رو ٨:٢٩ ، ١يو ٣:١ و ٢). دعانا وأعطانا هذا الرجاء ـ رجاء فداء أجسادنا. فبعد قليل سيأتى الرب يسوع المسيح ثانية وعندئذ سنتغير إلى صورته المجيدة. إن رجاءً مجيداً كهذا من شأنه أن يفصل قلوبنا من هذا العالم ومن الأشياء التى فى العالم كى نحيا حياة القداسة «كل من عنده هذا الرجاء به، يطهر نفسه كما هو طاهر» (١يو ٣:٣) هذا هو رجاء جميع أولاد الله. إنه، له المجد، سيأتى ليأخذ كل خاصته إليه. آمين. تعال أيها الرب يسوع.

ثانياً : لتعلموا «ما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين. لقد تأملنا قبلاً فى «غنى نعمته» (ع ٧) أما هنا فإن أمامنا «غنى مجده» فنحن نتمتع الآن بغنى نعمته، ولكننا بعد قليل سنحظى بغنى مجده عند امتلاكنا ذلك الميراث المجيد وتمتعنا به تمتعاً أبدياً.

إن موضوع هذا الجزء من صلاة الرسول هو «الميراث» لقد تمنى الرسول أن أولئك القديسين يعرفون غنى مجد ذلك الميراث وأن يزدادوا فى هذه المعرفة، ومن الأهمية بمكان أن نعرف غرض الرسول فى قوله «غنى مجد ميراثه **فى القديسين**» فإن هناك فكرة عند كثيرين من المؤمنين وهى أن القديسين هم ذلك الميراث الغنى

والمجيد [١] ولكن ليس هذا هو غرض الرسول أو بالحرى الروح القدس، بل المقصود هو أنه عندما يخضع الله كل الأشياء التى فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض لسيادة المسيح وسلطانه، أو بالحرى عندما يستولى على ميراثه المجيد سيستولى عليه فى قديسيه. لقد كانت أرض كنعان قديماً ميراث الله، ولما أخذها لم ينزل من السماء ليأخذها بقوته الإلهية بل امتلكها بواسطة شعبه القديم. كذلك بعد قليل سيأخذ الله ميراثه عندما يأتى المسيح - سيأخذه فى قديسيه الذين سيملكون معه. من يستطيع أن يدرك سمو وعظمة نصيبنا فى ذلك المجد؟ كم سيكون نصيبنا فى ذلك الميراث غنياً ومجيداً! عندما يرجع الرب ليأخذ ملكه المجيد، سنشاركه نحن فى ملكه السعيد - سنرى محياه البهى - سنراه كما هو وسنجلس معه فى عرشه. هذا هو غنى مجد ميراث الله الذى يريدنا أن نعرفه.

إننا لا نقرأ فى العهد الجديد أن القديسين هم ميراث الله بل بالحرى هم ورثة «ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو ٨: ١٧) إن الله يريد فى صلاحه وجوده أن الخليقة بأسرها تتمتع بالغبطة والسعادة تحت سيادة المسيح، أما نحن فقد صار لنا النصيب الأسمى فى غنى مجد ميراثه. لاسمه المعبود كل سجود وعبادة وإكرام.

«وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذى عمله فى المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات» (ع ١٩ و ٢٠).

ثالثا : هذا هو الجزء الثالث من صلاة الرسول بولس لأجل المؤمنين، فقد طلب لأجلهم بأن يعلموا **«ما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين»** - تلك

(١) إن بعض المفسرين يعتقدون بأن ميراث الله الغنى والمجيد هو القديسون، وإن كان الله كالخالق يملك كل ما فى السموات والأرض والكائنات بأسرها، ولكن غناه المجيد ليس فى هذه الكائنات مع عظمتها، ولكن فى القديسين الذين اشتراهم بأغلى ثمن أى بدم ابنه الحبيب، لذا هم ميراث الله المجيد الذين سيكونون لمسرته ولذاته فى بيته إلى أبد الآبدين.

القدرة التى تجلّت فى إقامة المسيح من الأموات. صحيح أن قدرة الله ظهرت فى عظمتها فى الخليقة، كما ظهر أيضاً جلال قدرته عندما شق البحر الأحمر وأخرج شعبه القديم من أرض مصر بيد قوية وذراع رفيعة، ولكن الروح القدس لا يلفت أنظارنا هنا إلى شئ من ذلك، بل إلى عظمة القدرة الفائقة التى تجلت فى إقامة المسيح من الأموات - إلى قيامته فقط، وليس إلى تجسده ولا حتى إلى صلبه مع أنه لا غنى لنا عنهما إذ ما كان ممكناً أن يهبنا الله غفراناً لخطايانا وحياة أبدية ولا أن يباركنا بكل بركة روحية فى السماويات لولا تجسد ربنا يسوع وصلبه، ولكن قوة الله العظمى قد ظهرت فى إقامة المسيح من الأموات. إن ربنا يسوع «قد صلب من ضعف» (٢كو ١٣:٤) فقد كان فوق الصليب واقعاً تحت دينونة الله كما كان موضوع إهانة وازدراء البشر، ولكن القيامة أنهت كل ذلك إلى الأبد. لقد انتصرت القيامة على كل الضعف الذى ظهر فى الصليب، فهو كالإنسان الكامل قد حمل خطايانا فى جسده على خشبة الصليب كما أنه هناك مجّد الله تماماً، لذا مجده الله أيضاً إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات.

إن عظمة قدرته الفائقة هى «نحونا **نحن المؤمنين**». تلك القدرة التى ظهرت فى عتقنا من العبودية للشيطان والتى صيرتنا قديسين وبلا لوم قدامه هى هى بعينها القدرة التى أقامت المسيح من الأموات وأجلسته عن يمينه فى السماويات. وهل يخطر ببال أحد أن قدرة الله التى ظهرت فى الخليقة هى لحساب المؤمن؟ ألا يبدو فكرٌ كهذا أنه أمر لا يمكن للعقل البشرى أن يصدقه؟ ولكن الواقع والصحيح هو أن لنا قوة تفوق تلك التى ظهرت فى الخليقة. أعنى أن لنا نفس القوة التى ظهرت فى إقامة المسيح من الأموات «حسب عمل شدة قوته الذى عمله فى المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات» إن هذا ما تبينه وتؤكده لنا جلياً كلمة الله، وإن كان هذا حقاً آمنا به وقبلناه فلماذا نحن إذن ضعفاء؟ لماذا نشكو من الهزال الروحى؟ السبب هو لأن إدراكنا لهذا الحق إدراك سطحى وليس

له عمق فى حياتنا، أى لأننا لم نعرف كما يجب أن عظمة قدرة الله الفائقة هى لحسابنا. إن كثيرين من أولاد الله لم يسمعوا أو يتعلموا شيئاً عن هذه القدرة الفائقة، وحتى الذين عرفوا هذا الحق وتعلموه فإنهم ليسوا جميعاً متمتعين به عملياً واختبارياً. إن معرفة هذه الحقيقة تعليمياً شئ واختبارها عملياً شئ آخر، فالله يريدنا أن نختبر هذه القدرة العظيمة والفائقة دائماً، وأن نتزود بها، ليس فى أوقات الشدائد والصعوبات فقط بلْ فى كل ناحية من نواحى حياتنا اليومية والعادية.

والذى يملأ قلوبنا سلاماً وراحة هو أن عظمة قدرته الفائقة هى «نحونا نحن المؤمنين» إذ ما كان ممكناً لأحد من القديسين أن يعرف ذلك إلا بعد إقامة المسيح من الأموات، أى أن تلك القدرة هى نحونا نحن مؤمنو العهد الجديد ـ نحن الذين آمنا بعد موت وقيامة الرب يسوع.

إن مقياس القوة التى لحسابك أيها المؤمن هو ذات القوة التى عملت فى المسيح إذ أقامته من القبر وأجلسته عن يمين أبيه فى السماويات، وإن عدم إدراك ذلك هو علة ما يشكو منه كثيرون من المؤمنين، ولا سيما فى هذه الأيام الأخيرة، من ضعف وجدوبة روحية، ولكن العلاج الإلهى الوحيد لهذه الحالة هو فى المسيح يسوع ربنا، فمتى ارتبطت قلوبنا به وشخصت عيون إيماننا إليه فإننا نختبر عملياً «قوة قيامته» ـ نختبر فى كل ناحية من نواحى حياتنا نفس القوة التى أقامته من الأموات ما دمنا سالكين فى شركة حية ودائمة معه. لقد نزل الرب يسوع إلى أقسام الأرض السفلى ـ إلى القبر، وكأن الشيطان وأجناده انتصروا وفرحوا عندما رأوه تحت سلطان الموت ولكن الله أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات، وهو هناك كالإنسان الممجد بأسمى وأرفع مجد، إلا أن الأمر الوحيد الذى ينبِّر عليه الرسول هنا هو أن القدرة التى عملت كل ذلك للرب يسوع لا زالت هى نفس القوة التى تعمل فينا نحن المؤمنين طالما لا نعطل أو نعيق عمله فينا بسبب انحرافنا أو ميلنا إلى الأمور العالمية. ليتنا نكون ساهرين لهذا بعينه فلا

نعود نشكو مرة أخرى من أنه ليست لنا القدرة على الانتصار على أية تجربة أو أية خطية تعترض سبيلنا.

«فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً» (ع ٢١)

عجيبة حقاً وعظيمة هي قدرة الله الفائقة فإن ذلك الذي مات فوق الصليب ووري في القبر قد أقامه الله من الأموات! إن الذي نزل أولاً إلى أقسام الأرض السفلى هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات، فما أكبر الفرق بين القبر الذي وُضع فيه الرب يسوع وبين المجد الذي رفعه الله إليه! إنه الآن هناك كإنسان - الإنسان الممجد والذي صار أعلى من كل الخلائق بل هو أعلى من أسمى الخلائق التي لم تتدنس كالإنسان بالخطية. أهُمْ ملائكة أو رؤساء ملائكة؟ لقد أجلسه الله عن يمينه في السمويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً. وفي يوم قريب سيستعلن ذلك عندما يأتي «ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه» (مت ٢٥: ٣١).

لقد وضع المسيح نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ولكن الله رفَّعه «وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع [١] كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (أي الكائنات الجهنمية) ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (في ٢: ٨ - ١١). نعم لقد رفَّعه الله إذ أجلسه عن يمينه في السماويات، وذلك كإنسان أو بالحري كالإنسان الفريد، لأن سموه ورفعته فوق جميع الكائنات العلوية كالله ليس شيئاً جديداً إذ هو كذلك منذ الأزل، ولكنه بناسوته سما بالإنسانية فوق هؤلاء جميعاً. إنه، تبارك اسمه، قد قام من بين الأموات كإنسان - الإنسان المُمجَّد ولا يزال عن يمين الآب كالإنسان الذي هو «فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط

---

(١) إن اسم «يسوع» هو الاسم الذي أعطي له كإنسان (مت ١: ٢١) ولكن معناه «يهوه مخلص».

بل فى المستقبل أيضاً».

ولابد من الإشارة هنا مرة أخرى إلى هذه الحقيقة المباركة، وهى أن عظمة قدرة الله الفائقة التى أقامت المسيح من الأموات وأجلسته عن يمين الآب فوق كل رياسة وسلطان وقوة وو ... الخ هى نفس القدرة التى من نحونا نحن المؤمنين. ليت القارئ العزيز يمسك بهذا الحق الثمين ويفرح ويتمتع به عملياً وباستمرار.

«وأخضع كل شئ تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شئ للكنيسة *التى* هى جسده ملء *الذى* يملأ الكل فى الكل» (ع ٢٢ و٢٣).

تأمل ملياً فى هذه الإعلانات الإلهية المباركة، فإن ربنا يسوع المسيح، الذى أجلسه الله عن يمينه فى السماويات فوق كل الخلائق التى تُرى والتى لا تُرى، قد أخضع (الله) كل شئ تحت قدميه، وليس ذلك فقط بل جعله رأساً فوق كل شئ للكنيسة. وجدير بالملاحظة أنه لا يقول هنا إنه جعله «رأساً فوق الكنيسة» بل «رأساً فوق كل شئ للكنيسة» أى أن الإنسان الكامل ربنا يسوع المسيح، المُقام من الأموات والمُمجّد والذى أعطاه الله سلطاناً ومركزاً فوق كل شئ، جعله رأساً للكنيسة، فالكنيسة ستشاركه فى سيادته ومركزه فوق كل شئ، ولكنها ستشاركه فى ذلك كجسده المُتحد والمُقترن به بدون انفصال عنه. إن الله قد أخضع **كل شئ** - كل الخلائق المنظورة وغير المنظورة تحت قدميه، أخضع هذه كلها **تحت** قدميه باستثناء شئ واحد وهو «الكنيسة»، فإن مركزها ليس تحت قدميه لأنها هى جسده. نعم إنه نصيب صالح بل هو شرف عظيم أننا نأخذ مركزنا عند قدميه - أن نجلس **عند** قدمى سيدنا المعبود نسمع كلامه ونتعلم منه (لو ١٠: ٣٩ - ٤٢) ولكن مركزنا كمقترنين به ليس تحت قدميه «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠).

إن ربنا يسوع الإنسان الكامل له المركز الأسمى **فوق** كل خليقة الله، وهو، تبارك اسمه سيشركنا معه فى ذلك المركز، وسيستعلن ذلك أمام الخلائق بأسرها.

إن المسيحى الحقيقى هو عضو فى جسد المسيح. هو عضو فى ذلك الجسد **الآن** وليس فيما بعد فقط، وهذا يرينا سمو الدعوة التى دعينا إليها وكيف أن الله ينتظر منا انفصالاً عن هذا العالم الشرير وعن كل ما فى العالم. نحن خاصة المسيح وأعضاء جسده لذا يريدنا أن نسمو بقلوبنا وعواطفنا فوق مشهد هذا العالم الحاضر الموضوع فى الشرير.

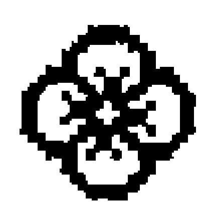
إن الكنيسة هى ملء المسيح أو بعبارة أوضح هى الأعضاء المكملة للمسيح كالإنسان المُقام من الأموات. إنه كابن الله هو، بلا شك، ليس محتاجاً إلى شئ، ولكنه كإنسان وكرأس الجسد الممجد هو فى حاجة إلى بقية الأعضاء، أعنى الكنيسة، لتكمِّل هذا الجسد. فقد كان قصد الله الأزلى، أن ربنا يسوع يُشرك معه فى مجده، كالإنسان المقام من الأموات والممجد، أولئك الذين كانوا خطاة تعساء ولكنهم أُنقذوا من تعاستهم وصاروا واحداً مع المسيح، وذلك لحمده ومدح مجده طوال الأبدية.

تفكَّر فى هذا؛ فقد كنا خطاة هالكين ولا نستحق شيئاً سوى دينونة الله الرهيبة، ولكنه، تبارك اسمه، قد خلصنا بنعمته الغنية، وليس ذلك فقط بل صيَّرنا أعضاء جسد المسيح، هذا الجسد المكمِّل له كإنسان بينما فى الوقت ذاته هو الله «الذى يملأ الكل فى الكل[1]».

حقاً ما أسمى ما أوصلتنا إليه النعمة الغنية وبالتبعية ما أخطر مسئوليتنا فى أن نظهر المسيح فى حياتنا فى هذا العالم! أن نعلن محبته ونعمته وقداسته وكراهته للخطية، كما نعلن أيضاً شفقته على الخطاة فى اهتمامنا

(١) إن ربنا يسوع باعتباره الله الخالق لكل الكائنات «يملأ الكل» «فإنه فيه خُلق الكل .. الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل» (كو ١:١٦ و ١٧) كما أنه يرى «فى الكل» باعتباره الضابط أو الحافظ لكل الخليقة والمهيمن عليها «الحامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب ١:٣). وجاء فى إحدى الترجمات العربية «وملء الذى يملأ الجميع فى كل شئ».

باقتيادهم إليه وإلى غنى نعمته. لقد تركنا فى هذا العالم لنظهره ولنظهر محبته للعالم الذى رفضه وصلبه. ليتنا ننهض لندرك كما ينبغى عظم مسئوليتنا مدة وجودنا فى هذا العالم إلى أن يجئ.



الأصحاح الثانى

رأينا فى بدء تأملاتنا فى هذه الرسالة أن موضوعها هو «**المسيح والكنيسة**» والعلاقة الوثيقة والأبدية التى بينهما. هذه العلاقة التى يرسمها لنا الروح القدس فيها (أى فى الرسالة) فى صور متنوعة، ورأينا أيضاً كيف أن الروح القدس يقدم لنا فى الأصحاح الأول، العلاقة التى بين المسيح والكنيسة مرسومة فى صورة «جسد» وأن ربنا يسوع المسيح هو رأس هذا الجسد، والكنيسة التى هى جميع المؤمنين المولودين من الله فى عهد النعمة هذا (أى العهد الجديد). هذه الكنيسة هى جسد المسيح، والمؤمنون أفراداً هم أعضاء هذا الجسد. إن «الرأس» هو الآن فى السماء، وقد أتى الروح القدس إلى العالم بعد أن ارتفع المسيح إلى السماء ليقود النفوس إلى المسيح، أى ليجمع أعضاء هذا الجسد، وعندما يكمل هذا الجسد سيأتى الرب يسوع «رأس الجسد» ليضم إليه جميع الأعضاء ليكونوا معه كل حين فى مجده.

أما فى هذا الأصحاح (الثانى) فإن الروح القدس يرسم أمامنا المسيح والكنيسة فى صورة «بناء» وأن المؤمنين الحقيقيين هم «بيت الله» المبنيون على «أساس الرسل والأنبياء» (أى أنبياء العهد الجديد)، وأن ربنا يسوع المسيح هو «حجر الزاوية» الذى يلازم كل البناء من بدايته - من الأساس إلى أن يكمل هذا البناء «الذى فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً فى الرب. الذى فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله فى الروح» (٢:١٩ - ٢٢). فهو، له المجد، حجر الزاوية، بل هو الذى بنفسه يبدأ ويتمم البناء «أبنى كنيستى» (مت ١٦:١٨) فكما أن المسيح ربنا هو رأس الجسد كذلك هو «حجر الزاوية» الذى يربط ويصون

البناء ويضمن سلامته إلى النهاية (٢: ٢٠، إش ٢٨: ١٦، زك ٤: ٧، ١بط ٢: ٦) هو «حجر الزاوية» كما أنه أيضاً «رأس الزاوية» (مز ١٨: ٢٢، مت ٢١: ٤٢، مر ١٢: ١٠، لو ٢٠: ١٧، أع ٤: ١١، ١بط ٢: ٧) هذه هى الصورة الجميلة الثانية التى فيها يرسم الروح القدس أمامنا العلاقة الوثيقة والأبدية التى بين المسيح والكنيسة.

ويرينا الروح القدس فى هذا الأصحاح كيف أنه كان لازماً وضرورياً أن يخلق الله خليقة جديدة، أعنى أن يخلق من جديد الإنسان الذى خلقه أولاً على صورته (تك ١: ٢٧) ولكنه بسبب عصيانه سقط من المركز الرفيع الذى أوجده الله فيه، لذا فى ملء الزمان تجسّد ابن الله المبارك، إذ وُلد من عذراء وعاش عيشة الطهارة الفريدة ومات موته الكفارى فوق الصليب وقام من الأموات وذلك ليرد إلى الله هذه الخليقة الساقطة، وهذا ما يبينه لنا روح الله فى هذا الأصحاح. إنه يرينا حاجتنا كبشر ساقطين إلى أن نصير خليقة جديدة راسماً أمامنا صورتنا المزرية والبغيضة التى كنا عليها قبل أن خلصتنا نعمة الله الغنية.

إنه يرينا أيضاً كيف أن البشر الخطاة قد انفصلوا عن الله :

أولاً : بسبب موتهم روحياً (ع ١ ـ ١٠).

ثانياً: بسبب بعدهم عن الله، ولا سيما الذين من الأمم (ع ١١ ـ ٢٢).

***

أولاً : الانفصال عن الله بسبب الموت روحياً (ع ١ ـ ١٠) :

يستعمل الرسول فى هذا الجزء (الأول) من هذا الأصحاح أسلوباً خاصاً، فهو يقدم لنا الحقائق المتضمنة فيه فى أربع مجموعات ثلاثية ـ أى أن كل مجموعة مكونة من ثلاث حلقات :

[١] **المجموعة الأولى** : هى أعداء الإنسان الثلاثة : «العالم (ع ٢)، «الشيطان» الذى هو «رئيس سلطان الهواءِ الروح » (ع ٢)، و«الجسد» (ع ٣).

[٢] **المجموعة الثانية :** هى النتائج البغيضة الثلاث لما عمله هؤلاء الأعداء الثلاثة للبشر وهى : «الموت بالذنوب والخطايا» (ع ١)، ثم صيرورتهم «أبناء المعصية» (ع ٢)، وبالتبعية صاروا «أبناء الغضب» (ع ٣).

[٣] **المجموعة الثالثة المباركة :** هى وسائل الله العظيمة والعجيبة لخلاص الإنسان وبركته وهى : «الرحمة الغنية» (ع ٤)، «والمحبة الإلهية الكثيرة» (ع ٤)، «والنعمة الغنية والفائقة» (ع ٥ و ٧).

[٤] **المجموعة الرابعة :** هى النتائج الثلاث المجيدة للوسائل الإلهية الثلاث وهى : أحيانا مع المسيح» (ع ٥)، «وأقامنا معه» (أو معاً) (ع ٦)، «وأجلسنا معه (أو معاً) فى السماويات فى المسيح» (ع ٦).

ثم لنلاحظ حقيقة هامة أخرى وهى أنه يضع أمامنا فى هذه الأعداد «ماضينا» (ع ١ ـ ٣) و «حاضرنا» (ع ٤ ـ ٦) و «مستقبلنا» (ع ٧). تبارك اسمه المعبود فكما أنه يذكّرنا بماضينا المخزى فإنه يفرِّحنا بحاضرنا السعيد وبمستقبلنا المجيد.

***

«وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا» (ع١)

إنه بقدر ما يزداد إدراكنا نحن المؤمنين لحالتنا التى كنا عليها بحسب الطبيعة، بهذا القدر عينه يزداد تقديرنا لما عملته نعمة الله لأجلنا وفينا وبالتالى يزداد سجود وتعبد قلوبنا له، فإننا لم نكن قبلاً مجرد ضعفاء أو مرضى روحياً، وأن شيئاً من الإصلاح أو التهذيب كان كافياً لمعالجة حالتنا. كلا بل كنا أمواتاً بالذنوب والخطايا. هذا ما تعلنه لنا كلمة الله بوضوح. يا لها من لطمة يوجهها الوحى الإلهى للإنسان الطبيعى أو لكل من يعتد ببره الذاتى. لقد كنا عاجزين عن أن نخلص أنفسنا لأن الإنسان الميت لا يستطيع أن يفعل شيئاً به يحيى نفسه، فهو ميت روحياً، وطالما يبقى بعيداً عن الرب يسوع مصدر الحياة فهو ميت وليس فيه نبضة حياة لله. إنه ميت بالذنوب والخطايا، فهو ليس مجرد

مذنب أو خاطئ يحتاج إلى غفران خطاياه، ولكنه ميت روحياً ومحتاج إلى ما هو أكثر من غفران الخطايا ـ محتاج إلى حياة إلهية جديدة، لهذا كان ينبغى أن يولد ولادة جديدة. أى أن ينال من الله حياة جديدة بالإيمان بالرب يسوع المسيح.

تعلمنا كلمة الله أنه يوجد ثلاث أنواع من الموت : **(١) الموت الجسدى**، أى انفصال الروح عن الجسد (١كو ١٥:٢١ و ٢٢). **(٢) الموت الروحى** أى انفصال الإنسان عن الله (٢:١ ، ١٨:٤ ، ١يو ١٢:٥). **(٣) الموت الأبدى** أى الطرد من محضر الله والطرح فى بحيرة النار (١كو ٩:٦ و ١٠ ، ٢تس ٩:١ ، رؤ ١٥:٢٠).

أما فى هذا الفصل (ع ١) فإن الرسول يتكلم عن النوع الثانى أعنى الموت روحياً. وكلمة الله تعلن بكل وضوح فى فصول عديدة أن كل البشر هم أموات روحياً، وسواء صدّق الناس ذلك أو لم يصدقوا فهم أموات روحياً «أموات بالذنوب والخطايا» وبدون قبول المسيح الذى هو «الحياة الأبدية» فإنهم يبقون فى حالة الموت روحياً (تك ١٧:٢ ، رو ١٢:٥) ثم يموتون موتاً جسدياً وفى النهاية يموتون موتاً أبدياً ـ «الموت الثانى» (عب ٢٧:٩ ، رؤ ٦:٢٠). ومهما حاول البشر أن يصلحوا ذواتهم لكى يحيوا لله فلا فائدة لأنهم أموات روحياً، قال واحد من رجال الله «إنك لا تستطيع أن تحيا لله ما لم تأخذ حياة من الله».

كان أحد خدام الرب الموهوبين يعقد اجتماعات تبشيرية فى قاعة بإحدى جمعيات الشبان المسيحية، وفى يوم من الأيام أراه سكرتير تلك الجمعية ورقة (كارتاً) مطبوعاً عليها هذه الكلمات «*أتعهد بكل أمانة أن أحيا حياة دينية مسيحية*» ثم فى ذيل الوريقة مكان ليوقع فيه كل متعهد بإمضائه، وقال السكرتير لخادم الرب «ما رأيك فى هذا التعهد؟ أليست هذه وسيلة نافعة؟» فأجابه خادم المسيح «كيف يستطيع أى إنسان فى العالم، وهو ميت روحياً أن يحيا حياة مسيحية؟ وما الفائدة التى تعود على الإنسان الخاطئ من تعهد مثل هذا؟ إنك لا تستطيع أن تحيا حياة مسيحية ما لم تأخذ حياة جديدة من المسيح».

لسنا ننكر أن هناك بين البشر درجات من حيث العيشة فى الذنوب والخطايا، فليس الكل فى مستوى واحد من حيث الأخلاق والصفات الأدبية وليسوا جميعاً نظير بعضهم البعض فى ارتكاب الشرور والآثام، إلا أنهم جميعاً أموات روحياً بالرغم مما بينهم من تفاوت فى الصفات والأخلاق. لقد كانت ابنة يايرس ميتةً من دقائق قليلة عندما أتى الرب يسوع إلى بيت أبيها، ولكنها كانت ميتة وبدون حياة. ربما كان منظرها لا يزال نضراً، وكانت لا تزال جميلة فى عيون والديها إذ لم يكن قد تطرق الفساد إلى جسدها، ومع ذلك فقد كانت ميتة. كذلك عندما ذهب الرب، له المجد، إلى نايين رأى الذين يحملون الابن الوحيد لأمه الأرملة (لو ٧: ١١ - ١٧) لقد كان ذلك الشاب ميتاً من يوم أو يومين وبذا لم يكن منظره الخارجى نضراً كما كانت ابنة يايرس، ومع ذلك لم يكن هناك فرق بينهما إذ كان كل منهما ميتاً نظير الآخر. ثم إن ربنا المبارك أتى أيضاً إلى بيت عنيا وإلى حيث كان قبر لعازر، وإذ قال للواقفين «ارفعوا الحجر» اعترضت مرثا أخت الميت قائلة «يا سيد قد أنتن لأن له أربعة أيام» ولكن الرب يسوع وهب الحياة لذاك الذى مات وبقى فى القبر أربعة أيام حتى فسد جسده وأصبح نتناً. ومع ذلك فإنه لم يكن هناك، من حيث الموت، فرق بين ابنة يايرس وابن أرملة نايين وبين لعازر، فالكل كانوا أمواتاً على السواء «لأنه لا فرق» والكل كانوا فى حاجة إلى رئيس الحياة - ابن الله المبارك لكى يهب كلا منهم نفس قوته المحيية.

كذلك نحن أيضاً كنا كلنا بدون استثناء أمواتاً روحياً قبل أن يهبنا المسيح حياة أبدية. صحيح أن البعض منا كانوا عائشين عيشة الفجور والفساد بينما كان البعض الآخر لم يتورط ولم يتوغل فى الذنوب والخطايا ومع ذلك فجميعنا كنا أمام الله أمواتاً واحتجنا إلى حياة إلهية جديدة من نبع ومصدر الحياة، الرب يسوع المسيح.

«التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية» (ع ٢)

جدير بنا أن نراعى دقة التعبير هنا فإن الروح القدس يضع أمامنا كلمتين للتعبير لا عن حالتنا الحاضرة بل عن الحالة التى كنا عليها قبل تجديدنا وهما «كنتم» (ع ١) و «قبلاً» (ع ٢) فقد كنا أمواتاً بالذنوب والخطايا التى سلكنا فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم. حقاً ما أبشع هذا النوع من الموت! الموت الروحى أعنى الانفصال الكلى عن الله والسلوك بحسب مبادئ هذا العالم الشرير، فلم يكن فينا أى ميل أو رغبة فى أن نسير أو نسلك بحسب إرادة الله، ولقد وصف أيوب قديماً الحالة التى كنا عليها قبلاً والتى لا يزال عليها كل البعيدين عن الله وصفاً صادقاً إذ قال «فيقولون لله إبعد عنا وبمعرفة طرقك لا نُسر. من هو القدير حتى نعبده وماذا ننتفع إن التمسناه» (أي ٢١:١٤ و ١٥) يا لها من حالة مروعة، فإن من يبعد الله عن نفسه الآن لابد أن يواجهه فيما بعد كالديان، ومن يرفض خلاص الله أو بالحرى يزدرى بالمخلِّص الوحيد من دينونة الخطايا فلابد أن يقابله فى خطاياه فيهلك إلى الأبد.

لقد كنا سالكين «حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء» وهذا التعبير «رئيس سلطان الهواء» يبين كيف أن سيادة رئيس الملائكة الأشرار سيادة شاملة فى هذا العالم، فكما أن الهواء يتخلل كل الأشياء كذلك إبليس فى العالم. إنه إله هذا الدهر، أما القديسون الذين ولدوا ثانية فقد أنقذوا من سلطان الظلمة ونقلوا إلى ملكوت ابن محبة الآب (كو ١:١٣) بينما غير المخلصين لا يزالون عبيداً فى مملكة إبليس. إن عمل الشيطان هو أن يبعد الناس عن الله إذ يوجدهم، بإرادتهم، فى حالة العمى الروحى «لئلا تضئ لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله» (٢كو ٤:٤).

هذا هو وصف الله الصادق لحالتنا قبل إيماننا بالرب يسوع المسيح، كما أن هذه هى الصورة الحقيقية لغير المخلصين فإنهم لا يزالون عبيداً لرئيس سلطان الهواء

«الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية» حقاً ما أتعس النفس التى لم تلجأ بعد إلى المخلص الوحيد ربنا يسوع المسيح! وما أسعد النفس التى تذوقت غبطة العتق من عبودية إبليس بقوة ذاك الأقوى الذى استطاع أن يربط القوى وينهب أمتعته!

لقد كنا «أبناء المعصية» هذه المعصية التى ورثناها من أبينا الساقط آدم، ولكن تبارك اسم إلهنا وربنا يسوع المسيح الذى بإطاعته حتى الموت صيرنا «أولاد الطاعة» (١بط ١:١٤) حقاً ما أكبر وأعظم الفرق بين ما أورثنا إياه الإنسان الأول وما أورثنا إياه الإنسان الثانى الرب يسوع المسيح «لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً» (رو ٥:١٩).

يا له من امتياز نقلنا من حالتنا كأبناء المعصية وصرنا بنعمة إلهنا أولاد الطاعة، وكما أن هذا امتياز مبارك، فإنها مسئولية خطيرة بأن نسلك كما يليق بهذه النسبة المباركة «كأولاد الطاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة فى جهالتكم بل نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة» (١بط ١:١٤ و١٥).

مسكين حقاً هو الإنسان البعيد عن الله ـ الإنسان الترابى الحقير الذى يعيش كل حياته فى حالة العصيان على الله وعلى إرادته المقدسة، وفى الوقت نفسه ما أعجب أناة الله على البشر التعساء «أبناء المعصية»! ولكن إمهال الله محدود بساعة النعمة ويوم الخلاص فلابد أن يجئ الوقت الذى فيه تنتهى سنة الرب المقبولة وعندئذ يبدأ «يوم الانتقام» ـ يوم القضاء الرهيب والدينونة المروعة. ليت القارئ العزيز، إن كان لم يلجأ بعد إلى الرب يسوع المخلص الوحيد، ليته يأتى إليه الآن قبل فوات الفرصة «هوذا الآن وقت مقبول هوذا اليوم يوم خلاص .. اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم».

«الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً» (ع ٣)

ينتقل الرسول فى كتابته هنا من صيغة المخاطب «أنتم» (ع ١) إلى صيغة المتكلمين «نحن» وذلك لأنه إذ كان يوجه كلامه إلى المؤمنين فى أفسس الذين كانوا من الأمم فإنه يقول لهم «أنتم» ولكنه إذ يضم إليهم اليهود أيضاً الذين كان هو واحداً منهم، يقول «نحن» مبيناً ومحققاً بذلك بأنهم (أى اليهود) كانوا جميعاً نظيرهم أمواتاً بالذنوب والخطايا «الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم (أى بين الأمم) فى شهوات جسدنا». هذه الحقيقة يوضحها الرسول بأكثر تفصيل فى رسالته إلى أهل رومية أصحاح ٣ «فماذا إذاً. أنحن (اليهود) أفضل؟ كلا البتة. لأننا قد شكونا (أى أقمنا الحجة فى الأقوال السابقة) أن اليهود واليونانيين (أى الأمم) أجمعين تحت الخطية. كما هو مكتوب إنه ليس بار ليس ولا واحد» لأنه إذ يُقاس البشر جميعاً أمام الله بمقياس قداسته التى أعلنها فى المسيح، فإنهم جميعاً يقفون على قدم المساواة «أمواتاً» روحياً وهل هناك درجات فى الموت؟ كلا. فإنه إذا ما مات إنسان ما فقد انتهى ولم يبقَ له وجود، هكذا كنا جميعاً، أمماً ويهوداً على السواء - أمواتاً روحياً ومتجنبين عن حياة الله. هذا ما يؤكده الرسول هنا بقوله «الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار» هذا هو الوصف الحقيقى لجميع الناس بغير استثناء. قد يكون بينهم أناس أدبيون أو محسنون، أو قد يكون بينهم علماء أو فلاسفة، ولكن المحك الوحيد لأفضل البشر اللطفاء والمحسنين هو: هل فيهم نبضة حياة إلهية أو دافع روحى لعمل مشيئة الله؟ كلا. قد يجتهدون فى تحسين أو تهذيب طبائعهم ومع ذلك فسيبقى الله بعيداً عن أفكارهم وليس له مكان فى قلوبهم. هذه هى حقيقة حالة الجميع - اليهود والأمم على السواء.

إن الرسول يشير هنا إلى نوعين من الرغائب والشهوات، أعنى مشيئات

الجسد والأفكار - أي رغائب «الجسد» وشهواته الدنيئة، وأيضاً «الأفكار» الإنسانية حتى وإن كانت مهذبة، فإن هذه وتلك مصدرها الطبيعة البشرية الساقطة «المولود من الجسد جسد هو». هب أن إنساناً كرّس نفسه لخدمة العلم [١] وجعله هدف حياته الوحيد، فهل يعتبر تكريسه هذا بحسب مشيئة الله؟ كلا. بل بالحرى هو انغماس في عمل مشيئات ورغائب «الأفكار» الإنسانية ولا يختلف في عمله هذا عن غيره ممن يعيشون في شهوات الجسد - «العاملين مشيئات الجسد». إن الكبرياء ومحبة الذات والاهتمام بالأمور العالمية وغيرها هي من رغبات ومشيئات الذهن ولا تختلف شيئاً، أمام الله عن الشهوات الجسدية.

إن الأصحاحات الثلاثة الأولى من رسالة رومية ترسم أمامنا صورة بغيضة لمشيئات وشهوات الجسد بينما الأصحاحات الثلاثة الأولى من رسالة كورنثوس الأولى (حيث الافتخار بالعلم والمعرفة الإنسانية) ترينا صورة لمشيئات الأفكار، وكل نوع منهما شرير أمام الله كالآخر تماماً. إن الحقيقة الجوهرية هي أني لست ملكاً لنفسي بل لذاك الذي اشتراني بدمه الكريم ووهبني حياة أبدية بل هو حياتي. فهل يليق بي أن أعمل مشيئات الجسد والأفكار؟ أليس من واجبي بل هو امتياز لي أن لا أحيا لنفسي بل لذاك الذي مات لأجلي وقام؟

فأنا لست لذاتي ... ليس لي شئ هنا
كل ما عندي لفادي ... الخلق وهّاب المُنى
إذ فداني إذ فداني ... ذاك بالدم الكريم

«وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً» هذا ما كنا عليه قبلاً - «أبناء الغضب» لأننا بالإثم صورنا وبالخطية حبل بنا، لقد ولدنا بالخطية وفي الخطية - نجسين ملوثين بالاثم. هذه صورة صحيحة لجميع الناس بغير استثناء - حتى لأفضل

(١) لسنا نقصد بهذا أن نبخس قيمة العلم لكن متى كان هذا العلم هدف وغاية الحياة فإنه يعتبر من «مشيئات الأفكار».

البشر كما لأشر الناس، لليهود كما للأمم على السواء لذا «كنا بالطبيعة أبناء الغضب» على أن الله لم يخلق الإنسان هكذا، ولكن الإنسان فضل العلاقة مع الشيطان بدلاً من الله، فأصبح ابناً للمعصية وبالتالى ابناً للغضب، حقاً ما أتعس حالة كهذه ولكن الله فى لطفه وصلاحه ونعمته قد أنقذنا من هذه الحالة التعسة بواسطة ابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح وبعمله لأجلنا فوق الصليب.

«الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلصون» (ع ٤ و ٥)

تأملنا فى الثلاثة أعداد السابقة فى المجموعتين الأولى والثانية، أعنى أعداء الإنسان الثلاثة وهم العالم والشيطان والجسد، ثم فى النتائج الثلاث لما عمله هؤلاء الأعداء للبشر وهى الموت بالذنوب والخطايا ثم صيرورتهم أبناء المعصية وبالتبعية أبناء الغضب.

إن أمامنا الآن المجموعة الثالثة المباركة وهى وسائل الله الثلاث لخلاص الإنسان وبركته، وهى الرحمة الغنية، والمحبة الإلهية الكثيرة، والنعمة الغنية الفائقة (ع ٤ و ٧) :

[١] **الرحمة الغنية** : لقد كنا أمواتاً روحياً، ضعفاء وعاجزين عن خلاص أنفسنا، ولكن الله «الغنى فى الرحمة» تداخل فى أمر خلاصنا وإحيائنا. يا لسمو هذا الغنى الإلهى الكامل! لقد رأينا فى الأصحاح الأول «غنى نعمته» (ع ٧) «وغنى مجده» (ع ١٨) وهوذا هنا نرى «غنى رحمته» فلم يكن إلهنا رحيماً فحسب، ولكن غنياً فى الرحمة، وهذا ما كنا نحتاج إليه، فقد كنا أمواتاً متجنبين عن حياة الله، ولكنه أظهر غنى رحمته فى إنقاذنا من بؤسنا وتعاستنا وفى منحنا حياة أبدية.

[٢] **المحبة الكثيرة** : كما أن الله غنى فى رحمته، كذلك هو عظيم فى

محبته « من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها » فالرحمة الغنية التى أدركتنا أتت إلينا من قلب الله الملئ والفائض بالمحبة من نحونا نحن الخطاة. وكما أن رحمته غنية هكذا محبته لنا كثيرة «الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » (رو ٥: ٨) نعم لقد أحبنا بهذه المحبة العظيمة «ونحن أموات بالخطايا » «بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به. فى هذا هى المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا » (١يو ٤: ٩ و ١٠).

[٣] **النعمة الغنية** : حقاً ما أعجب هذا! فإن الله الغنى فى رحمته والعظيم فى محبته هو غنى أيضاً فى نعمته. تبارك اسمه المعبود. فإنه لم يكن فينا شئ طيب أو صالح يستميل قلبه إلينا. بل هى النعمة الغنية الفائقة التى أدركتنا «بالنعمة أنتم مخلصون» فلم يكن الله غنياً فى الرحمة فقط ـ الرحمة التى بها نظر إلينا فى بؤسنا وتعاستنا فأنقذنا منها، ولكنه أجزل لنا نعمته أيضاً.

إن الرحمة هى إنقاذ البائس من بؤسه والتعيس من تعاسته والفقير من فقره، أما النعمة فإنها تعمل أكثر من ذلك. إنها تغدق الخير والإحسان والبركة إلى من ليسوا أهلاً لشئ منها «بالنعمة أنتم مخلصون» إنها لا تهب مجرد غفران للخطايا بل أكثر من ذلك ـ تهب براً إلهياً مجانياً. لقد طلب الابن الضال رحمة من الموت جوعاً ولكن الآب غمره بنعمة غنية فائقة لم تكن تخطر له ببال (لو ١٥).

بقى علينا أن نتأمل فى المجموعة الثلاثية الرابعة والأخيرة أعنى فى النتائج الثلاث المجيدة للوسائل الإلهية الثلاث التى سبق التأمل فيها ـ هذه النتائج التى تعتبر بحق معجزات الرحمة والمحبة والنعمة.

[١] **« أحيانا مع المسيح »** هذه هى المعجزة الإلهية الأولى التى عملها الله فى رحمته الغنية ومحبته الكثيرة ونعمته العجيبة، فإنه تبارك اسمه « أحيانا مع المسيح» وهذا ما كنا نحتاج إليه. لقد كنا أمواتاً روحياً ـ أمواتاً بالذنوب

والخطايا، ولكن الله الغنى فى الرحمة والعظيم فى المحبة «أحيانا مع المسيح» فإحياؤنا أى منحنا الحياة الأبدية مرتبط بربنا يسوع المسيح المُقام من الأموات. ذلك لأن الحياة الأبدية هى فى الابن « .. أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه. من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة» (١يو ٥: ١١ و ١٢). لقد أتى المسيح لكى تكون للمؤمنين به حياة وليكون لهم أفضل (أى حياة سامية وفضلى) وذلك على أساس إتمامه عمل الفداء وقيامته من بين الأموات.

وكما أن الكل - اليهود والأمم بدون استثناء - كانوا أمواتاً بالذنوب والخطايا، كذلك فإن الله من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها أحيانا (معاً) [١] مع المسيح أى أحيانا نحن المؤمنين بالمسيح من اليهود والأمم على السواء - أحيانا مع المسيح. وهل ننسى الكلفة الكبيرة التى تكلفها الله فى سبيل إحيائنا من الموت؟ لقد بذل ابنه الحبيب لكى نحيا به. «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» لقد مات ربنا يسوع المسيح واحتمل فوق الصليب دينونة الله العادلة. مات رئيس الحياة فأبطل الموت وأنار الحياة والخلود. نعم لقد مات القدوس تحت دينونة الله المروعة. مات البار موتاً فريداً فى نوعه - موتاً لم يذق مثيله واحد من البشر الخطاة، وذلك لكى يهب الحياة الأبدية لأشر الخطاة الذين يضعون ثقتهم فيه وفى كفاية عمله لأجلهم فوق الصليب.

«وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع»

(ع ٦)

[٢] **«وأقامنا معه»** : هذه هى المعجزة الثانية التى عملها الله فى رحمته الغنية ومحبته الكثيرة ونعمته الفائقة الإدراك، فقد «أقامنا معه» أو بالحرى

---

(١) جاءت هذه العبارة فى ترجمات عديدة هكذا :

Hath quickened us together with Christ .

«أقامنا معاً وأجلسنا معاً فى السماويات فى المسيح يسوع [1]» فلم يكتف الله بأن وهبنا حياة أبدية بل أقامنا أيضاً **معاً** (أى المؤمنين بالمسيح من اليهود والأمم) ـ أقامنا مع المسيح.

عندما أتت النساء إلى قبر المسيح، قال الملاكان لهن «لماذا تطلبن الحى بين الأموات؟ ليس هو ههنا لكنه قام» (لو ٢٤:٥) فما كان ممكناً أن الحى يبقى بين الأموات، وهذا ما عملته نعمة الله، تبارك اسمه، لم يهبنا الحياة فقط ولكنه أقامنا أيضاً (معاً) مع المسيح. فإن كنا كمسيحيين حقيقيين قد قمنا مع المسيح إذن يجب علينا أن نطلب ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله وأن نهتم بما فوق لا بما على الأرض (كو ٣:١ و ٢).

[٣] **«أجلسنا معاً فى السماويات فى المسيح يسوع»** : هذه هى معجزة الرحمة والمحبة والنعمة الثالثة. هذا ما صنعه معنا الله، له المجد. هذا هو مقامنا ونحن هنا على الأرض، وذلك بسبب اتحادنا بالمسيح رأسنا. إن ربنا يسوع الذى أقامه الله من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات هو رأس الجسد، وحيث أن المؤمنين الحقيقيين هم أعضاء جسده، فلا يمكن أن يُرى الجسد مستقلاً عن الرأس أو منفصلاً عنه. فكما أن المسيح الرأس قد أجلسه عن يمينه فى السماويات (١: ٢٠) كذلك قد أجلسنا الله فى السماويات فى المسيح. هذا هو مركزنا ومقامنا الآن «فى السماويات فى المسيح يسوع» وبعد قليل سيأتى الرب ليأخذنا إليه وعندئذ سنكون «مع المسيح». أما الآن فإننا ونحن هنا على الأرض فإن الله قد أجلسنا معاً (أى المؤمنين من اليهود والأمم) فى السماويات فى المسيح يسوع. وكما كان رئيس الكهنة فى العهد القديم يحمل على صدره وعلى كتفيه أسماء الأسباط الاثنى عشر عند دخوله إلى قدس الأقداس، وكانوا يُرون فيه، هكذا نحن

---

(١) جاءت هذه الآية فى ترجمات عديدة هكذا :

"And has raised us up together, and made us sit together in heavenly plac-esin Christ Jesus".

نُرى الآن فى المسيح، وهذا مقام سماوى لجميع المؤمنين الحقيقيين بغير استثناء، وليس هو حالة عملية أو اختبارية ولو أن حالتنا العملية والاختبارية يجب أن تكون متوافقة مع هذا المركز السماوى.

«ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع» (ع ٧)

هنا نرى الغاية القصوى التى لأجلها فاضت علينا الرحمة والمحبة والنعمة الإلهية. إن غاية الله العظمى والتى كانت فى قصده منذ الأزل هى أن يظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع، فإنه تبارك اسمه، لم ينظر إلينا وإلى ما كنا نحتاج إليه كخطاة مساكين ومعوزين بل نظر إلى ما فيه مجده ومجّد ابنه الحبيب إلى آباد الدهور كلها.

إن الله سيظهر غنى نعمته لا فى «الدهر الآتى» أعنى المُلك الألفى السعيد فقط، بل «الدهور الآتية» أى الأبدية التى لا نهاية لها، إذ أن قصده الأسمى فى عمل الفداء ليس هو مجرد خلاص وسعادة المفديين بل إظهار غنى نعمته الفائق لجميع الكائنات، فالملائكة ورؤساء الملائكة بل والشياطين أيضاً سترى نصرة النعمة الغنية بواسطة ابن الله الحبيب وماعمله فوق الصليب.

إننا عندما نتأمل فى الأزل القديم نرى قصد الله ومشورات نعمته من نحو الكنيسة التى اختارها قبل تأسيس العالم، وإذ نتأمل فى الأبدية التى لا نهاية لها نرى الكنيسة الممجدة كإعلان للرحمة الغنية والمحبة العجيبة والنعمة الفائقة الإدراك، وذلك لمدح مجده. لاسمه المعبود كل سجود وحمد وثناء.

«لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» (ع ٨ و ٩)

ينبر الروح القدس فى هذا الفصل على هذه الحقيقة الجوهرية وهى أن الخلاص بالنعمة، ففى العدد الخامس من هذا الأصحاح يقول «بالنعمة أنتم مخلصون» ثم

فى هذا العدد ٨ يعود ليؤكد هذا الحق الجوهرى والأساسى «لأنكم بالنعمة مخلصون» فالخلاص هو بالنعمة وليس بأى عمل من جانب الإنسان «وذلك ليس منكم هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» فإنه لو كان الخلاص متوقفاً على أى عمل أو أى استحقاق من جانبنا لما كان بالنعمة «أما الذى يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين» (رو ٤:٤). إنك إذا كنت تعمل لكى تخلص فكأنك تجعل الله مديناً لك! ولكن هل يستطيع الإنسان بكل أعمال برِّه ومجهوداته أن يكفِّر عن خطية واحدة؟! إن النعمة والنعمة وحدها هى الوسيلة الإلهية الوحيدة لخلاص الإنسان.

ثم لنراع أنه لا يقول «لأنكم بالنعمة ستخلصون» كأنه شئ مستقبل أو «ربما تخلصون» كأنه أمر غير يقينى بل «بالنعمة أنتم مخلصون» إنها بركة حاضرة وأبدية كما أنها يقينية. حمداً ومجداً لإلهنا.

إن الإيمان هو الوسيلة الوحيدة لقبول الخلاص المجانى الذى تقدمه النعمة الغنية للإنسان الخاطئ المسكين. صحيح أن الله اختارنا حسب قصده الأزلى وعيننا للتبنى، ولكن الواسطة التى أعدها الله لنوال نعمة الخلاص وهبة الحياة الأبدية هى الإيمان. إنه اليد التى تمسك بالهبة التى يقدمها الله لنا. والله لا يمكن أن يُدخل أى إنسان فى دائرة النعمة والبركة دون أن يعمل فى ضميره وقلبه عملاً إلهياً، وذلك بالروح القدس الذى يقوده ليرى حقيقة ذاته كما يراه الله، كما أنه يقوده أيضاً ليرى ويؤمن بما أعده الله له فى المسيح يسوع. إننا بالإيمان برسالة الإنجيل ننال الخلاص. ولكن ليس المقصود هو أن الإيمان ذاته هو المخلِّص بل إن المخلِّص هو الشخص المبارك الذى هو موضوع الإيمان «لأننى عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم» (٢تى ١:١٢) فلا تجعل من إيمانك مخلصاً لك لأن المخلِّص الوحيد هو الرب يسوع المسيح، والإيمان يُمسك به ويثق فيه. ولكى لا يتبادر إلى ذهن أى واحد من المفديين بأن له أى فضل فى إتيانه إلى المسيح وإيمانه به، لذا يضيف الرسول قوله «وذلك ليس منكم. هو عطية الله» وكأن الرسول يقول

«إن النعمة والخلاص والإيمان ـ الكل ليس منكم. هو عطية الله» ـ العطية المجانية المقدمة من الله لجميع البشر بواسطة الإنجيل، لأن «الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله» فكل من يصغى لرسالة الإنجيل ولا يرفضها بل يقبلها ينال من الله هبة الإيمان والخلاص بالنعمة.

قيل إن أحد المبشرين، الذى استخدمه الله فى اقتياد الكثيرين إلى المخلِّص الوحيد الرب يسوع المسيح، كان يتكلم مرة عن الخلاص بالنعمة بالإيمان، بدون أعمال، فاعترضه شخص كان يستند على أعماله الصالحة وسلوكه بالاستقامة ظاناً أنه بأعمال بره يكون مقبولاً أمام الله، فلم يكن يعرف حقيقة ذاته وأنه خاطئ محتاج إلى المخلِّص والفادى، فقال له المبشر {إنك إذا دخلت السماء فستكون الإنسان البار الوحيد، لأن كل الذين سيكونون فى السماء هم خطاة مُخلصون بالنعمة وسيكون موضوع أنشودتهم فى السماء : مجداً لحمل الله الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه. هناك سيرنمون للمسيح قائلين «إنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك» أما أنت فلن تستطيع أن ترنم هكذا، وإذا رنمت هناك فستقول «مجداً لى لأنى بأعمالى الصالحة وبحياتى المستقيمة أهَّلتُ نفسى للسماء» إن الملائكة إذ يسمعونك تمجِّد وتعظِّم نفسك لابد أنهم يقذفون بك إلى قاع الجحيم. أما الخطاة الذين خلصتهم نعمة الله فلا يفتخرون بشئ فى ذواتهم بل بالرب وبنعمته «بالرب تفتخر نفسى»} (مز ٣٤ :٢).

«لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها» (ع ١٠)

تأمل ملياً فى الترتيب الإلهى الجميل، فمع أن خلاصنا هو بالنعمة وليس من أعمال، إلا أن الله قد أعدَّ للمخلصين بالنعمة أعمالاً صالحة لكى يسلكوا فيها، وإنه لمن الأهمية بمكان أن نعرف أن هناك فرقاً كبيراً بين التعليم الخاطئ القائل «إعمل لكى تخلص» وبين تعليم الإنجيل الصحيح «إعمل لأنك قد خلصت بالنعمة». بين «إعمل فتحيا» و «إعمل لأنك نلت الحياة».

إن المؤمنين الحقيقيين هم عمل الله الذين خُلقوا فى المسيح يسوع خليقة جديدة. فقد فسدت الخليقة العتيقة ولم تعد صالحة لأى شئ. لا علاج لها وليست قابلة للإصلاح «لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع. فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله» (رو ٨:٧ و ٨) لذا لم يفكر الله قط فى إصلاح هذه الطبيعة الفاسدة بل قضى عليها فى صليب المسيح، واستعاض عنها بالخليقة الجديدة بواسطة عمل ابنه المبارك، فكما قضى على الخليقة العتيقة فى صليب المسيح، فإنه إذ قام المسيح من الأموات بمجد الآب «كالبكر من الأموات» وكرأس الجنس الجديد، أقامنا معه بحياة جديدة تختلف كل الاختلاف عن الحياة القديمة «إذاً إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥:١٧).

لقد خلق الله الخليقة الأولى بكلمته «بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله» (عب ١١:٣) أما الخليقة الجديدة التى هى لمسرته والتى ستكون لمدح مجده إلى آباد الدهور كلها، فقد تكلف فيها أغلى كلفة «لأنه (أى الله) جعل الذى لم يعرف خطية خطيةً لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه» (٢كو ٥:٢١).

لقد خُلقنا فى المسيح يسوع «لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها» فكما «سبق الله» فعيننا للتبنى بيسوع المسيح نفسه (ص ١:٥) سبق أيضاً فأعدّ لنا أعمالاً صالحة لكى نسلك فيها. إنها ليست أعمال الناموس بل أعمال لها طابعها السماوى - طابع النعمة الغنية - النعمة التى تعلمنا أن نعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر (تى ٢:١٢).

إن الأعمال الصالحة التى أعدها الله لكى نسلك فيها، هى من ثمار الخليقة الجديدة أى الطبيعة الإلهية التى صرنا شركاءها (أدبياً) - هذه الثمار التى ينشئها فينا الروح القدس الساكن فينا فنحن نسلك فى الأعمال الصالحة لا كمن يؤدى واجباً أو يتمم فرضاً بل بدافع المحبة القلبية لله أبينا وللرب يسوع المسيح الذى أحبنا أولاً. لقد أعطى الله الناموس لشعب إسرائيل الذى وثق فى نفسه بأنه

سيقوم بكل مطاليبه ولكنه فشل في ذلك، فقد كان الناموس امتحاناً للقلب البشرى أو بالحرى لإعلان عجز الإنسان عن إتمام مطاليب قداسة الله، فلم يكن الناموس شيئاً سبق الله فأعده للسلوك فيه «فلماذا الناموس» إذاً؟ الجواب «**قد زيد** بسبب التعديات إلى أن يأتى النسل (أى المسيح) الذى قد وُعد له» (غل ١٩:٣) أما المسيحى الحقيقى فقد تحرر من الناموس ليحيا لله. لقد مات للناموس وصار لرجل (أو زوج) آخر للذى قد أقيم من الأموات ليثمر لله (رو ٤:٧). حقاً ما أسمى مقام ومركز المسيحى لا من حيث امتيازاته فقط بل والتزاماته أيضاً! فكما أن اختيارنا وبركاتنا كانت فى قصد الله من الأزل كذلك الأعمال الصالحة التى أعدها لكى نسلك فيها قد سبق فأعدها من قبل وجودنا فى هذا العالم.

وكما أن هذا الجزء يبدأ بالسلوك (ع ١ و ٢) فإنه ينتهى أيضاً بالسلوك (ع ١٠) ولكن ما أكبر الفرق بين الأول والثانى، فالأول هو سلوكنا قبلاً فى الذنوب والخطايا وذلك لما كنا أمواتاً روحياً، والثانى هو سلوكنا كأحياء روحياً وكالخليقة الجديدة، فى الأعمال الصالحة التى سبق الله فأعدها. إن كنا قد أُجلسنا فى السماويات فى المسيح يسوع فإنه امتياز مبارك لنا أن نسلك كسماويين أيضاً.

***

ثانياً : الانفصال عن الله بسبب البعد عنه (ع ١١ ـ ٢٢) :

واضح أن موضوع هذه الأعداد يختلف عن موضوع الأعداد السابقة، فإنه فى هذا الجزء يشير بصفة خاصة إلى ما كانت عليه حالة المؤمنين من الأمم قبل إيمانهم بالرب يسوع وما صاروا إليه بنعمة الله بعد إيمانهم به، إلا أن هذا يرسم أمامنا أيضاً حالة وحاجة جميع البشر بصفة عامة وبدون استثناء.

واضح أن جميع البشر، بعد الطوفان، تحولوا عن عبادة الله الحى الحقيقى

وعبدوا الأوثان الآلهة العديدة الكاذبة، لذا دعا الله رجلاً واحداً هو إبراهيم وجعله هو ونسله من بعده مستودعاً لمواعيده، وآنية الشهادة له في هذا العالم الشرير، إلا أن إسرائيل، لسبب عدم أمانته، فشل في شهادته لله، الأمر الذي يبينه بكل وضوح صليب ربنا يسوع المسيح. لقد كان البشر قبل صلب المسيح وقيامته من الأموات وصعوده إلى السماء وقبل حضور الروح القدس إلى العالم مكونين من فريقين فقط : اليهود والأمم، ولكن بعد يوم الخمسين صار العالم منقسماً إلى ثلاثة أقسام : اليهود والأمم وكنيسة الله (١كو ١٠:٣٢) أما الكنيسة فإنها مكونة من اليهود والأمم الذين آمنوا بالرب يسوع المسيح.

«لذلك اذكروا أنكم أنتم الأمم قبلاً في الجسد المدعوين غرلة من المدعو ختانا مصنوعا باليد في الجسد» (ع ١١)

يشير الروح القدس هنا إلى ما كنا عليه قبل إيماننا بالمسيح يسوع، **فقد كنا قبلاً** من «الأمم» وكنا مدعوين «غرلة»، أما الآن فليس في المسيح «يوناني **(أي** أممي) ويهودي، ختان وغرلة ... بل المسيح الكل وفي الكل» (كو ٣:١١ و غل ٣:٢٧ و ٢٨).

لقد أعطى الله عهد الختان أولاً لإبراهيم (تك ١٧:٩ ـ ١٤) ثم لنسله من بعده، لذا كان اليهود يُدعَون «الختان» وقد نظروا إلى الأمم بعين الاحتقار داعين إياهم «غرلة» أو «الغلف» (انظر ١صم ١٧:٢٦ ، ٢صم ١:٢٠) ومع ذلك فقد كان كثيرون من اليهود الذين يفتخرون بأنهم من أهل «الختان» كانوا يهوداً «في الظاهر» فقط ولم يكونوا مختوني القلب (رو ٢:٢٥ ـ ٢٩).

«إنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم وبلا إله في العالم» (ع ١٢)

«بدون مسيح» هذه هي الحالة التعسة التي كنا عليها قبلاً «كنتم في ذلك

الوقت بدون مسيح» فمع أن كل غير المخلصين من اليهود والأمم على السواء - الكل بدون مسيح، إلا أن هذا كان ينطبق بصفة خاصة على الأمم، لأن اليهود كانت لديهم الرموز والنبوات والمواعيد الخاصة بمجئ المسيا، وقد كان رجاء الإسرائيلي في العهد القديم في مجئ المسيا الذي يحقق لهم كل المواعيد الإلهية، كما أن كل ظهورات المسيح قبل التجسد كانت لليهود دون سواهم، ولم يُدع المسيح مخلص العالم إلا بعد موته فوق الصليب.

«أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد» فلم يكن للأمم نصيب في بركات وامتيازات شعب الله القديم، لأن الله أعطى المواعيد أولاً لإبراهيم وتعهد له ولنسله من بعده بإتمام هذه المواعيد، أما الأمم فلم يكن لهم نصيب أو قرعة في هذه المواعيد، لقد كانوا غرباء عنها لذا لا نقرأ في كل العهد القديم أن الله أعطى أي وعد للأمم. لقد أعطى مواعيد عن الأمم ولكنه لم يُعطِ وعداً واحداً لهم، وحتى العهد الجديد الذي نقرأ عنه في إرميا ٣١ وفي عبرانيين ٨ فإننا لا نقرأ أبداً أن الله قطعه مع الكنيسة بل بالحرى لشعب الرب القديم مستقبلاً، إلا أن كل المؤمنين بالمسيح من الأمم كما من اليهود أيضاً صارت لهم كل بركات ومواعيد العهد الجديد الروحية من اللحظة التي فيها وضعوا ثقتهم في المسيح يسوع وفي كفاية عمله لأجلهم فوق الصليب - الكل صار لنا في المسيح يسوع «لأن مهما كانت مواعيد الله فهو (أي المسيح) فيه النعم وفيه الآمين لمجد الله بواسطتنا» (٢كو ١: ٢٠).

«لا رجاء لكم» إن من كان «بدون المسيح» هو «بلا رجاء» فكما أن الأمم كانوا، قبل مجئ المسيح إلى العالم وموته فوق الصليب، بلا رجاء، كذلك كل من لا يقبل المسيح الآن مخلصاً له فإنه لا رجاء له، لأن في المسيح وحده قد أعطى الله المؤمنين به «رجاءً صالحاً بالنعمة» (٢تس ٢: ١٦). إن الرجاء المبارك هو مجئ ربنا يسوع المسيح ثانية ليأخذنا إليه لنكون معه كل حين «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح» (تي ٢: ١٣).

«وبلا إله فى العالم» فبينما كان الأمم يعبدون الآلهة الكاذبة الكثيرة ويسجدون لها، فإنهم كانوا فى حقيقة الأمر «بلا إله فى العالم» لأننا «.. نعلم أن ليس إله آخر إلا واحداً لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة سواء كان فى السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون. لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له. ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به» (١كو ٨: ٤ ـ ٦).

«ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح» (ع ١٣)

هنا نرى تداخل الله العجيب فى أمرنا نحن الأمم، ونعمته الغنية التى أدركتنا فى المسيح يسوع. هنا نرى المباينة بين الماضى التعيس الذى كنا عليه والحاضر المبارك والمجيد الذى صرنا إليه بفضل عمل المسيح لأجلنا. عندما عمل الرسول بولس مقارنة بين ماضى اليهود والأمم قبل إيمانهم بالمسيح وبين حاضرهم بعد إيمانهم به، أشار إلى تداخل الله برحمته الغنية ومحبته الكثيرة ونعمته الفائقة بالقول «(ولكن) الله الذى هو غنى فى الرحمة» (ع ٤) وهو هنا يعمل مقارنة أو بالحرى مباينة أخرى بقوله «ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح». لقد كان لليهود شئ من القرب إلى الله على أساس العهد الذى قطعه الله معهم والذى تعهدوا بالقيام بمطاليبه بينما كان الأمم «بعيدين» وغرباء عن هذا العهد، غير أن اليهود بسبب فشلهم فى القيام بالتزاماتهم فى ذلك العهد ـ عهد الأعمال، أصبحوا هم أيضاً «بعيدين» عن الله «لأنه لا فرق (بين اليهودى والأممى). إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو ٣) أما الخلاص فهو بالنعمة لليهودى كما للأممى على السواء، فاليهودى، حتى فى العهد القديم، لم يحصل على خلاص الله على أساس استحقاقه الذاتى ولا لأنه من شعب الله القديم الذين تميزوا على سائر أمم العالم بسبب عهد الختان، ولا بسبب الذبائح التى قدموها فى عهد الناموس، فالذين من بينهم قد خلصوا قد

حصلوا على الخلاص بواسطة نعمة الله الغنية المؤسسة على موت الرب يسوع المسيح على صليب العار. هذه هى الذبيحة الفريدة، ذبيحة ربنا يسوع المسيح التى فيها كل الكفاية لخلاص كل من يضع ثقته فيها وفى كفايتها.

لقد كنا **قبلاً** بعيدين أما **الآن**، نحن الذين فى المسيح يسوع، صرنا قريبين بدم المسيح. لا ريب فى أن أعظم جريمة ارتكبت فى هذا العالم هى قتل ربنا يسوع المسيح وسفك دمه الزكى الكريم. هذه الجريمة التى اشترك فى ارتكابها اليهود والأمم، لقد كان موته وسفك دمه الطاهر أعظم إعلان لأشر خطية ارتكبها الإنسان، كما كان أيضاً إعلاناً لمحبة الله غير المحدودة ونعمته الفائقة الإدراك، فالصليب الذى أظهر منتهى عداوة وفساد القلب البشرى أظهر أيضاً محبة الله التى لا التى لا قياس ولا حدود لها، والحربة التى طُعن بها ربنا المبارك يسوع، نفذت إلى أحشائه معلنة شر القلب البشرى ولكنها خرجت من جنبه الطاهر معلنة محبة الله ونعمته الغنية ـ خرجت حاملة الدم المُطهِّر والماء المحيى، يا لها من نعمة غنية سمت فوق إثمنا وفجورنا حتى أننا نحن الذين كنا قبلاً بعيدين ـ أمماً تعساء ومساكين ـ أجنبيين وأعداء الله فى الفكر فى الأعمال الشريرة، صرنا الآن فى استحقاق الدم الكريم قريبين من الله ـ قريبين بكيفية لم يستطع الناموس أن يهبها لليهود. أما اليهودى الذى يؤمن بالمسيح فإنه يصل إلى نفس مكان القرب إلى الله الذى صار للمؤمن الأممى، وذلك بواسطة دم المسيح. فهو، له المجد، الله الكلمة الذى صار جسداً لذا فإن لدمه الكريم فاعلية غير محدودة وقيمة لا يدركها سوى الله، ولهذا صرنا الآن «قريبين بدم المسيح». لقد صرنا قريبين إلى الله قرباً كاملاً، ولا توجد أية مسافة كبيرة أو صغيرة تفصلنا عنه بحيث لا يمكن أن نكون، فى أى وقت من الأوقات، أكثر قرباً إليه. فهل أدرك كل مؤمن حقيقى هذا الامتياز المبارك وهل هو متمتع به عملياً؟ لا شك أن مقامنا كقريبين من الله مؤسس على ذبيحة ربنا يسوع المسيح «بدم المسيح» ولكن تمتعنا به شئ آخر، فإن هذا متوقف على شركتنا معه. فهل شركتنا مع الله الآب ومع ابنه يسوع المسيح قوية ومستمرة؟ ليتنا نسهر ونواظب على الصلاة لنتمتع عملياً بحالة القرب منه،

وفى هذا سلامتنا وسعادتنا «أما أنا فالاقتراب إلى الله حسن لى» (مز ٧٣).

«لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط» (ع ١٤)

المسيح يسوع ربنا نفسه هو سلامنا. ما أمجد هذا الحق الإلهى الثمين! فسلامنا ليس هو مجرد فرح فى داخلنا نتمتع به الآن وقد يضعف أو يُفقد غداً، بل هو المسيح نفسه. هو سلامنا الثابت والدائم والذى من امتيازنا أن يستقر ويستريح إيماننا عليه فنتمتع به عملياً كسلامنا وكموضوع فرحنا. نعم إنه من امتيازنا أن نفرح فى الرب كل حين وذلك بواسطة الوجود فى حالة القرب منه والشركة معه ـ من امتيازنا أن نبتهج بفرح لا ينطق به ومجيد، ولكن الحق الأسمى هو أن ربنا يسوع المسيح نفسه هو سلامنا، فإننا لا نقرأ فى كلمة الله أنه، له المجد، هو فرحنا ولا أن الله هو إله الفرح بل إله السلام، لأنه هو الذى عمله بواسطة بذل ابنه الحبيب فوق الصليب.

إن ربنا يسوع المسيح، الذى هو سلامنا الثابت والأبدى، هو «الذى جعل الاثنين واحداً» أعنى الذى جعل المؤمنين به من الفريقين واحداً ـ المؤمنين من الختان ومن الغرلة، من اليهود الذين كانت لهم عهود الموعد والأمم الذين كانوا غرباء عن عهود الموعد. كل الذين آمنوا بالمسيح من هؤلاء ومن أولئك جعلهم واحداً، لأنه مات فوق الصليب لأجل الجميع.

«ونقض حائط السياج المتوسط». يبدو أن الرسول هنا يشير إلى الحائط الذى يُظن أنه كان مبنياً فى الهيكل والذى كان يفصل بين الدار التى كانت لإسرائيل والدار التى كانت للأمم الدخلاء، ويقال إنه كان منقوشاً على ذلك الحائط هذه الكلمات «*ليحذر الأممى من تجاوز هذا الحائط لئلا يعرّض نفسه للموت*» ولكن ربنا يسوع المسيح قد نقض حائط السياج المتوسط الذى كان بيننا [١].

---

(1) And hath broken down the middle wall of partition between us

«أى العداوة. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الاثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً» (ع ١٥)

جدير بالملاحظة أن المقصود هنَا هو أن المسيح، له المجد، إذ بذل نفسه لأجلنا وحمل خطايانا فى جسده على الخشبة أبطل العداوة [1] أى ناموس الوصايا فى فرائض.

أعنى أن اليهود الذين أعطاهم الله الناموس وفرائضه المتنوعة امتلأت قلوبهم بالكبرياء والبغضة والعداوة للأمم الذين لم يُعطَ الناموس لهم.

لقد قُضى باللعنة على كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به (غل ٣: ١٠) ولكن اليهود الذين افتخروا على الأمم بأنهم هم الشعب المبارك الذين أعطاهم الله الناموس بفرائضه المتنوعة لم يدركوا أنهم هم أنفسهم تحت اللعنة لأنهم كسروا الناموس ولم يحفظوه ولكن ربنا يسوع ابن الله إذ مات فوق خشبة الصليب صار لعنة لأجلنا «لأنه مكتوب ملعون كل من علّق على خشبة» (غل ٣:١٣) وبموته واحتماله الدينونة أبطل بجسده ناموس الوصايا فى فرائض، فكل الخطاة الذين قبلوا المسيح مخلصاً لهم قد اتحدوا بالمسيح ـ ماتوا وقاموا معه، ولا سيما اليهودى الذى كان قبل إيمانه بالمسيح تحت سيادة ولعنة الناموس، أصبح بعد إيمانه بالمسيح فى حرية تامة لأن المسيح افتداه من لعنة الناموس فلم يبق للناموس، أعنى ناموس الوصايا والفرائض [2] أية سيادة عليه.

«لكى يخلق الاثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً» إن الله ـ الابن الأزلى ـ الكلمة، الذى كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان، قد خلق

---

(1) Having abolished in his flesh the enmity, even the law of commandments contained in ordnances.

(٢) المقصود بناموس الوصايا فى فرائض هو أن ممارسة اليهودى للفرائض كانت إقراراً منه بأنه تحت ناموس الوصايا. هذا هو معنى القول «ناموس الوصايا فى فرائض».

الأنسان الأول من تراب الأرض ونفخ فى **أنفه نسمة حياة** وسلّطه على أعمال يديه، ولكنه فشل فى الاحتفاظ بامتيازاته بسبب عصيانه، أما الآن فقد خلق الرب يسوع **فى نفسه** إنساناً واحداً جديداً، فكل المؤمنين به من اليهود والأمم قد كوّن منهم إنساناً واحداً جديداً «الكنيسة التى هى جسده» والذى هو رأسها الممجد. ويجب أن لا يغرب عن البال أن هذا مقام جديد لم يحصل عليه قبلاً ولم يعرف عنه شيئاً لا الأممى البعيد ولا اليهودى القريب، فالأمم الذين كانوا فى حالة البعد الشاسع عن الله، واليهود الذين كانوا قريبين منه بسبب امتيازاتهم فى تدبير العهد القديم - الكل بسبب إيمانهم بالمسيح يشتركون معاً فى التمتع ببركات لم يحصلوا عليها من قبل، وذلك الانفصال أو الحاجز القديم قد تلاشى وصار الجميع بنعمة الله واحداً فى المسيح يسوع. ولكن متى بدأ ذلك؟ هل كان لمؤمنى العهد القديم نصيب فى ذلك - أعنى هل كانوا متحدين معاً كجسد للمسيح أى ككنيسة الله على الأرض؟ إننا لا نقرأ فى كل العهد القديم عن وجود «جسد واحد» ولو أننا نجد صوراً رمزية له فى العهد القديم. ولكن على أساس صليب المسيح تكوّن هذا الجسد أى الكنيسة فى يوم الخمسين. عندئذ فقط أبطل الله العداوة. أما قبل ذلك فلم يكن الأمر كذلك، لأن الله أمر الإسرائيلى بأن ينفصل عن الأممى، والرب يسوع نفسه، قبل موته فوق الصليب، قد أيد ذلك، فإنه منع تلاميذه من الذهاب إلى أية مدينة من مدن الأمم (مت ١٠:٥ و ٦) كما أنه قال للمرأة الفينيقية بأنه لم يُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. لقد أتت تلك المرأة إليه مستندة إلى مواعيده باعتباره «ابن داود» ولكنه صارحها بأنه ليس لها نصيب فى تلك المواعيد، فلو كانت قد خاطبته باعتباره «ابن الله» لما تأخر فى إجابة ملتمسها، لأنه كابن داود هو لإسرائيل وليس للأمم. ولكن كم كان تصرف تلك المرأة جميلاً إذ عرفت حقيقة أمرها، وأنها ليست من البنين ومع ذلك فقد قالت له «ولكن الكلاب تأكل» فإذ عرفت أنها كأممية ليس لها نصيب فى تلك المواعيد فاضت عليها البركات الإلهية بالنعمة التى فى المسيح يسوع «يا امرأة عظيم إيمانك. ليكن لك كما تريدين» (مت ١٥).

إن الشخصين اللذين أتيا إلى الرب وتعجب من إيمانهما كانا من الأمم ـ أى قائد المئة (مت ٨)، وهذه المرأة الفينيقية (مت ١٥).

إن هذه الرسالة ترينا أولاً أن الأمم كانوا بعيدين كل البعد عن الله وعن شعب الله، ولكنها ترينا أيضاً أن صليب المسيح قد أبطل كل هذه الفوارق، بل لقد أظهر صليب المسيح أن اليهود، بالرغم من امتيازاتهم التى كانت لهم، كانوا أكثر جرماً من الأمم، لأنهم رفضوا مسياهم ومَلكهم وصلبوه، ولا سيما رؤساء كهنتهم فإنهم كانوا أكثر تعطشاً إلى صلبه، وهكذا الحال دائماً، فإنه لا توجد قساوة قلب نظير قساوة المتدين العالمى.

إن الحق الإلهى الواضح هو أن المسيح، له المجد، قد أبطل بجسده العداوة لكى يخلق الاثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. فربنا يسوع المسيح، بموته فوق الصليب، قد صنع سلاماً مزدوجاً ـ سلاماً بين الإنسان والله، وسلاماً بين المؤمن اليهودى والمؤمن الأممى اللذين فصل بينهما حائط السياج المتوسط.

«ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به» (ع ١٦)

صليب المسيح هو العلاج الإلهى الوحيد الكامل لحالة الإنسان المسكين، فإن الخطية لم تفصل الإنسان عن الله فقط ولكنها فصلته أيضاً عن أخيه الإنسان. لقد أوجدت الإنسان فى عداوة مع الله ومع أخيه الإنسان أيضاً، فإن أول خطية ارتكبها الإنسان فصلته عن الله وأوجدته فى عداوة معه تعالى، كما أن ثانى خطية مذكورة فى الكتاب المقدس فصلت الإنسان عن أخيه الإنسان وأوجدته فى حالة البغضة والعداوة له حتى قام (قايين) على أخيه (هابيل) وقتله، لذا فقد كان الإنسان فى حاجة إلى أن يتصالح أولاً مع الله وعندئذ يتسنى له أن يتصالح مع أخيه الإنسان، ولا شك أن ربنا يسوع المسيح هو المُصالح الوحيد للإنسان مع الله وللإنسان مع أخيه الإنسان وذلك بواسطة «الصليب». لقد قتل المسيح العداوة

بالصليب، أعنى بأخذه مكاننا واحتماله الدينونة نيابة عنا. لقد صالح الاثنين ـ أى المؤمنين به من الأمم ومن اليهود مع الله، كما أنه جعلهم جسداً واحداً. إنه بالصليب قد أعلن محبة الله لنا نحن الذين كنا أعداء له «ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح .. أى أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم» (٢كو ٥:١٨ و ١٩) «لأنه فيه سُر أن يحل كل الملء وأن يصالح (الله) به (أى بالمسيح) الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه .. وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء فى الفكر والأعمال الشريرة قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه» (كو ١:١٩ ـ ٢٢). لقد حقق المسيح ما كانت تتوق إليه نفس أيوب قديماً وكأنه لم يجده «ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا» (أى ٩:٢٣) فالمسيح، تبارك اسمه، هو وحده الذى استطاع أن يصالح الاثنين مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به. لاسمه المعبود كل مجد وإكرام.

«فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين» (ع ١٧)

المسيح يسوع ربنا هو الذى جاء بنفسه إلى هذا العالم وكرز بالسلام، أما الآن فإن دائرة كرازته أوسع كثيراً مما كانت فى أيام جسده، فهو له المجد يكرز ويبشر بالسلام للأمم ولليهود على السواء وذلك بواسطة الروح القدس المرسل من السماء (١بط ١:١٢). فقد وعد الرب تلاميذه قبل ارتفاعه إلى السماء بأنه سيرسل إليهم الروح القدس وأمرهم بأن يذهبوا إلى العالم أجمع وأن يكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها (مر ١٦:١٥) فلا تكون كرازتهم قاصرة على خراف بيت إسرائيل الضالة بل ولجميع أمم العالم أيضاً «فجاء وبشركم بسلام أنتم**البعيدين** أنتم الأمم الخطاة والمساكين الذين كنتم غارقين فى لجة من الجهل والظلام، وأنتم **القريبين** أنتم اليهود الذين أُرسلت إليكم كلمة الله، وكان عندكم نور معرفة الله ـ هذا النور الذى لم يعرف عنه الأمم شيئاً، ولكنكم مع ذلك قد اشتركتم مع الأمم فى ارتكاب أعظم جريمة حدثت تحت الشمس ـ جريمة صلب رب المجد، أما هو، تبارك اسمه،

فإنه فى غنى محبته قد «بشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين».

«لأن به لنا كلينا قدوماً فى روح واحد إلى الآب» (ع ١٨)

تبارك اسم ربنا يسوع المسيح، فإن كل مشورات الله من نحو شركة أولاده تركزت فى شخصه الكريم وفى عمله الذى أكمله بموته فوق الصليب، لأن **به** أى بالمسيح وحده لنا كلينا (نحن المؤمنين باسمه من اليهود ومن الأمم) قدوماً فى روح واحد إلى الآب. أما فى العهد الأول فلم يكن هناك قدوم أو اقتراب مباشر إلى الله، والحجاب الذى لم يكن قد شُق بعد كان إعلاناً إلهياً على أن طريق الأقداس لم يكن قد أُظهر بعد. فقد كان الله وقتئذ «إلهاً محتجباً» (إش ٤٥:١٥).

لما طلب الله من موسى أن يصعد إليه هو وهرون وابناه وسبعون من شيوخ إسرائيل، أمرهم قائلاً «اسجدوا من بعيد» (خر ٢٤:١) ذلك لأنه لم يكن قد فُصل بعد فى أمر الخطية فصلاً كاملاً ونهائياً، الأمر الذى أتمه الله بواسطة موت ربنا يسوع المسيح.

إن بالمسيح يسوع ربنا لنا كلينا قدوماً «**فى روح واحد**» إلى الآب، فقد أعطى الله الروح القدس لكل المؤمنين بابنه، سواء كانوا من اليهود أو من الأمم «لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً وجميعنا سقينا روحاً واحداً» (١كو ١٢:١٣) فإن كان الناموس قديماً قد أوجد فرقاً بين اليهودى والأممى، ولكن المسيح قد أزال بصليبه كل الفوارق التى بينهما، والروح القدس الذى أعطى فى يوم الخمسين قد جمع كل المؤمنين وجعلهم أعضاء فى الجسد الواحد «لأنه لا فرق» (رو ٣:٢٢).

حقاً ما أسمى امتيازات المسيحى الحقيقى! فقد صار له هذا الشرف العظيم - شرف القدوم إلى الآب بعمل وقيادة الروح القدس الساكن فيه. إن الروح القدس هو الذى أعطانا اليقين بأننا أولاد الله الآب (رو ٨:١٥ و ١٦) وهو الذى يقودنا

أيضاً للاقتراب والقدوم إلى الآب وذلك بفضل عمل ربنا يسوع المسيح، فإنه به صار لنا حق الاقتراب إلى الآب كأولاد أحباء. ليتنا لا نهمل التمتع بهذه البركة العظمى ـ بركة القدوم إلى الآب بقوة الروح القدس وفى قيمة عمل المسيح فوق الصليب.

«فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله» (ع ١٩)

رأينا فى تأملاتنا السابقة فى هذه الرسالة، أنه عندما يخاطب الرسول المؤمنين من الأمم كان يقول «أنتم» وعندما يتكلم عن اليهود يقول «نحن» لأن الرسول بولس نفسه هو من المؤمنين بالمسيح من اليهود، لذا يقول «**نحن** الذين سبق رجاؤنا فى المسيح» (ص ١ :١٢) أما المؤمنين من الأمم فيقول «**أنتم** إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم» (ص ١ :١٣) وإذ يوجه كلامه الآن إلى المؤمنين من الأمم يقول «فلستم إذاً (أنتم المؤمنين من الأمم) بعد غرباء ونزلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله» لقد كنا قبلاً «غرباء عن عهود الموعد» (ع ١٢) ـ فلم نكن من شعب الله القديم بل «أجنبيين عن رعوية إسرائيل» ومع ذلك فإن إسرائيل فشل فى مسئوليته، فصاروا «لوعمى» أى ليسوا شعباً لله (هو ١ :٩ ، ١بط ٢ :١٠) لذا دعا الله من بينهم بقية حسب اختيار النعمة (رو ١١ :٥) وهذه البقية هى جميع الذين آمنوا بالرب يسوع المسيح من اليهود وقبلوه مخلصاً وفادياً لهم فأصبحوا حجارة حية فى بيت الله، وكذلك كل الذين يؤمنون بالمسيح من الأمم فإنهم يدخلون بنعمة الله إلى هذا المركز عينه، لذا ليسوا فيما بعد «غرباء ونزلاً بل رعية مع القديسين».

إن المقصود بالقديسين هنا ليس إسرائيل بحسب الجسد. كلا. بل إن الإسرائيليين الذين آمنوا بالرب يسوع المسيح هم المدعوون هنا «قديسين» لذا عندما يقول «رعية مع القديسين» فإنه يقصد بذلك أن الأمم الذين يؤمنون بالرب يسوع المسيح ويتحدون به بالروح القدس يصيرون رعية مع إخوتهم اليهود الذين

آمنوا بالمخلص المبارك ربنا يسوع المسيح. وقد أشار الرب له المجد إلى هذه الحقيقة بقوله «لي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة (حظيرة إسرائيل) ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد» (يو ١٠:١٦).

إن كلمة «قديس» تعني شخصاً مفرزاً ومخصصاً لله، وليس المقصود بالقداسة هنا الناحية الاختبارية أو العملية مع ما لهذه الناحية من أهمية، فإن الكثيرين يتصورون أن القديسين هم أشخاص وصلوا إلى درجة الكمال في القداسة، وهذا بلا ريب تصور خاطئ، فإن كل إنسان يضع ثقته في الرب يسوع المسيح وفي كفاية عمله فوق الصليب يصير ملكاً لله وللرب يسوع المسيح ويصبح قديساً أمامه تعالى، ولكن كل قديس مدعو من الله لأن يحيا حياة القداسة العملية. إننا لا نصير قديسين بسبب عيشتنا في القداسة ولكن لأن الله جعلنا قديسين وبلا لوم قدامه، لذا يجب علينا أن نحيا حياة القداسة العملية.

«وأهل بيت الله» ما أسمى هذا! فإننا لسنا رعية مع القديسين فقط بل صرنا من العائلة السماوية، وكما أننا اتحدنا بالمسيح كأعضاء جسده، كذلك اتحدنا بالله الآب كأولاد أحباء فصرنا في مقام أسمى من مقام الملائكة، فإننا لا نقرأ أبداً في كلمة الله أن الملائكة هم «أهل بيت الله» صحيح أنهم «بنو الله» باعتبارهم خليقته (أي ٣٨:٧) ولكنهم ليسوا من «أهل بيت الله» إنهم خدام في هذا البيت «أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١:١٤) وما أعظم الكلفة التي تكلفها الله لكي يصيّرنا من أهل بيته، ولكي يأتي بنا إلى مجده الأبدي! «لأنه لاق بذاك (أي بالله) الذي من أجله الكل وبه الكل وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم (أي المسيح) **بالآلام**» (عب ٢:١٠).

ويجب أن لا يفوتنا أن كل امتياز يضعنا تحت الالتزام بأن نعيش كما يليق بهذا الامتياز، فإن كنا «أهل بيت الله» فيجب أن لا ننسى المكتوب «ببيتك تليق القداسة يارب إلى طول الأيام» (مز ٩٣:٥) «فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء

لنطهّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله» (٢كو ٧:١).

«مبنيين على أساس الرسل والانبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (ع ٢٠)

يرسم الروح القدس أمامنا هنا صورة أخرى للعلاقة المباركة التى بين المسيح وكنيسته، فكما رأينا فى الأصحاح الأول هذه العلاقة مرسومة فى صورة جسد، وأن المسيح المقام والممجد هو رأس هذا الجسد وأن المؤمنين الحقيقيين به هم أعضاء هذا الجسد، كذلك نرى هنا هذه العلاقة مرسومة فى صورة بناء، وأن المؤمنين الحقيقيين هم حجارة حية فى هذا البناء، وأن ربنا يسوع المسيح هو «حجر الزاوية» وأن هذا البناء قد تأسس بواسطة كرازة الرسل والأنبياء. وليس المقصود بقوله «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء» أنهم (أى الرسل والأنبياء) هم الأساس بل أن المؤمنين بالمسيح مبنيون على الأساس الذى وضعه الرسل والأنبياء، والأساس هو، بكل يقين «ربنا يسوع المسيح» «فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وضع الذى هو يسوع المسيح» (١كو ٣:١١) ربنا يسوع المسيح هو الأساس وهو أيضاً حجر الزاوية.

ثم لنلاحظ أن المقصود بالأنبياء هنا ليس أنبياء العهد القديم. صحيح أن روح المسيح فيهم كرز بالمسيح وشهد له شهادات عجيبة ومباركة، فما أعجب ما كتبه أولئك الأنبياء عن المسيح! تأمل مثلاً فى نبوات إشعياء الصريحة عن المسيح - عن ولادته من عذراء وعن حياة الاتضاع الفريدة التى عاشها فى هذا العالم، بل وما أعجب ما كتبه عن آلامه وموته الكفارى! (ص ٥٣) وكذلك ما تنبأ به عنه إرميا وزكريا وميخا وغيرهم. «فإن روح المسيح الذى كان فيهم سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها» (١بط ١:١١). نعم فإن «شهادة يسوع هى روح النبوة» (رؤ ١٩:١٠) ومع ذلك فليس المقصود هنا أنبياء العهد القديم فإن الله لم يشأ أن يبنى كنيسته على أساس قديم بل بالحرى على أساس جديد ومجيد هو

المسيح المقام من بين الأموات والممجد، لذا لا يقول «مبنيين على أساس الأنبياء والرسل» بل «على أساس الرسل والأنبياء» ومما يؤيد هذه الحقيقة قوله عن سر المسيح «الذى فى أجيال أُخر لم يُعرّف به بنو البشر كما قد أعلن **الآن** لرسله القديسين وأنبيائه بالروح» (أف ٣:٥) وكذلك قوله أيضاً عن المسيح بأنه بعد صعوده إلى السماء «أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء» (أف ١١:٤) فواضح إذن أن الأنبياء هنا هم أنبياء العهد الجديد، فإن بعض كتبة أسفار العهد الجديد أمثال مرقس ولوقا وغيرهما لم يكونوا رسلاً ولكنهم كانوا أنبياء. فقد أقامهم المسيح هم والرسل فى البداءة لوضع الأساس أعنى الكرازة بالمسيح والمناداة بإنجيله المبارك.

«ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» هذا هو الحق الأساسى والجوهرى، فإن كان الرب، له المجد، قد أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء وقد استخدمهم فى تأسيس كنيسته بواسطة الكرازة بالإنجيل، وإن كان لدينا الآن كتاباتهم الموحى بها من الله والتى نشكر الله كثيراً لأجلها، إلا أنهم هم شخصياً ليسوا باقين فى هذا العالم، أما ربنا يسوع المسيح فهو «حجر الزاوية» الذى يلازم البناء من أوله إلى نهايته «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد».

لقد أشار الرب إلى هذا الحق عندما سأل تلاميذه قائلاً «مَن يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان؟» فأجابه بطرس «أنت هو المسيح ابن الله الحى» فقال له الرب «طوبى لك ياسمعان بن يونا. إن لحماً ودماً لم يعلن لك ولكن أبى الذى فى السموات. وأنا أقول لك أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى» (مت ١٦) ومما لا ريب فيه أن المقصود بالصخرة هو الإيمان والاعتراف بأن المسيح هو ابن الله الحى. هذا هو الحق الجوهرى والمبارك الذى تعلّمه بطرس من الرب، والذى نبّر عليه فى رسالته الأولى (ص ٢) بقوله عن المسيح إنه «حجر حى» (ع ٤) وإنه «حجر زاوية مختار (من الله) كريماً» (ع ٤ و ٦) وأن هذا الحجر صار «رأس الزاوية» والرب نفسه فى حديثه مع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب (مت ٢١) قد

أشار إلى هذه الحقيقة ـ أعنى إلى أنه الحجر الذى وإن كان البناؤون قد رفضوه ولكنه صار رأس الزاوية، وقد اقتبس الرب هذه الكلمات من مزمور ١١٨: ٢٢و ٢٣ (اقرأ أيضاً ما تنبئ به عنه فى إش ٢٨: ١٦ ، زك ٤: ٧).

«الذى فيه كل البناء مركباً ينمو معاً هيكلاً مقدساً فى الرب»
(ع ٢١)

جميل أن نرى هنا الضمان الإلهى الثابت والأكيد لسلامة هذا البناء المقدس، فكل واحد من المؤمنين هو حجر حى مُركّب وممكّن ومثبّت فى مكانه فى هذا البناء الإلهى، وذلك بواسطة المسيح حجر الزاوية، فهو «الذى فيه كل البناء مركباً معاً». ثم إن هذا البناء **ينمو** هيكلاً مقدساً فى الرب. إنها حالة نمو وليست حالة كمال، ولكن عندما يكمل هذا البناء ـ الهيكل المقدس فى الرب كم سيكون مسكناً مجيداً لله ولربنا يسوع المسيح فى كل أجيال الدهور الآتية.

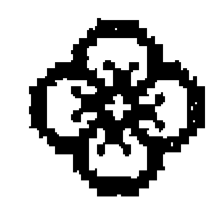
عندما نتأمل فى هذا الحق المبارك ـ أعنى صيرورتنا حجارة حية فى هذا البناء الإلهى ـ فى هذا الهيكل المقدس للرب ألا يقودنا تأملنا فى ذلك إلى إدراك أهمية العيشة فى القداسة وإلى الحياة النقية الطاهرة والمكرسة للمسيح؟

يشير الرسول بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (ص ٣) إلى المؤمنين بأنهم هيكل الله «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم؟» وكذلك فى رسالته الثانية إليهم يقول «وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان. فإنكم أنتم هيكل الله الحى كما قال الله إنى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً» لذا يُحرّضهم الرسول قائلاً «لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فأقبلكم وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لى بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شئ. فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء لنطهّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله» (٢كو ٦: ١٦ ـ ٧: ١). ليت إدراكنا لهذا الامتياز المجيد والمبارك يقودنا إلى حياة الانفصال

القلبى والصحيح عن كل ما ليس من المسيح وليس امجده.

«الذى فيه أنتم مبنيون معاً مسكناً لله فى الروح» (ع ٢٢)

قديماً كان للرب مسكن على الأرض أعنى الهيكل الذى كان مكان سكناه وليس «فى الروح» بل بواسطة أشياء مادية منظورة، أما الآن ـ فى تدبير النعمة الحاضرة، فإن الله يسكن على الأرض بكيفية أجمل وأعظم بركة وذلك بواسطة الروح القدس الساكن فى كل المؤمنين الحقيقيين، فإن عمل الروح القدس هو جمع أولاد الله معاً وجعلهم مسكناً لله. إنه ساكن فى الكنيسة جاعلاً إياها هيكلاً لله، وليس المقصود هنا سكناه فى المؤمنين كأفراد مع أن هذا حق ثمين ومبارك، ولكن علاوة على سكناه فيهم كأفراد يسكن فى المؤمنين كجماعة. ككنيسة المسيح جاعلاً إياها «مسكناً لله» ما أثمن هذا الحق! ولكن الله ينتظر منا أن نسلك فى ضيائه ـ أن نسلك بالقداسة التى تليق بهذا الحق.



الأصحاح الثالث

يعتبر الأصحاح الثالث من هذه الرسالة بمثابة أقوال معترضة تدور حول «المسيح والكنيسة» . هذا الموضوع الذى هو فى ذاته كأنه شئ معترض يجئ فى وسط معاملات الله وطرقه من البداية إلى النهاية. ويجئ هذا الأصحاح بين الحق التعليمى فى الأصحاح الثانى وبين الأقوال الوعظية التى تبدأ من أول الأصحاح الرابع. وينبر الرسول فى هذا الأصحاح على أن الحق المبارك الخاص «بالمسيح والكنيسة» هو سر لم يُعرّف به أحد من قديسى التدابير السابقة، ولكنه أُعلن لرسل وأنبياء العهد الجديد بعد إكمال عمل الفداء وتمجيد المسيح عن يمين الآب وبعد حضور الروح القدس فى يوم الخمسين. ومع أن هذا السر أُعلن لجميع رسل وأنبياء العهد الجديد إلا أن امتياز إعلانه وتوضيحه للكنيسة أُعطى للرسول بولس ـ رسول المسيح فى المجد. صحيح أن الرب أشار إلى «خرافه الخاصة» التى أخرجها من حظيرة إسرائيل، كما أشار أيضاً إلى «خراف أخر» من الأمم وأن هؤلاء وأولئك سيكونون رعية واحدة لراعٍ واحد (يو ١٠)، كذلك فى رؤية بطرس للملاءة المدلاة من السماء إشارة إلى الإتيان بمؤمنين من الأمم إلى المسيح، ولكن الحق الإلهى الواضح والصريح عن «الجسد الواحد» المكوّن من مؤمنين بالمسيح من اليهود والأمم على السواء، وأن المسيح المُمجَّد هو رأس هذا الجسد، هذا الحق كان سراً، والمسيح عرّفه لبولس بإعلان خاص (٣:٣) وقد أعطى لبولس امتياز الكرازة بهذا السر وإنارة الجميع فيه (ع ٨).

لقد أوضح الرسول فى الأصحاح الثانى من هذه الرسالة هذه الحقيقة المباركة وهى أن المؤمنين بالمسيح من اليهود والأمم يقفون جميعاً على قدم المساواة، فإنه

فى المسيح يسوع ليس يهودى ولا أممى بل الجميع هم جسد واحد والمسيح هو رأس هذا الجسد، وقد كان إعلان هذا الحق سبباً فى مقاومة اليهود للرسول بولس واضطهادهم له (قارن أع ٢٢:٢١ ـ ٢٤ ، ١تس ٢:١٥ ، ٢كو ١١:٢٤) بل كان إعلان هذا الحق سبباً فى أسره وسجنه (أف ٣:١).

لم يكن من السهل حتى على المؤمنين بالمسيح من اليهود أن يدركوا لأول وهلة هذا الحق الجوهرى ـ أى أن المؤمنين من اليهود والأمم هم على السواء أعضاء فى جسد المسيح، وأن المسيح بموته جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة. لم يكن من السهل عليهم أن يفهموا تماماً كيف أن الله نقض وأبطل ما سبق أن بناه هو بنفسه، فإن كان الله هو الذى جعل فى العهد القديم فاصلاً بين اليهود والأمم إذ ميّز اليهود فى ذلك العهد العتيق وأعطاهم امتيازات لم يكن للأمم نصيب فيها فكيف إذن أزال الله كل الفوارق؟ الجواب هو أن الله جعل لكل تدبير زماناً معيناً، فهو، تبارك اسمه، عيّن زماناً لتدبير العهد القديم الذى فيه جعل فرقاً بين شعبه القديم والأمم، أما الآن فإنه قد سُر بأن يأتى بتدبير جديد مؤسس على عمل الفداء ـ تدبير جديد تزول فيه كل هذه الفوارق، والجزء الأول من هذا الأصحاح (الثالث) يدور حول إيضاح هذا الجزء من سر المسيح أى أن الأمم المؤمنين بالمسيح يقفون على قدم المساواة مع إخوتهم المؤمنين بالمسيح من اليهود ـ أى الذين قبلوا المسيح مخلصاً وفادياً وأنهم جميعاً أصبحوا جسداً واحداً، والسبب الذى لأجله لا يستطيع اليهودى أن يفهم هذا الحق بسهولة هو أن الناموس والأنبياء وكل أسفار العهد القديم لم تعلن هذا السر.

إن كلمة «سر» ليس معناها شيئاً غامضاً لا يمكن فهمه بل شيئاً لم يكن معلناً فى أسفار العهد القديم، وإنما أُعلن بكل وضوح فى العهد الجديد ولا سيما فى هذه الرسالة. ثم لنلاحظ أن موضوع هذا السر هو «**المسيح والكنيسة**» أى ليس المسيح وحده ولا الكنيسة وحدها «هذا السر عظيم ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة» (أف ٥:٣٢).

«بسبب هذا انا بولس اسير يسوع المسيح لأجلكم أيها الأمم»
(ع ١)

يرينا الرسول هنا بكل وضوح السبب الذى لأجله كان أسيراً، فقد كان أسير المسيح يسوع لأجل المؤمنين من الأمم، فإنه بسبب كرازته بهذا الحق المبارك، أعنى أن المؤمنين بالمسيح من الأمم لهم نفس الامتيازات والبركات التى للمؤمنين بالمسيح من اليهود، وأنه ليس هناك أى فرق بين هؤلاء وأولئك، بسبب ذلك ثار اليهود على الرسول بولس واضطهدوه حتى وصل الأمر إلى أسره وسجنه فى رومية.

ولكن كم هو جميل حقاً أن الرسول لا ينظر إلى أسره من الناحية الإنسانية فلا يعتبر أنه أسير الدولة الرومانية، بل ينظر إلى ذلك من الناحية الإلهية فيقول بأنه «أسير المسيح يسوع» ولا ريب فى أن ذلك كان سبب تعزية وفرح لنفسه بل أنه يحسب ذلك شرفاً عظيماً إذ يقول فى ختام هذه الرسالة بأنه «سفير فى سلاسل» (ص ٦: ٢٠). أيها الأحباء أليس فى هذا درس نافع لنا فيجب أن لا ننظر إلى آلامنا ومتاعبنا ومشقات الطريق من الناحية الإنسانية بل من الناحية الإلهية فتمتلئ قلوبنا سلاماً وعزاءً ونصرة «فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا».

وكم هو عجيب أيضاً أن الرسول الذى أُعطى له شرف وامتياز كتابة هذه الرسالة التى تعلن أسمى حقائق الإنجيل الجوهرية والتى تعلن هذا السر العجيب موضحة مقام الكنيسة السماوى واقترانها بالمسيح الرأس الممجد، نقول أليس عجيباً أن الرسول كان فى نفس الوقت أسيراً ومقيداً بالسلاسل؟ إن وطن الكنيسة الحقيقى هو السماء - هو بيت الآب، وإنها (أى الكنيسة) غريبة فى هذا العالم الموضوع فى الشرير فلا عجب إن كانت تلاقى منه اضطهادات ومقاومات - ليس غريباً إذن أن بولس رسول المسيح الممجد يكتب هذه الرسالة المباركة وهو أسير ومقيد بالسلاسل.

«إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لى لأجلكم»
(ع ٢)

إن كلمة «تدبير» هنا معناها «خدمة» أو «وكالة» فقد كان الرسول بولس الإناء المختار من الله لإعلان المشورات الإلهية المتعلقة بدعوة الكنيسة ومقامها السماوى ورجائها المجيد. صحيح أن هذا السر قد أعلن أيضاً لبقية رسل المسيح وأنبيائه لكنه لم يعلن للكنيسة بواسطتهم بل بواسطة الرسول بولس - رسول المسيح يسوع للأمم. ويعتبر الرسول أن اختيار الله له لهذه الخدمة أو الوكالة كان من مجرد النعمة «نعمة الله المعطاة لى» وهذا ينطبق إلى حد ما على كل من أؤتمن على خدمة من الله «ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة» (١بط ٤ : ١٠) والرسول بولس يؤكد للمؤمنين فى أفسس أن هذه الوكالة أو الخدمة هى لأجلهم - أى لأجل المؤمنين من الأمم.

«أنه بإعلان عرّفنى بالسر كما سبقت فكتبت بالإيجاز الذى بحسبه حينما تقراونه تقدرون أن تفهموا درايتى بسر الإنجيل»
(ع ٣ و٤)

تتكرر كلمة «سر» فى هذا الأصحاح ثلاث مرات. وقد أعلن الرب هذا السر للرسول بولس بإعلان خاص، فلم يتسلمه من بطرس ولا من غيره من الرسل الذين كانوا قبله، بل أخذه من الرب الممجد مباشرة. هذا السر العظيم الخاص **«بالمسيح والكنيسة»** أى بمجد ربنا المبارك وبغبطة الكنيسة التى هى جسده، فإن مجد المسيح وبركتنا نحن أعضاء جسده مرتبطان معاً ارتباطاً أبدياً ولا يمكن فصل الواحد عن الآخر.

والرسول فى قوله «كما سبقت فكتبت بالإيجاز» يشير إلى ما كتبه فى الأصحاح الأول (ع ٩ - ١٤) وكذلك فى الأصحاح الثانى. لقد أشار بإيجاز إلى

موضوع هذا السر، ولكنه يريد هنا فى هذا الأصحاح أن يكتب عنه بأكثر تفصيل.

إن غاية الرسول العظمى هى أن المؤمنين إذ يقرأون ما يكتبه عن هذا السر يكون معروفاً ومفهوماً جيداً، وهذا بلا شك هدف كل خادم أمين للمسيح. إنه يريد أن يوصل لإخوته المؤمنين كل ما تعلم من الحق الإلهى. ليتنا نقرأ كلمة الله بروح الصلاة وبتأمل عميق حتى نستطيع أن نفهمها ونتغذى بها ونلهج فيها. وبقدر ما نتعمق فى درس كلمة الله وفهمها يزداد سجودنا وتعبدنا لإلهنا وأبينا والرب يسوع سيدنا من أجل نعمته التى أجزلها لنا.

«الذى فى أجيال أخر لم يُعرَف به بنو البشر كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح» (ع ٥)

ترينا كلمات الرسول هذه، بكل وضوح، أن هذا السر لم يكن معروفاً قبلاً عند أحد من البشر، ومع أنه كان فى التدابير السابقة لعهد النعمة الحاضر قديسون أفاضل ولكن هذا السر لم يعلن لأحد منهم، وإنما أعلنه الرب يسوع لرسله القديسين وأنبيائه (أنبياء العهد الجديد) بالروح القدس، ومعروف طبعاً أن الروح القدس لم يسكن فى أحد من المؤمنين قبل موت ربنا المبارك وقيامته من الأموات بمجد الآب وارتفاعه إلى السماء (يو ٧:٣٩).

إنك إذا قلبت كل صفحات العهد القديم لن تجد فيها كلمة واحدة عن هذا السر المبارك، والرسول يؤكد هذه الحقيقة فى هذا الفصل الذى أمامنا، كما يشير إليها فى رسالته إلى أهل رومية (ص ١٦:٢٥ ـ ٢٧) «وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلى والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السر الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية ولكن ظهر **الآن** وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية (أى كتابات العهد الجديد النبوية) حسب أمر الإله الأزلى لإطاعة الإيمان، لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد. آمين».

«أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل» (ع ٦)

يذكر الرسول هنا ما يتضمنه هذا السر الذى لم يكن معروفاً من قبل. إنه يتضمن بركات سماوية ومواعيد عظمى وثمينة للمؤمنين بالمسيح من الأمم فى تدبير النعمة الحاضر - مواعيد لم يعرف عنها أنبياء وقديسو العهد القديم شيئاً. إنك إذا قرأت كل أسفار العهد القديم، من سفر التكوين إلى سفر ملاخى لن تجد فيها ذكراً للبركات الروحية السماوية التى للمؤمنين بالمسيح من الأمم كما للمؤمنين به من اليهود (أع ١١:١٥ - ١٧). صحيح أن الله أعطى لإبراهيم مواعيد تتضمن بركات أرضية للأمم مستقبلاً - أعنى فى الملك الألفى المجيد (تك ١٨:٢٢) ولكن هناك فرقاً كبيراً بين مواعيد الله لإبراهيم من نحو الأمم وبين بركاته للكنيسة التى صارت لها فى المسيح يسوع. نعم إن هناك فرقاً كبيراً بين المواعيد التى تكلم بها أنبياء العهد القديم وبين البركات التى للكنيسة فى تدبير النعمة الحاضر، والتى أعلنها الروح القدس فى كتابات العهد الجديد، وهى أن الأمم، الأمم المؤمنين بالمسيح صاروا : **أولاً** - «شركاء فى الميراث»، فمع أنه لم يكن للأمم نصيب فى الميراث والمواعيد والبركات الأرضية التى وعد الله بها إبراهيم ونسله (مت ٢١:١٥ - ٢٧) ولكن شكراً لله فقد صار لنا نحن المؤمنين بالمسيح من الأمم شركة فى الميراث السماوى مع المسيح كما للمؤمنين به من اليهود على السواء «فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو ١٧:٨). **ثانياً** - إن هؤلاء المؤمنين بالمسيح من الأمم صاروا شركاء فى «الجسد» أعنى الجسد السرى المكون بقوة الروح القدس من جميع المؤمنين بالمسيح والذى رأسه هو المسيح المجد عن يمين الآب. **ثالثاً** - صاروا شركاء أيضاً فى «نوال موعده فى المسيح بالإنجيل» والمقصود بموعده هنا على الأرجح هو الروح القدس «موعد الآب» (أع ٤:١). فإن الروح القدس لم يعطَ للمؤمنين بالمسيح من اليهود فقط بل ومن الأمم أيضاً (أع ٤٥:١٠ ، ١٦:١١ و ١٧).

«**الذى صرت أنا خادماً له** (أى الإنجيل) **حسب موهبة نعمة الله المعطاة لى حسب فعل قوته**» (ع ٧)

كان للرسول بولس خدمتان : فقد كان خادماً للإنجيل - إنجيل المسيح فى المجد. هذا الإنجيل الذى بشَّر به بين الأمم وبواسطته تأسست كنائس كثيرة فى أماكن عديدة، كما كان أيضاً خادماً للكنيسة، فهو الذى أعطى له أن يعلن ويذيع الحق المجيد الخاص بالكنيسة باعتبارها جسد المسيح. ويبين الرسول هذه الحقيقة، أعنى أنه كان : (١) خادماً للإنجيل، (٢) وخادماً للكنيسة فى رسالته إلى المؤمنين فى كولوسى، فعن الإنجيل يقول «الذى صرت أنا خادماً له» (١ : ٢٣) كما أنه يقول عن الكنيسة «التى صرت أنا خادماً لها حسب تدبير الله المُعطى لى لأجلكم» (١ : ٢٤ و ٢٥).

ثم يرينا الرسول بكل جلاء أن خدمته للإنجيل كانت حسب الموهبة التى أنعم الله بها عليه وذلك حسب فعل قوته (أى قوة الله) هذا هو مقياس الخدمة الصحيحة لله «إن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله لكى يتمجد الله فى كل شئ بيسوع المسيح الذى له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين» (١بط ٤ : ١١).

«**لى أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن ابشر بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يستقصى**» (ع ٨)

يا لسمو نعمة الله التى أعطيت للرسول بولس! فإن هذا الذى كان قبلاً مجدفاً ومضطهداً لكنيسة الله أصبح الآن إناء مكرساً للمسيح وللكرازة بغناه الذى لا يستقصى. وما أجمل الوداعة والتواضع اللذين زيّن الله بهما هذا الرسول المغبوط، فإنه إذ يتحدث عن نعمة الله العاملة فيه كواحد من المؤمنين يقول بأنه «**أصغر** جميع القديسين» كما أنه عندما يتحدث عن خدمته كواحد من الرسل يقول «لأنى **أصغر** الرسل أنا الذى لست أهلاً لأن أدعى رسولاً لأنى اضطهدت كنيسة الله»

(١كو ١٥:٩) ولكنه عندما يشير إلى نفسه كواحد من البشر يقول بأنه أول الخطاة «الخطاة الذين **أولهم** أنا» (١تى ١:١٥). ليتنا نتمثل بالرسول بولس فى تواضعه بل بالحرى بالرب يسوع نفسه الذى يدعونا قائلاً «تعالوا إلىّ .. احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت ١١:٢٩).

إن إدراكنا لمقامنا السماوى كما أن نمونا فى النعمة وفى معرفة ربنا يسوع المسيح يجب أن يكون مزيناً ومجملاً بالوداعة والتواضع وليس بالعجب والانتفاخ، فلا نحسب أنفسنا أفضل وأعظم من الآخرين الذين لم يدركوا بعد ما أدركناه بنعمة الله من حقائق إلهية.

لقد كانت خدمة الرسول هى الكرازة بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يستقصى، الأمم الذين كانوا قبلاً فى ظلمة حالكة، وفى جهالتهم كانوا يعبدون الأوثان البكم، هؤلاء صار لهم نصيب مجيد ومبارك فى «غنى المسيح الذى لا يستقصى». تبارك اسم ربنا يسوع فإن غناه الذى لا حدّ له صار لنا نحن الأمم الذين قبلناه مخلصاً ورباً وسيداً. فهل أنا وأنت يا قارئى العزيز متمتعان بهذا الغنى الذى لا نهاية له؟ إن كان فقر المسيح هو غنى لنا (٢كو ٨:٩) فكم بالحرى يكون غناه الذى لا يستقصى؟ لقد حسب موسى فى يومه أن عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر (عب ١١:٢٦) فليتنا نحن بدورنا نوجد باستمرار فى ملء الشركة المقدسة مع ربنا المبارك فنتمتع عملياً به وبغناه «الذى لا يستقصى». ما أسعد الوجود فى هذه الحالة المباركة اختبارياً!

«وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح» (ع ٩)

ليت كل خادم للمسيح يتأمل ملياً فيما تتضمنه كلمات الرسول هذه، فإن عمله لم يكن قاصراً على خدمة المؤمنين فقط، بل كان هدفه أيضاً توصيل البشارة

إلى جميع الناس «وأنير الجميع» أعنى ليدرك جميع البشر نعمة الله الغنية التى لا تقدم لهم غفراناً لخطاياهم فحسب - غفراناً مؤسساً على كفاية ذبيحة ربنا يسوع المسيح بل تهبهم أيضاً اتحاداً بالمسيح وتصيرهم أعضاء فى جسده.

ثم لنلاحظ قوله «السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح» فإن هذا السر لم يكن مكتوماً فى الكتاب المقدس - أعنى أسفار العهد القديم، بل كان مكتوماً فى الله، فلم يعرفه أحد من قديسى التدابير السابقة لعهد النعمة الحاضر، ولكن بعد موت ربنا يسوع المسيح وقيامته من الأموات وصعوده إلى السماء حضر الروح القدس إلى العالم وسكن فى المؤمنين ليعلن لهم قيمة عمل الفداء وليذيع هذا السر الذى كان قبلاً مكتوماً وغير معلن.

«لكى يعرّف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة» (ع ١٠)

نرى هنا أن هذا السر المجيد الخاص بالكنيسة ومقامها السماوى لم يكن فقط غير معروف عند مؤمنى العهدالقديم بل كان غير معروف أيضاً عند الرؤساء والسلاطين أى الملائكة ورؤساء الملائكة، أمّا وقد أعلن هذا السر للكنيسة فقد أراد الله أن يعرّفه أيضاً لأولئك الملائكة «لكى يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات» وأن يروا فيه «حكمة الله المتنوعة» أعنى أن الله أراد أن يعلن للملائكة نوعاً جديداً من الحكمة الإلهية. لقد رأى الملائكة من قبل حكمة الله فى صور متنوعة. رأوا حكمته فى إبداع الخليقة وعندئذ «ترنمت كواكب الصبح وهتف جميع بنى العلى» (أي ٣٨:٧) كما رأوا حكمته فى أعماله المتنوعة فى كل التدابير السابقة لعهد النعمة الحاضر، أما الآن فقد أعلن الله لهم شيئاً جديداً لم يعرفوه من قبل بل كان سراً مكتوماً فى الله وحده. نعم لقد شاء الله أن يعرف الملائكة حكمته المتنوعة بواسطة الكنيسة. يا لسمو هذا المقام الذى رفّع الله كنيسته إليه! وفى الوقت نفسه ما أخطر مسئولية الكنيسة أى جميع المسيحيين

الحقيقيين الذين تتكون الكنيسة منهم! ولكن ما أقل الذين يدركون مقام الكنيسة وبالتالى ما أكثر الذين لا يعرفون فكر الله ومشيئته من نحو كنيسته ومن نحو سلوكها فى هذا العالم كشاهدة له. فهل نحن سالكون وفق إرادته حتى يتسنى له تعالى أن يشير إلينا كدرس لملائكته؟ إن إرادة الله هى أن تكون الكنيسة بمثابة كتاب للملائكة فيه يتعلمون «حكمة الله المتنوعة» هذا هو قصد الله وهذه هى مسئوليتنا نحن، فليس قصد الله أن يعرِّف الرؤساء والسلاطين بحكمته المتنوعة عندما نصل إلى السماء بل الآن ونحن هنا فى هذا العالم «لكى يعرَّف **الآن** عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة».

مما لا ريب فيه أنه إن كنا سالكين بحسب إرادة الله أبينا والرب يسوع سيدنا فإن العالم يبغضنا، ولكن ألا يكفينا بل ويسعدنا أننا موضوع مشورات الله العجيبة، وأن ملائكته يحيطون بنا، وأنه ينظر إلينا باستمرار نظرة الحب الفائق الإدراك؟ ألا يكفينا أنه أعطانا المسيح ليكون «حياتنا» ـ المسيح الذى هو «عطية الله التى لا يعبَّر عنها» كما أنه أعطانا الروح القدس ليسكن فينا جاعلاً إيانا هيكلاً له ونحن هنا على الأرض؟ إذا أراد ملاك من الملائكة أن يعرف أين تستقر محبة الله فعليه أن يطل من فوق إلى هذا العالم فيراها مستقرة على كل المؤمنين، حتى على أصغر وأضعف المؤمنين، فهل أدركنا هذا أيها القارئ العزيز؟ هل أدركنا أنت وأنا هذا السمو الذى أوصلنا الله إليه فى نعمته الغنية والعجيبة؟ إن إدراكنا لهذا الحق الثمين والمبارك من شأنه أن يقودنا لأن ننفصل عن كل ما هو تحت الشمس، عن كل ما يميل إليه الجسد مما فى هذا العالم. لقد صار لنا مركز ومقام مع المسيح فوق الشمس لذا يجب أن نضع كل شئ هنا فى هذا العالم تحت حكم الموت وأن يكون هدفنا الوحيد هو مجد اسم ربنا يسوع المسيح وأن يكون فرحنا فيه وحده.

«حسب قصد الدهور الذى فى المسيح يسوع ربنا» (ع ١١)

إن كل مشورات الله العجيبة وأفكاره الصالحة من نحو كنيسته وما عمله

لأجلها وفيها، كل ذلك تم لها بحسب قصده الأزلي «قصد الدهور» وذلك في المسيح يسوع ربنا. لاسمه المعبود كل المجد.

إن من يقرأ كلمة الله بإمعان وبروح الصلاة يجد واضحاً فيها أن قصد الله الأزلي عندما خلق العالم وعمل الإنسان هو أن يأخذ جماعة عظيمة من أولاد آدم الساقط ويصيرهم خليقة جديدة ويتحدهم بابنه المبارك ليكونوا معه ويشاركونه في مجده طوال الأبدية. كل ذلك «صنعه في المسيح يسوع ربنا» ولمجده.

«الذي به لنا جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة» (ع ١٢)

أشار الرسول في العدد السابق إلى ربنا يسوع المسيح الممجد الآن في الأعالي كمن فيه وحده يتحقق قصد الله الأزلي «قصد الدهور» هذا القصد الذي يدور حول بركة الكنيسة في اقترانها واتحادها برأسها المجيد يسوع المسيح. هذا هو الحق الغالي والثمين الذي فيه يرى الملائكة ورؤساء الملائكة «حكمة الله المتنوعة» ولكن ليس هذا كل ما صار لنا في المسيح، فهو، تبارك اسمه، الذي صار لنا به جراءة وقدوم إلى الله أبينا. لقد صار لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح. لذا وقد امتلكنا هذا السلام نستطيع أن نتقدم بجراءة أعني بدون خوف أو فزع بل بالحري بشجاعة تامة وثقة كاملة إلى الله أبينا الذي يُسرُّ باقترابنا وقدومنا إلى عرش نعمته في اسم ابنه العزيز ربنا يسوع المسيح «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع. لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان ...» (عب ١٠: ١٩ - ٢٢) «فإذا لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب ٤: ١٤ - ١٦) إن النفس التي وثقت في محبة الآب لا ترهب الاقتراب إليه بل يلذ لها أن توجد في حضرته القدسية - يلذ لها أن تطيل الشركة معه. ليتنا نزداد إدراكاً لمحبة أبينا فنجد أن أسعد اللحظات هي التي نهنأ فيها بالوجود أمامه في اسم ربنا يسوع المسيح الذي آمنا به ووثقنا فيه وفي كفاية عمله فوق الصليب «بإيمانه عن ثقة» أي بالإيمان به والثقة فيه.

«لذلك أطلب أن لا تكلوا فى شدائدى لأجلكم التى هى مجدكم»
(ع ١٣)

رأينا فى أول هذا الأصحاح كيف أن الرسول كان أسير يسوع المسيح وذلك بسبب إعلان السر الخاص بالكنيسة ومقامها.

نعم إنه بسبب إعلان السر الخاص بالكنيسة (المكونة من اليهود والأمم على السواء) ومقامها السماوى - هذا المقام الذى صار لها لاقترانها واتحادها بالمسيح الرأس - بسبب ذلك كان الرسول بولس أسيراً مقيداً بالسلاسل، وكان معرضاً وقتئذ للموت، إذ قد سُر الله بأن يستخدم عبده ورسوله هذا فى إعلان سمو مركز الكنيسة ومقامها المجيد. وهنا فى عدد ١٣ يعود الرسول ليذكرهم بهذه الحقيقة مرة أخرى إذ يبدو أن نفوسهم كانت صغيرة بسبب آلامه، لذا يشجعهم ويطلب إليهم أن لا يكلّوا بسبب شدائده بل بالحرى يجب أن تكون تلك الشدائد عاملاً على تقوية إيمانهم. لقد كان الرسول تحت سلطة الحكومة الرومانية الغاشمة التى قيدته بالسلاسل، ولكن هناك فى ذلك أعلن الله، بواسطة الكنيسة، ذلك المجد الذى صار لها فى اتحادها برأسها الممجد، الأمر الذى ملأ قلب الرسول فرحاً فى وسط شدائده، لذا يطلب إليهم بأن لا يكلوا ولا يفشلوا. ما أجمل الاتحاد الذى أوجده الروح القدس بين القديسين أعضاء الجسد الواحد، فالرسول يعتبر أن شدائده هى مجد لهم وليس له وحده.

«بسبب هذا أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح الذى منه تسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض» (ع ١٤ و ١٥)

رأينا فى تأملاتنا فى الأصحاح الأول أن من أهم الصلوات التى سُر الروح القدس أن يدونها لنا على صفحات الكتاب المقدس، تلك التى قدمها الرسول بولس وهو أسير ومقيد بالسلاسل. إنها صلوات قيّمة وعظيمة ومليئة بالتعاليم الروحية النافعة لنا. وقد رأينا أيضاً أن هذه الرسالة تتضمن صلوتين الأولى فى

الأصحاح الأول (١:١٥ ـ ٢٣) والثانية فى هذا الأصحاح (٣:١٤ ـ ٢١) وقد سبقت الإشارة عند التأمل فى الأصحاح الأول (ع ٣) إلى أن الله، تبارك اسمه، هو **إله** ربنا يسوع المسيح وأنه أيضاً **أبو** ربنا يسوع المسيح، وأن كل صلاة من هاتين الصلوتين مرتبطة فى موضوعها بإحدى هاتين العلاقتين. فالصلاة الأولى مقدمة إلى «إله ربنا يسوع المسيح» (١:١٧) والثانية مقدمة إلى «**أبى** ربنا يسوع المسيح» (٣:١٤). فى الصلاة الأولى رأيناه كالإنسان الذى الله إلهه «إلهى» (مت ٢٧:٤٦ ، يو ٢٠:١٧) بينما فى الصلاة الثانية نراه فى علاقته الفريدة بالآب كالابن الوحيد ـ العلاقة الأزلية والأبدية «أبى» (يو ٢٠:١٧).

ومن الأهمية بمكان أن نراعى أن هناك فرقاً بين صلاته الأولى (ص ١) وبين صلاته الثانية (ص ٣) فالأولى موضوعها «الذهن» بينما الثانية موضوعها «الإنسان الباطن» ـ الأولى موضوعها «الاستنارة» بينما الثانية موضوعها «المسيح فى القلب» فلا يكفى حصولنا على المعرفة بل يجب أن تثمر هذه المعرفة ثمراً روحياً فى حياتنا العملية.

إن قراءتنا للصلاة الأولى تقودنا للتأمل فى قصد الله الأزلى ومشوراته العجيبة من نحونا، ولكن تأملنا فى الصلاة الثانية يقودنا إلى سكب قلوبنا بالتعبد والتعظيم لله أبينا، والمحبة والتكريس للرب يسوع الذى أحبنا أولاً.

«بسبب هذا» أعنى بسبب سمو هذا السر الذى أفاض الرسول فى شرحه فى الأعداد السابقة (١ ـ ١٣) حيث كان كل غرضه أن يتمتع المؤمنون عملياً بهذه الامتيازات المباركة التى لهم فى المسيح.

«بسبب هذا أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح» فإن سمو وجلال الموضوع الذى كان ماثلاً أمام الرسول ومالئاً قلبه وأفكاره قد قاده لأن يحنى ركبتيه ويسكب نفسه وعواطفه أمام الله الآب. صحيح أن فى أجزاء كثيرة من كلمة الله نقرأ عن الصلاة وقوفاً (انظر ١صم ١:٢٦ ، مر ١١:٢٥ ، لو ١٨:١١و ١٣) ولكن إحناء الركبتين أمام الله يدل على الأهمية العظمى التى لموضوع

الصلاة كما يدل على سكب النفس والقلب أمام عرش النعمة. وكأنى بالرسول عندما كان يُملى هذه الرسالة على الشخص الذى كان يكتبها (كما فى رو ١٦:٢٢) ـ كأنى به عندما أتى إلى إعلان هذه المشورات العجيبة وإلى الكرازة بغنى المسيح الذى لا يستقصى، لم يستطع إلا أن يتوقف قليلاً عن الإملاء لكى يحنى ركبتيه. ولسنا نغالى إن قلنا إن صلاة بولس هذه هى أسمى صلواته ـ هى تاج كل صلواته الأخرى. ولم يكن أمراً مستغرباً عند القديسين فى أفسس أن يحنى بولس ركبتيه فى الصلاة لأجلهم فإنه بعد أن خاطب قسوس تلك الكنيسة ذلك الخطاب الوداعى «جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلى» (أع ٢٠:٣٦). ألم نختبر نحن أيضاً ذلك عملياً؟ فقد نصلى منفردين أو مجتمعين معاً ونحن واقفون على أقدامنا ولكن عندما يقودنا الروح القدس للتأمل العميق فى مشورات محبة الله العجيبة ونعمته الغنية ألا نجد أنفسنا مدفوعين لإحناء ركبنا بالسجود والتعبد لله أبينا؟ ليتنا ننمو فى إدراك سمو مقامنا وما صار لنا فى المسيح يسوع ربنا من غنى لا يستقصى فتكون لنا الركب المنحنية والقلوب الفائضة بالتعبد لأبى ربنا يسوع المسيح.

«الذى منه تسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض» لقد كانت لإسرائيل دون سواه فى العهد القديم علاقة مع الله باعتباره «يهوه» ولكن عندما يحدثنا الرسول هنا عن الله «أبى ربنا يسوع المسيح» فإنه لا يقدمه لنا كمن له علاقة بعشيرة واحدة فقط هى إسرائيل، ولكن كالخالق لجميع الكائنات الحية ـ الملائكة والبشر على السواء، هو «الذى منه تسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض» إنه هو «خالق الجميع بيسوع المسيح» (ع ٩) فالمقصود بكل عشيرة فى السموات وعلى الأرض هو الملائكة ورؤساء الملائكة الذين يُدعون أيضاً «أبناء الله» (أى ١:٦، ٣٨:٧) وكذا جميع المؤمنين فى تدبير النعمة الحاضرة كما فى التدابير السابقة أعنى فى أيام الآباء الذين قبل الطوفان وبعده، وكذا مؤمنى العهد القديم، وكذلك جميع المؤمنين الذين سيوجدون على الأرض بعد اختطاف

الكنيسة أى البقية التقية من إسرائيل والأمم الذين يقبلون بشارة الملكوت. وقد عيّن الله لكل عشيرة من هذه العشائر مركزها ومقامها، فليس لها جميعها مركز ومقام واحد، فإننا نقرأ فى كلمة الله عن العروس امرأة الخروف كما نقرأ عن أصدقاء العريس كذلك نقرأ سفر نشيد الأنشاد (٦:٨ و ٩) عن ملكات وسرارى وعذارى وبنات. ولا شك أن لكل عشيرة من هؤلاء علاقتها بالمسيح، إلا أن المقام الأسمى، ولا ريب، هو للكنيسة التى هى عروس الحمل السماوية، الكنيسة التى هى جسده «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه».

«لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن» (ع ١٦)

يا لسمو نعمة إلهنا وأبينا من نحونا! إنه، تبارك اسمه، مستعد ويريد أن يعطى، لا بمقياس إدراكنا المحدود ولكن «بحسب غناه فى المجد» (فى ٤:١٩) ومهما سألنا فلا نستطيع أن نطلب منه أكثر مما يستطيع أن يُعطى أو يهب. إنه يعطينا «بحسب غنى مجده». قيل أن شخصاً ما تقدم إلى الملك وطلب منه شيئاً فأعطاه الملك بحسب غناه وكرمه، أعطاه أكثر مما سأل، فقال ذلك السائل له، يا جلالة الملك إن هذا كثير وأكثر جداً من اللازم. فابتسم الملك وقال له «قد يبدو لك أن ما تأخذه كثير بالنسبة لك ولكن بالنسبة لى ليس ما أعطيه كثيراً علىّ» فجدير بنا أن نطلب من إلهنا وأبينا المحب بثقة وبيقين لأنه يفعل فوق كل شئ أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر.

إن صلاة الرسول بولس هذه بمثابة سلسلة ثمينة مكونة من حلقات ذهبية. إنها تتضمن مجموعة من الطلبات الروحية العالية :

+ «لكى يعطيكم .. أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن»

لقد عرف الرسول بولس ضعف الإنسان فى ذاته ـ عرف معنى قول الرب «بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» بل سمع كلمات الرب المشجعة «تكفيك

نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل» لذا كان أول شئ طلبه فى هذه الصلاة هو أن يتأيدوا بقوة الروح القدس فى الإنسان الباطن. صحيح أن الروح القدس ساكن فى كل مؤمن حقيقى الأمر الذى أكده الرسول فى الأصحاح الأول «إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس» (ع ١٣) ولكن ما نحتاج إليه هو أن نتأيد بقوته فى الإنسان الباطن. ليتنا نتمثل بالرسول بولس فنحنى ركبنا باستمرار لدى أبى ربنا يسوع المسيح لكى يؤيدنا بقوة روحه القدوس. حقاً ما أحوجنا فى هذه الأيام الأخيرة - أيام لاودكية التى ساد فيها الضعف والفتور على كثيرين من المسيحيين، أقول ما أحوجنا إلى سكب نفوسنا يومياً وباستمرار أمام إلهنا وأبينا لكى يؤيدنا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن.

+ «ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم» (ع١٧)

جدير بالملاحظة أن غاية الرسول فى طلبه لأجل المؤمنين بأن يتأيدوا بقوة الروح القدس فى الإنسان الباطن هى لكى يحل المسيح بالإيمان فى قلوبهم. إذ متى امتلك الروح القدس حياة المسيحى الحقيقى فإنه يملأ قلبه وعواطفه وأفكاره وكل كيانه بالمسيح يسوع. إن غاية الروح العظمى فى سكناه فى المؤمنين هى أن يريهم ما فى المسيح من كمالات وأمجاد. إنه يريهم كيف أنه «أبرع جمالاً من بنى البشر» وأن «حلقه حلاوة وكله مشتهيات» «ذاك يمجدنى لأنه يأخذمما لى ويخبركم. كل ما للآب هو لى. لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم» (يو ١٦:١٤ و ١٥).

إنه من الخطأ أن تنحصر أفكارنا ومشغوليتنا فى عمل الروح القدس فينا مهما كان عظيماً، فإن الغرض من سكناه ومن عمله فينا هو ليشهد للمسيح (يو ٢٦:١٥) حتى يكون للمسيح مكانه اللائق فى قلوبنا.

ومن الأهمية بمكان أن نراعى قصد الرسول فى صلاته هذه، فهو لا يطلب لأجل القديسين فى أفسس بأن يقبلوا المسيح بالإيمان، فإن هذا قد تم فعلاً فى اللحظة

التى فيها قبلوه مخلصاً وفادياً لهم، ولكن هناك بركة أسمى من ذلك، وهى أن يجلس المسيح على عرش قلوبنا.

وواضح أيضاً أن كل مؤمن حقيقى هو **فى المسيح** «إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة» (٢كو ٥:١٧) «أعرف إنساناً فى المسيح» (٢كو ١٢:٢). ولكن السؤال المهم هو «هل للمسيح **وحده** مكانه فى قلوبنا؟» إنه لا يقبل أن يكون لأى شئ آخر مكان معه فيه. كما تقول ترنيمة إنجليزية ما معناه «*إذا لم يكن المسيح رباً وسيداً على كل شئ (فى القلب) فهو ليس سيداً على أى شئ*[1]».

ومتى حلّ المسيح بالإيمان فى قلب المؤمن وامتلكه فإنه بالتالى يهيمن على الكيان بجملته. إنه يسود على الحواس والعواطف والأفكار وكل أعضاء الجسد، وهذا هو سبيل النصرة والفرح فى حياة المسيحى الحقيقى. حقاً ما أسعد المؤمن الذى يكون المسيح كل شئ فى حياته «المسيح يحيا فىّ». ليتنا نصلى بلجاجة وباستمرار وبركب منحنية لدى أبى ربنا يسوع المسيح حتى يكون هذا اختبار الكاتب والقارئ العزيز طيلة أيام وجودنا فى هذا العالم.

+ «وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو» (ع ١٨)

يستعمل الرسول فى مستهل هذا العدد تشبيهين جميلين للمؤمنين «وأنتم متأصلون ومتأسسون» وإننا نجد ما يماثلهما فى رسالته إلى أهل كولوسى (ص ٢:٧) «متأصلين ومبنيين فيه» وهذا معناه أننا «متأصلون» كشجرة تعمقت جذورها فى باطن الأرض فصارت ثابتة لا تزعزعها العواصف كما أنها مليئة بالثمار الشهية «كشجرة مغروسة عند مجارى المياه. التى تعطى ثمرها فى أوانه

(1) " If Christ is not Lord of all. He is not Lord at all ".

وورقها لا يذبل» (مز ١) «ومتأسسون» كبناء راسخ مبنى على الصخر «صخر الدهور» ربنا يسوع المسيح.

«متأصلون ومتأسسون في **المحبة**». فالمؤمن كشجرة متأصلة تستمد غذاءها من الله الذى هو «محبة» وكبناء متين مؤسس على الصخر الراسخ ربنا يسوع المسيح الذى هو المحبة المتجسدة «أنتم فلاحة الله. بناء الله» (١كو ٣:٩).

«حتى تستطيعوا أن تدركوا مع **جميع القديسين**» وهنا نرى فائدة الشركة المقدسة بين المؤمنين، فإنه متى كنا متأصلين ومتأسسين فى المحبة نستطيع أن نساعد ونعاون بعضنا بعضاً فى فهم وإدراك مشورات نعمة الله الغنية من نحونا. إننا لا نستطيع أن نستغنى عن بعضنا البعض، فكل واحد منا كعضو فى الجسد الواحد هو نافع لبقية الأعضاء. بل بالحرى إن أصغر وأضعف عضو فى جسد المسيح هو لازم لبقية الأعضاء (١كو ١٢:٢٢ - ٢٥) فمتى كنا متأصلين ومتأسسين فى المحبة نستطيع **معاً** «أن ندرك ما هو العرض والطول والعمق والعلو» أى يكون لنا النمو والتقدم في معرفة وإدراك ذلك السر الذى هو موضوع هذا الأصحاح بصفة خاصة.

يظن البعض أن المقصود بالعرض والطول والعمق والعلو هو «محبة المسيح» ولكن ليس هذا هو قصد الرسول هنا لأن حرف الواو فى العبارة التالية «وتعرفوا محبة المسيح» يبين أن المقصود بعبارة «أن تدركوا .. ما هو العرض والطول والعمق والعلو» هو شئ آخر غير محبة المسيح.

صحيح أن الرسول لا يذكر هنا بوضوح الشئ الذى له هذا العرض والطول والعمق والعلو - إنه يترك ذلك لفطنة القارئ أو بالحرى ليفهم أن المقصود هو ذلك السر المبارك الذى أفاض الرسول فى شرح موضوعه فى هذه الرسالة وبصفة خاصة فى هذا الأصحاح.

+ «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله» (ع ١٩)

يختم الرسول صلاته لأجل القديسين بهذه الطلبة العجيبة والمجيدة «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة». فكأنه أبقى الخمر الجيدة إلى الآخر. إنه شئ جميل ومبارك أن ننمو فى إدراك سمو نعمة الله الغنية من نحونا - أن ندرك ما هو عرض وطول وعمق وعلو قصد الله الأزلى - ذلك القصد الذى كان سراً مكتوماً ولكنه أعلن لنا نحن أولاد الله فى تدبير العهد الجديد المجيد، إلا أن الرسول يختم صلاته بهذه الطلبة العجيبة «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله» ألا يبدو كأن هناك تناقضاً فى هذه العبارة إذ كيف نستطيع أن نعرف شيئاً فائق المعرفة؟ الصحيح هو أن الرسول لا يقصد بقوله هذا أننا نستطيع - فى أى وقت من الأوقات - أن نستوعب محبة المسيح ونعرفها معرفة كاملة بل أن ننمو أكثر فأكثر فى معرفة هذه المحبة اللانهائية، وكأن الرسول يقودنا إلى السباحة فى بحر عميق - عميق جداً ولا نهاية لعمقه - إلى بحر لا شاطئ له، فإننا لن نستطيع، لا فى الحياة الحاضرة ولا فى الأبدية، أن نصل إلى آخر أو نهاية لهذه المحبة، فإن محبة المسيح لنا هى كمحبة الآب له «كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا» (يو ١٥: ٩) فكما أن محبة الله الآب لابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح لا قياس ولا حدود لها كذلك محبة المسيح لنا.

أيها الرب يسوع ما أعجبك وما أعجب محبتك لنا! فهبنا بنعمتك أن نعرفك ونعرف محبتك أكثر فأكثر وأن نختبرها عملياً وباستمرار فى حياتنا.

حبك الحب العجيب	فاق إدراكَ العقول
لم يكن هول الصليب	دون ذا الحب يحول
ليس من حد له	أو قياس أو قرار
كل فكر للورى	عند ذا الحب يحار

أليست هذه هى غبطة السماء بعينها ؟ إن غبطتنا ونحن هنا على الأرض إذا كنا قد عرفنا محبة المسيح الفائقة المعرفة وملكت هذه المحبة على كل كياننا هى غبطة السماء.

وكما أن محبة المسيح لنا هى كمحبة الآب كذلك محبة الآب لنا نحن أولاده هى كمحبته لابنه العزيز ربنا يسوع (يو ١٧:٢٣) أليس هذا عجيباً! نعم إنه عجيب ولكنه فى الوقت نفسه حقيقى وصحيح.

والله قد أحبنا محبة ابنه الحبيب
لأننا فيه وذا تفسير ذا السر العجيب

إنه جميل حقاً أن نلاحظ كيف أن هذه الصلاة ترينا الله الواحد فى أقانيمه الثلاثة عاملاً لبركتنا، فالرسول قد أحنى ركبتيه لدى أبى ربنا يسوع المسيح (الله الآب) لكى يؤيدنا بالقوة بروحه (الله الروح القدس) فى الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبنا ولكى نعرف محبة المسيح الفائقة المعرفة (الله الابن) تبارك اسمه المعبود.

«لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله» هذه بلاشك هى النتيجة المباركة لحلول المسيح بالإيمان فى قلوبنا ولمعرفة محبته الفائقة المعرفة. وهذا واضح من قوله «لكى تمتلئوا» ولكن كما أننا لا نستطيع أن نصل إلى نهاية لمحبة المسيح الفائقة المعرفة كذلك لا نستطيع أن نصل إلى نهاية لملء الله. وليس هناك اختبار أعجب وأسمى من هذا أننا نحن الخلائق الضعيفة المسكينة فى ذاتها نمتلئ إلى كل ملء الله. إن طلبة الرسول هذه هى لنا كما كانت قديماً للقديسين فى أفسس، فلم يكتف هذا الرسول المغبوط بما طلبه فى صلاته الأولى (ص ١) أى الاستنارة حتى نعرف أننا جسد المسيح وأننا ملء الذى يملأ الكل فى الكل، بل يريد لنا أكثر من ذلك - إنه يريد لنا اختباراً أسمى أى أننا بقوة الروح القدس الساكن فينا نمتلئ إلى كل ملء الله نفسه، وهذه حالة عملية دائرتها، ليس الذهن بل القلب، أى نمو وعمق فى

الشركة مع الله بعد أن استنرنا وعرفنا مركزنا ومقامنا فى المسيح.

لقد صلى سليمان عند تدشين الهيكل قائلاً «هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك» (١مل ٨:٢٧) ومع ذلك فإنه يسكن «مع المنسحق والمتواضع الروح» (إش ٥٧:١٥). وكلمات الرسول يوحنا «من يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه» .. «الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه» (١يو ٣:٢٤ ، ٤:١٦) وكذلك قول الرب يسوع لخاصته «اثبتوا فىّ وأنا فيكم» (يو ١٥:٤) هذه الكلمات قد تعطينا فكرة عن معنى قول الرسول «لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله».

حسناً فسر أحد رجال الله كلمات الرسول هذه بتشبيه جميل وهو أنك إذا ألقيت وعاء **مفتوحاً** فى البحر فإنه يكون فى البحر والبحر فيه. ليت لنا القلوب المفتوحة لله وأمامه أو بالحرى ليتنا نكثر من الشركة مع الله فيكون هذا اختبارنا المبارك باستمرار - اختبار الامتلاء إلى كل ملء الله.

يحدثنا الروح القدس هنا عن «ملء الله» وفى الأصحاح الرابع عن «ملء المسيح» (ع ١٣) وفى الأصحاح الخامس عن «ملء الروح القدس» (ع ١٨) «امتلئوا بالروح» فماذا يعوزنا بعد؟

> **«والقادر أن يفعل فوق كل شئ أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب *القوة التى تعمل فينا له المجد فى الكنيسة فى المسيح* يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور. آمين» (ع ٢٠ و ٢١)**

يختم الرسول القسم الأول من هذه الرسالة أى القسم التعليمى (ص ١ - ٣) بهذه التسبحة الجميلة. لقد رأيناه فى الأعداد السابقة (١٤ - ١٩) جاثياً على ركبتيه مصلياً لأجل القديسين هذه الصلاة القيمة والتى لا نغالى إن قلنا إنها أعظم وأسمى صلواته المدونة فى كل رسائله، أما الآن فإن قلبه يفيض بالتسبيح لله أبى ربنا يسوع المسيح «القادر أن يفعل».

ومن المفيد أن نلاحظ أن كلمتى «القادر أن» تتكرران ثلاث مرات فى ثلاث

تسبيحات واردة فى رسائل العهد الجديد، فالرسول بولس فى رسالته إلى أهل رومية (ص ١٦ : ٢٥) يقول «وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلى والكرازة بيسوع المسيح .. الله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد. آمين» ثم فى رسالة يهوذا (ع٢٤) يقول «والقادر أن يحفظكم غير عاثرين ويوقفكم أمام مجده بلا عيب فى الابتهاج الإله الحكيم الوحيد مخلصنا له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور. آمين» فما أعظم قدرة إلهنا الذى معه أمرنا! إن التسبيح مُلذ لقلبه ومُبهج لنفوسنا أيضاً.

ثم لنلاحظ أيضاً سعة إيمان الرسول وثقته فى قدرة الله، فهو لا يكتفى بالقول «والقادر أن يفعل أكثر مما نطلب» فإن طاقته الروحية كانت أوسع من ذلك فلا يكتفى أيضاً بالقول «والقادر أن يفعل أكثر **جداً** مما نطلب» بل لقد سما إيمانه بالله وبقدرته العظيمة فقال «والقادر أن يفعل **فوق كل شئ** أكثر جداً مما نطلب أو **نفتكر**». لقد سلفت الإشارة بأن الرسول طلب فى صلاته لأجل القديسين بأن يعرفوا محبة المسيح **الفائقة المعرفة** وأن يمتلئوا إلى **كل** ملء الله، وإذ يبدو أن هذا أمر صعب المنال، لأنه كيف نستطيع أن نسمو إلى اختبارات مجيدة كهذه؟ لذا يوجهنا الروح القدس إلى الله القادر أن يفعل لا أكثر مما نطلب فقط بل وأكثر جداً مما نفتكر أو يخطر لنا ببال. ليت إيماننا فى قدرة إلهنا وأبينا يقوى ويزداد حتى أننا فى كل ظروف الحياة المتنوعة نتقدم إليه بثقة كاملة وبيقين شديد عالمين أنه «القادر» الذى لا حدود لقدرته فهو الذى يستطيع كل شئ ولا يعسر عليه أمر ما.

إن إلهنا هو القادر أن يفعل .. «بحسب القوة التى تعمل فينا» هذه القوة هى قوة الله الروح القدس الساكن فى قلب كل مؤمن، فالمسيحى الحقيقى هو هيكل لله «لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو» (١كو ٣ : ١٧) «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم» (١كو ٦ : ١٩).

أيها الأحباء إن فى داخلنا نحن المؤمنين قوة إلهية تعمل **فينا** الآن كما أن هناك أيضاً قوة إلهية قد عملت **لأجلنا** وهى التى تأملنا فيها فى الأصحاح الأول (ع

١٩) «لتعلموا .. ما هى عظمة قدرته الفائقة **نحونا** نحن المؤمنين». تلك القوة التى أقامت المسيح من الأموات والتى عملت لأجلنا «نحونا» حتى أقامتنا من موتنا ـ أقامت المسيح وأقامتنا معه. أما هنا فالروح القدس يضع أمامنا القوة التى تعمل الآن فينا والتى بها نستطيع أن نعرف محبة المسيح الفائقة المعرفة وأن نمتلئ إلى كل ملء الله. إن الله هو القادر أن يفعل .. «بحسب القوة التى تعمل فينا» فبقدر ما نُفسح المجال للروح القدس ليهيمن على حياتنا وليعمل فينا بقوته، بهذا القدر عينه نستطيع أن نفوز بثمار وبركات هذه القدرة الإلهية التى لا حدود لها.

«له المجد فى الكنيسة فى المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور. آمين» يالسمو المقام الثابت والدائم الذى أعطاه الله لكنيسته! هذا المقام الذى تضمنته هذه التسبحة الجميلة، فإن الله قد أوجد الكنيسة لتكون لمجده إلى جميع أجيال دهر الدهور ـ لمجده فى الزمان وفى الأبدية، فلا يمكن أن يكون هناك وقت من الأوقات أو بالحرى أى دهر من الدهور لا تكون فيه الكنيسة «عروس الحمل» لمجد الله. ففى الأبدية أى بعد أن تزول السماء الأولى والأرض الأولى والبحر لا يكون فيما بعد، ستكون الكنيسة نفسها هى «مسكن الله مع الناس» (رؤ ٢١: ١ ـ ٣) أى أن الله حالاً فى الكنيسة سيسكن مع الناس، فإن جميع المفديين المُقامين (بخلاف الكنيسة) سينظرون فى الأبدية «مسكن الله» الذى بلا شك هو الكنيسة[١]، والذى بواسطته سيسكن الله مع أولئك المفديين.

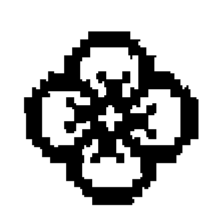
---

(١) واضح من مقارنة رؤيا ٢١ والعدد ٩ مع الأعداد ١٠ ـ ٢٣ أن «العروس امرأة الخروف» التى أراها أحد السبعة الملائكة ليوحنا هى «المدينة العظيمة أورشليم المقدسة» فالمدينة هذه هى صورة رمزية لمجد الكنيسة وعندما رأى يوحنا أورشليم الجديدة نازلة من السماء سمع صوتاً عظيماً قائلاً «هوذا مسكن الله» (ع ٢ و ٣).

إن الكنيسة هى مسكن الله فى الحاضر وفى المستقبل أيضاً، فهى الآن مسكن لله فى الروح (أف ٢: ٢٠ ـ ٢٢) أما فى الأبدية فالله، الذى هو الكل فى الكل سيجعلها مسكناً له (رؤ ٢١: ٣).

غير أنه من المهم أن نرى أن الكنيسة لا يمكن أن تكون لمجد الله بالانفصال عن المسيح. إننا بدون المسيح كنا أجنبيين عن الله وأعداء له، ولكن إذ اتحدت الكنيسة بالمسيح فصار هو (أى المسيح) رأسها وهى جسده، صارت لحمد الله ولمجده «**له المجد فى الكنيسة فى المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور**».

«آمين» ليت كل من القارئ العزيز والكاتب أيضاً يشترك من القلب مع الرسول المغبوط فى إحناء ركبتيه أمام الله أبى ربنا يسوع المسيح طالباً منه أن يختبر عملياً كل ما تضمنته صلاة الرسول كما ويشترك معه أيضاً بكل عواطفه فى هذه التسبحة المباركة التى تملأ قلبه سجوداً وتعبداً حتى يستطيع أن يقول بحق «آمين».



الأصحاح الرابع

الأصحاح الرابع هو بداءة القسم الثانى والأخير من هذه الرسالة، أى القسم العملى فإن الثلاثة الأصحاحات الأولى هى القسم التعليمى الذى يدور حول قصد الله الأزلى ومشوراته من نحو الكنيسة ومقامها المجيد الذى صار لها لاتحادها واقترانها برأسها المبارك ربنا يسوع المسيح. فالله الآب هو الذى قصد منذ الأزل بأن يأتى بالخطاة المساكين الذين يؤمنون بابنه الوحيد ليكونوا أولاداً له ـ هؤلاء الذين منهم تتكون الكنيسة التى هى «جسد المسيح»، والمسيح «الابن الوحيد» هو الذى اشترى الكنيسة بدمه الكريم إذ أسلم نفسه لأجلها، والروح القدس أتى من السماء ليقود النفوس إلى المخلص الوحيد وليتحد كل مؤمن حقيقى بالمسيح الرأس وبذا يتم قصد الله الأزلى.

سلفت الإشارة إلى أن الأصحاحات الثلاثة الأولى من هذه الرسالة هى القسم التعليمى أما الأصحاحات الثلاثة الأخيرة فإن الرسول يحدثنا فيها بالتفصيل عن الواجبات المسيحية، لأن التعليم الصحيح يجب أن يقود إلى السلوك الصحيح، ذلك لأن الحياة العملية النقية هى ثمرة التعاليم النقية. فإدراك سمو الدعوة أولاً ثم السلوك كما يحق للدعوة. هذا هو الترتيب الإلهى الذى نراه دائماً فى رسائل الرسول بولس، وهذا هو أسلوبه الخاص فيها، فهو دائماً يقدم التعليم قبل العيشة العملية. الدعوة أولاً ثم السلوك. المقام أولاً قبل المسئولية، أو الامتيازات قبل الالتزامات، فالمؤمن الذى يتيقن من دعوته العليا يمكنه أن يدرك أيضاً واجبه من نحو العيشة فى القداسة. إن آمنت بالمسيحية التعليمية فلابد لك من أن تحيا فى المسيحية العملية. وكما يرانا الله كمن أجلسنا فى السماويات فى المسيح، هكذا

يجب أن يرانا الناس فوق الأرض فى الحالة التى تتناسب مع هذا المقام.

ويقدم لنا الروح القدس فى هذا القسم الأخير من الرسالة حقيقتين جوهريتين هما السلوك المسيحى (ص ٤: ١ ـ ٦: ٩) والجهاد المسيحى (ص٦: ١٠ ـ ٢٠).

***

«فأطلب إليكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها» (ع ١)

واضح من قوله «فأطلب إليكم» أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الحق التعليمى فى الأصحاحات السابقة وبين الحق العملى فى الأصحاحات الثلاثة الأخيرة، إذ حيثما يوجد إيمان حقيقى فلابد أن يثمر بالأعمال الصالحة.

وهذه هى المرة الثانية التى فيها يشير الرسول إلى نفسه بأنه «الأسير فى الرب» (انظر ص ٣: ١) فبالرغم من أن الحكومة الرومانية هى التى أسرته وقيدته وأخيراً قدمته للموت كما قدمت ربه وسيده قبلاً للموت «موت الصليب»، بالرغم من ذلك فإن الرسول يحسبه شرفاً يردد ذكره أن يكون «أسير يسوع المسيح» أو «سفير (له) فى سلاسل» (ص ٦: ٢٠).

وما أرق الأسلوب الذى به يخاطب الرسول بولس أولاده فى الإيمان فى أفسس فهو لا يخاطبهم بلغة أو لهجة الآمر ولكن بأسلوب لطيف «فأطلب إليكم أنا الأسير فى الرب».

«أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها» ما أسمى هذه الدعوة!! فإنها «دعوة الله العليا فى المسيح يسوع» (فى ٣: ١٤) ـ «دعوة مقدسة» (٢تى ١: ٩). إنها «الدعوة السماوية» التى صرنا شركاءها (عب ٣: ١) لقد دعانا الله بنعمته «إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١كو ١: ٩) وفيه قد باركنا بكل بركة روحية فى السماويات، فقد وهبنا حياة أبدية، واتحدنا بابنه الحبيب رأس الجسد المُقام من الأموات والممجد عن يمين الله فى السماويات، كما أننا صرنا مبنيين معاً

مسكناً لله فى الروح ـ صرنا هيكلاً مقدساً فى الرب. ففى نور هذه الحقائق الثمينة يجب أن نسلك كما يحق لهذه الامتيازات المباركة، وكما يحق للدعوة التى دعينا بها.

«بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة» (ع ٢)

كان فى ذهن الرسول أن يكتب للمؤمنين عن أهمية «حفظ وحدانية الروح برباط السلام» لذا نراه هنا يمهد لذلك بالحث على السلوك بالتواضع والوداعة .. الخ.

«**بكل** تواضع» أى التواضع فى كل ناحية من نواحى الحياة. هذا ويجب أن نسهر على حالة قلوبنا التى كثيراً ما تخدعنا فنحرص على ألا يكون لنا مظهر التواضع الظاهرى، بل بالحرى التواضع القلبى. إن سيد المعلمين يدعونا أن نتعلم منه لأنه «متواضع **القلب**».

على أن هناك فرقاً كبيراً بين تواضع الرب وبين تواضعنا نحن. فهو، له المجد، المعادل لله أبيه «أنا والآب واحد» ولكنه أخلى نفسه .. وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، فهو العظيم الذى لا حد لعظمته ولجلاله ولكنه تنازل حتى وصل إلى أرضنا الملطخة بالخطية لا بل قد نزل إلى أقسام الأرض السفلى. أما تواضعنا نحن فليس كذلك، فإن معناه أن نعرف حقيقة ذواتنا ـ أن نعرف أننا تراب ورماد. وإدراكنا لهذه الحقيقة يصوننا من الكبرياء والانتفاخ. ليحفظنا الرب فى حالة الاتضاع الصحيح لأن «الله يقاوم المستكبرين أما المتواضعون فيعطيهم نعمة».

لقد أفاض الرسول فى شرح وإيضاح سمو مقامنا وكيف أن الله الغنى فى الرحمة والمحبة والنعمة قد «أجلسنا معاً فى السماويات فى المسيح يسوع» ولكنه (أى الرسول) يحثنا على السلوك «بكل تواضع» فلا ننتفخ ونتعظم بسبب سمو

مقامنا بل بالحرى نظهر جمال هذا المقام بسلوكنا بالتواضع. هذه هى الخطوة الأولى فى سبيل الوحدة.

«ووداعة» حقاً ما أجمل هذه الصفة! وما أجمل أن نتحلى بها! إنها صفة من صفات المسيح الجميلة التى يشير إليها الرسول بولس فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (ص ١:١٠) «فأطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه» والرب نفسه يدعونا قائلاً «تعالوا إلىّ ... وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت ٢٨:١١ و ٢٩).

الوداعة هى أن نقابل الإساءة بكل هدوء كما كان سيدنا هنا على الأرض «الذى إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً» فيجب أن نتمثل به فى وداعته وفى كل صفاته «من قال أنه ثابت فيه ينبغى أنه كما سلك ذاك (أى المسيح) هكذا يسلك هو أيضاً» (١يو ٦:٢) هذه خطوة أخرى فى سبيل الوحدة.

«وبطول أناة» يتكرر هذا الحث فى بعض رسائل الرسول بولس الأخرى، وطول الأناة معناه أن لا نكون سريعى الغضب والتهيج عندما يُعتدى علينا أو يُساء إلينا، لا سيما إذا كانت الإساءة إلينا افتراءً ولا نصيب لها من الصحة.

ما أجمل هذه السجية «طول الأناة» فإنها تكسب النفس سلاماً وهناءً. ليتنا نصلى بلجاجة حتى يعطينا الرب سعة صدر ورحبة قلب كما أعطى سليمان قديماً (١مل ٢٩:٤). هذه أيضاً خطوة أخرى مباركة فى سبيل الوحدة.

«محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة» تجئ هذه العبارة مرة أخرى فى «كو ١٣:٣) وهذا الحث يتضمن فى معناه أن كلاً منا معرض للخطأ فى حق أخيه، ولكن متى توفرت المحبة فى قلوبنا فإننا نستطيع بنعمة الله أن نحتمل أخطاء الآخرين إلينا كما أننا نريد أنهم يحتملون أخطاءنا فى المحبة.

صحيح أنه من واجبنا أن نكون ساهرين فلا نخطئ إلى غيرنا، ولكن بما أننا نحن أنفسنا معرضون للخطأ فى حق إخوتنا لذا يجب علينا أن نحتمل أخطاءهم

إلينا. والرسول بطرس يحرّض المؤمنين على التعقل والصحو للصلوات، وهذا تحريض له أهميته ومع ذلك فإنه يقول «ولكن قبل كل شئ لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا» (١بط ٤:٧ و ٨). إن كل هذه التحريضات التى يقدمها لنا الروح القدس هى التى تساعدنا على حفظ وحدانية الروح برباطً السلام.

«مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام» (ع ٣)

لعله يكون واضحاً وجلياً لدى القارئ العزيز أن الرسول لا يطلب منا هنا أن نحفظ وحدانية «**الجسد**»، لأن هذا ليس من اختصاص البشر بل هو عمل «إلهى» قد قام الله به بواسطة الروح القدس الذى حضر من السماء فى يوم الخمسين ليضم إلى الكنيسة كل الذين يؤمنون إيماناً قلبياً صحيحاً بالرب يسوع المسيح جاعلاً منهم جسداً واحداً للمسيح «لأننا جميعنا بروح واحد اعتمدنا إلى **جسد واحد**» (١كو ١٢:١٣) فإنه بالرغم من الانقسامات العديدة التى حدثت، مع الأسف الشديد، فى المسيحية فإن جميع المسيحيين الحقيقيين فى كل الطوائف والجماعات المسيحية فى كل العالم هم جسد المسيح الواحد. أما ما يحثنا الرسول عليه هنا فهو **الاجتهاد** فى حفظ «وحدانية الروح» - أعنى بذل كل الجهد فى حفظ هذه الوحدانية - أى أن أعتبر أن كل مسيحى حقيقى فى أية جماعة من الجماعات المسيحية هو أخى وأنه عضو مثلى فى جسد المسيح وأن من واجبى أن أحبه وأتعامل معه على هذا الأساس.

ثم لنلاحظ أيضاً أن الرسول لا يطلب منا أن نجتهد فى بناء أو تكوين هذه الوحدة بل فى **حفظها**، لأن الروح القدس قد كوّن فعلاً هذه الوحدانية، وواجبنا هو أن نجتهد فى حفظها وذلك بواسطة إظهار المحبة القلبية - المحبة التى بلا رياء لجميع المؤمنين الحقيقيين بدون استثناء أو بالحرى فى إظهار جمال وبهاء هذه الوحدانية فى تعاملنا مع كل أولاد الله.

«برباط السلام» ليس المقصود بالسلام هنا سلام الله لنفوسنا - السلام الذى

يحفظ قلوبنا وأفكارنا فى المسيح يسوع، بل السلام الذى يربط قلوبنا بكل أولاد الله الأعزاء. قد يكون عند البعض من هؤلاء المؤمنين عدم إدراك كامل لكل الحقائق الإلهية، ونفعل حسناً إذا كنا بكل تواضع ووداعة نساعدهم فى فهم وإدراك المبادئ الإلهية الصحيحة ولكن الشئ الأهم الذى ينبر عليه الرسول هنا هو الاجتهاد فى حفظ وحدانية الروح برباط السلام.

على أنه، من الناحية الأخرى، يجب مراعاة هذه الحقيقة الهامة وهى أن حفظ وحدانية الروح برباط السلام ليس معناه قبول أى إنسان فى الشركة مع جماعة المؤمنين كيفما كانت عيشته العملية أو مبادئه التعليمية، إنه من الخطورة بمكان أن نفعل ذلك بدافع المحبة أو لحفظ وحدانية الروح برباط السلام، فإن المحبة لا تكون محبة مسيحية صادقة إذا أُظهرت على حساب حق الله والمسيح. هل من الإخلاص للرب يسوع والمحبة له ولحقه الثمين أن نسمح لإنسان غير سالك بالأمانة وفى القداسة العملية بالوجود فى شركة مع المؤمنين؟ أو أن نسمح بذلك لشخص يقول إنه مسيحى حقيقى ولكنه ملوث بتعاليم فاسدة تهين مجد المسيح ربنا وسيدنا ؟

أيا قديسى الله. لنصحُ ولننتبه جيداً إلى أننا نعيش فى الأيام الأخيرة ـ أيام الارتداد التى فيها «سر الإثم» يعمل بقوة استعداداً للارتداد الكامل وقبول «الأثيم ـ ضد المسيح». إن المبادئ العصرية التى تنكر وحى الكتب المقدسة كلها أو بعض أجزاء منها، أو التى تنكر لاهوت ربنا يسوع المسيح، أو لا تؤمن بأن موته فوق الصليب كان موتاً كفارياً، أو غير ذلك من المبادئ الكفرية ـ هذه كلها قد تغلغلت فى وسط المسيحية الاسمية، فجدير بكل محبى المسيح أن يتجنبوا أمثال هؤلاء العصريين الذين يدّعون أنهم مسيحيون. إن يوحنا رسول المحبة يحذرنا من قبول أمثال هؤلاء المضلين ومن التعامل معهم بأية صورة من الصور «كل من تعدى ولم يثبت فى تعليم المسيح فليس له الله. ومن يثبت فى تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً. إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا التعليم فلا

تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة» (٢يو ٩ ـ ١١).

إن الرب يسوع المسيح قد بنى كنيسته على الاعتراف الصحيح الذى أعلنه الآب لبطرس فقال «أنت هو المسيح ابن الله الحى» (مت ١٦:١٦ و ١٧) فمن لا يعترف بأن الرب يسوع المسيح هو ابن الله الحى ولا يؤمن به وبقيمة عمله الفدائى فهو ليس من كنيسة المسيح أى ليس مسيحياً بالحق حتى ولو كان عموداً أو معلماً فى أكبر أو أعظم الطوائف المسيحية، فلا يليق أبداً أن تكون لمحبى الرب يسوع ـ أفراداً أو جماعات أية شركة، من أى نوع كان مع أمثال هؤلاء، بينما يجب علينا فى الوقت نفسه أن نحفظ وحدانية الروح مع جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح فى عدم فساد ـ أن نحبهم بالحق وأن نقبلهم فى المحبة. ليعطنا الرب أن نُحفظ بنعمته من الرخاوة والتساهل مع الشر فلا تكون لنا شركة مع من يسيئون إلى اسم ربنا المبارك سواء فى سلوكهم العملى أو بمبادئهم العصرية الآثمة. وليعطنا من الناحية الأخرى أن نُحفظ أيضاً من الروح الضيقة ـ الروح الطائفية، فنحب جميع أولاد الله حتى القاصرين منهم فى إدراك كل امتيازاتهم التى صارت لهم فى المسيح يسوع «ومن هو ضعيف فى الإيمان فاقبلوه .. فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نُرضى أنفسنا .. فليرضِ كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان .. لذلك اقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله» (رو ١:١٤ ، ١:١٥ ـ ٧).

«جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد» (ع ٤)

يرسم الرسول أمامنا فى هذا العدد وفى العددين التاليين له (٤ ـ ٦) سبع صفات للوحدة، ففى هذا العدد (٤) ثلاث صفات تعتبر بمثابة الجزء الأول من هذه الوحدة، وفى العدد الخامس الجزء الثانى المكون أيضاً من ثلاث صفات أخرى لهذه الوحدة وفى العدد السادس الجزء الثالث، المكون من الصفة السابعة.

«جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد» هذه هى الدائرة الأولى والتى لا يمكن أن يدخل فيها إلاّ كل مؤمن حقيقى - كل من وُلد ثانية وختم بروح الموعد القدوس.

والمقصود بالجسد الواحد جميع الذين اغتسلوا بدم المسيح الكريم وصاروا خاصته واتحدوا به كأعضاء فى جسده «فإنه كما فى جسد واحد لنا أعضاء كثيرة .. هكذا نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر» (رو ١٢:٤ و ٥).

«وروح واحد» أى الروح القدس الذى به اعتمدنا فصرنا أعضاء فى جسد المسيح «لأننا جميعاً بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد .. وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (١كو ١٢:١٣).

«كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد» فإن كل المؤمنين الحقيقيين لهم هذا الرجاء الواحد - رجاء مجئ ربنا يسوع المسيح حيث نكون مثله لأننا سنراه كما هو. لقد أشار الرسول فى الأصحاح الأول من هذه الرسالة فى (ع ١٨) إلى رجاء دعوتنا هذه بالقول «رجاء **دعوته**» أى أن الله هو الداعى، كما أنه «رجاء **دعوتنا**» لأننا نحن الذين دعينا.

«رب واحد، وإيمان واحد، معمودية واحدة» (ع ٥)

يتضمن هذا العدد الجزء الثانى أو الدائرة الثانية لهذه الوحدة. وهى دائرة أوسع نوعاً من الدائرة الأولى. فهى لا تتضمن بالضرورة كل المؤمنين الحقيقيين فقط، ولكنها قد تتضمن أيضاً المعترفين بإيمانهم بالمسيح دون أن يكونوا متجددين حقيقة أو مولودين ولادة ثانية.

«رب واحد» أى الرب يسوع المسيح ابن الله الأزلى الوحيد، والمؤمن الحقيقى يجد شبعاً لنفسه إذ يعترف به رباً وسيداً ويسلك فى الطاعة القلبية له ولإرادته الصالحة، إنه، تبارك اسمه، هو مخلصنا ولكن أكثر من ذلك هو ربنا وسيدنا،

وإدراكنا لربوبيته وسيادته علينا وعلى جميع خاصته هو من أقوى العوامل على حفظ وحدانية الروح برباط السلام. غير أن الإقرار به رباً قد يشمل أيضاً المعترفين به دون أن يكونوا مولودين الولادة الثانية، وقد أشار الرب إلى ذلك في قوله «ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات، بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات. كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وبإسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرح لهم إنى لم أعرفكم قط. اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم» (مت ٧: ٢١ ـ ٢٣). إن اليوم سيبين حقيقة كل المعترفين بربوبية المسيح. حقاً ما أخطر هذا وما أروعه بالنسبة لكل معترف بالمسيح ولكنه ليس مسيحياً بالحق! وسيجئ الوقت الذى فيه يعترف كل لسان أن يسوع هو رب لمجد الله الآب.

«إيمان واحد». إن الوسيلة الوحيدة لدخول الإنسان فى دائرة النعمة والحياة الأبدية هى الإيمان القلبى بالرب يسوع المسيح. لقد كنا أمواتاً روحياً ولكننا إذ آمنا بالرب يسوع انتقلنا من الموت إلى الحياة ـ أى نلنا حياة أبدية، غير أن القول «إيمان واحد» إنما يشير إلى الإيمان المسيحى العام أو المشترك أعنى إقرار جميع المعترفين بالمسيح بالإيمان به، وذلك للتمييز بينه وبين الإيمان اليهودى وإيمان الأمم الوثنيين.

«معمودية واحدة». لا جدال فى أنه ليس المقصود بالمعمودية هنا معمودية الروح القدس فإن هذه أشير إليها فى العدد السابق بقوله «روح واحد» أى الروح القدس، ولكن المقصود بالمعمودية هنا هو المعمودية بالماء باسم الآب والابن والروح القدس، وتسمى بالمعمودية المسيحية أو باسم الرب يسوع تمييزاً لها عن معمودية يوحنا المعمدان وعن المعموديات (الغسلات) اليهودية (قارن أع ٢: ٣٨ ، ١٠: ٤٨ مع مت ٣: ٦ ، عب ٦: ٢).

على أن المقصود بالمعمودية لا إزالة وسخ الجسد بل «سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح» (١بط ٣: ٢١) وفى أعمال ٨: ١٣ نقرأ أن فيلبس قد

عمّد سيمون الساحر عندما اعترف بإيمانه بالمسيح ولكن تبين على الفور أنه لم يكن مسيحياً بالمرة، ولذلك فإن فيلبس لما قال له الخصى الحبشى بعد ذلك «هوذا ماء ماذا يمنع أن أعتمد. قال فيلبس إن كنت تؤمن من **كل قلبك** يجوز» (أع ٨:٣٦ و ٣٧).

«إله واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم» (ع ٦)

هذه هى الدائرة الثالثة فى هذه الوحدة وهى دائرة أوسع كثيراً من سابقتها، فإنه وإن كان امتياز المؤمنين الحقيقيين أن يعرفوا الله كالإله والآب الواحد لهم وأن يجدوا سلامهم وشبع قلوبهم فى هذه المعرفة، إلا أننا من الناحية الأخرى نرى الله هنا كصاحب السيادة والسلطان على كل البشر لأنهم خليقته. إنه فى الواقع إله الجميع «الرب إله أرواح جميع البشر» (عد ٢٧:١٦) فهو إله الذين يعرفونه ويؤمنون به وإله الذين لا يعرفونه بل يعبدون الآلهة والأوثان العديدة «.. نعلم أن ليس وثن فى العالم وأن ليس إله آخر إلا واحداً. لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة .. لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ..» (١كو ٨:٤ ـ ٦).

إننا نؤمن «بإله واحد» وليس بآلهة عديدة كالأمم الوثنيين، كما نؤمن «بآب واحد للكل». هذه الحقيقة لم يدركها اليهود فى عهد الناموس فإنهم كانوا يظنون أن الله لهم وحدهم دون بقية البشر كما أنهم لم يعرفوه كالآب بالكيفية المباركة التى يعرفه بها مسيحيو العهد الجديد «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب. الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله» (رو ٨:١٥ و ١٦).

إن الله والآب الواحد هو «للكل» فإنه يعتنى بالكل أعنى بجميع خلائقه حتى ولو كانوا ينكرونه «فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين» (مت ٥:٤٥) وهو الذى «يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شئ .. لأننا أيضاً ذريته[1]» (أع ١٧:٢٤ ـ ٢٨).

(١) ليس المقصود بالقول «إننا أيضاً ذريته» أن جميع البشر هم أولاد الله المولودون منه ولادة جديدة بل=

وكما أنه للكل فإنه أيضاً «على الكل» أى صاحب السلطان والسيادة على كل خليقته.

«وفى كلكم». هذا هو امتياز المؤمنين الحقيقيين، فإنه وإن كان الله هو الإله والآب الواحد للكل وعلى الكل، إلا أنه فى كل المؤمنين أولاده، إذ لا يقول الرسول هنا «فى الكل» بل «فى كلكم» وفى هذا نرى التمييز الواضح والفرق الكبير بين معاملة الله للعالم بجملته وبين معاملته لأولاده المولودين منه «الولادة الثانية». «فى كلكم» فهو ليس معنا فقط بل هو أيضاً فينا. ما أمجد هذا!

بتأملنا فى هذه الوحدة السباعية نرى الله المثلث الأقانيم عاملاً لأجلنا وفينا لحفظ وحدانية الروح برباط السلام، ففى (ع ٤) الروح القدس «روح واحد» وفى (ع ٥) الرب يسوع «رب واحد» وفى (ع ٦) الله الآب «آب واحد» لاسمه المعبود كل المجد والإكرام.

«ولكن لكل واحد منا أعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح» (ع ٧)

يوجه الروح القدس التفاتنا فى هذا العدد وفى الأعداد التالية له (٧ ـ ١٣) إلى موضوع المواهب الروحية التى أعطاها المسيح الممجد والمرتفع إلى السماء لكنيسته لبنيانها ونموها، غير أن هذا الموضوع يجئ بعد الكلام بالتفصيل عن أهمية حفظ وحدانية الروح برباط السلام، إذ ما قيمة ممارسة المواهب مع ما لها من أهمية عظمى إذا لم يراعَ حفظ الوحدانية برباط السلام؟ ما قيمة الخدمة مهما كانت سامية إذا لم تتوفر المحبة بين أعضاء الجسد الواحد؟ (اقرأ ١كو ١٣).

والرسول هنا يتكلم أولاً عن المواهب المعطاة لكل واحد من المؤمنين «لكل واحد منا» بينما توجد فى الوقت نفسه مواهب خاصة سيجئ الكلام عنها فى الأعداد

= باعتبار أنهم خليقته وصنعة يديه الذين يعتنى ويهتم بهم.

التالية. إن كل عضو فى أجسادنا الطبيعية له عمله - الأعضاء الداخلية الغير المنظورة والأعضاء الخارجية المنظورة - كل منها له عمله ووظيفته التى يقوم بها لفائدة بقية أعضاء الجسد، كذلك كل عضو فى جسد المسيح له عمله أى موهبته التى يجب أن يخدم بها بقية الأعضاء «فإنه كما فى جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد هكذا نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا» (رو ١٢:٤ - ٦).

وهذه المواهب كلها من مجرد النعمة «لكل واحد منا أعطيت النعمة (أو نعمة) حسب قياس هبة المسيح» فالمسيح الرأس قد أعطى بحسب نعمته ومسرته الصالحة لكل واحد من أعضاء جسده عملاً أو هبة. وقوله «حسب قياس هبة المسيح» معناه أن الرب يسوع قد أعطى لكل واحد من المؤمنين موهبته بحسب القياس أو القدر الذى أراده له «وأما الآن فقد وضع الله الأعضاء كل واحد منها فى الجسد **كما أراد**» (١كو ١٢:١٨).

إن المسيح الرأس هو مصدر كل المواهب التى أغدقها على كنيسته، وجدير بالملاحظة أن الوحى فى هذه الرسالة يتحدث عن الرب يسوع الذى صعد إلى العلاء كمصدر للمواهب بينما فى رسالة كورنثوس الأولى لا يشير إلى الرب يسوع كمانح المواهب الروحية بالقدر الذى يشير به إلى الروح القدس كالمعطى لتلك المواهب (١كو ١٢:٧ - ١٢)، ذلك لأن الكنيسة منظور إليها فى رسالة كورنثوس باعتبار أنها لا زالت فى هذا العالم وبما أن الروح القدس الأقنوم الإلهى قد حضر إلى العالم ولا يزال موجوداً فيه لذا يشار إليه كالمعطى للمواهب الروحية، بينما فى رسالة أفسس نرى الكنيسة أنها أجلست فى السماويات لذا يشار إلى المسيح الممجد والجالس الآن فى السماويات كالمانح لهذه المواهب الروحية.

«لذلك يقول. إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا» (ع ٨)

اقتبس الرسول هذه الكلمات من مزمور ١٨:٦٨ حيث يقول « صعدت إلى العلاء. سبيت سبياً. قبلت عطايا بين الناس [(١)] للسكن أيها الرب الإله» ويبدو أن داود قصد فى كتابة هذا المزمور الإشارة إلى حادثة تاريخية فى أيام ملكه على إسرائيل، أعنى إلى إحدى انتصاراته على أعدائه واقتياد جزء منهم إلى السبى، كما يبدو أيضاً أنه عند انتصار الملك داود على أولئك الأعداء وزّعت «عطايا» سواء من الملك إلى رعيته وهو الأرجح، أو من الرعية إلى الملك اعترافاً بفضل انتصاره، إنما الذى يهمنا نحن أن نراعيه هو أن الرسول بولس رأى فى كلمات داود هذه ربنا يسوع كمن ترمز إليه هذه الأقوال - رأى فى نصرة ملك العهد القديم (داود) صورة لنصرة ربنا المبارك على الموت وعلى من له سلطان الموت أى إبليس (عب ١٤:٢) وأنه من وقت رجوعه المظفّر إلى بيت أبيه لا يزال يوزع عطايا وهبات على رعيته. إن هذا ما أدركه أيضاً الرسول بطرس عندما قال فى يوم الخمسين عن الرب يسوع «وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذى أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه» (أع ٣٣:٢) فقد كان حضور الروح القدس هو العطية الأولى التى وهبها الرب لكنيسته بعد ارتفاعه إلى السماء.

«وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات لكى يملأ الكل» (ع ٩ و١٠)

الانتصارات التى أعطاها الرب لداود ولغيره من أبطال العهد القديم كانت انتصارات عظيمة وعجيبة حقاً، ولكن أعظم وأعجب وأشرف نصرة هى نصرة

---

(١) «أو قبلت عطايا لأجل الناس وأيضاً للمتمردين»

Thou hast received gifts for men: yea, for the rebellious also.

المسيح له المجد، فإنه بعد أن انتصر على الخطية وغلب الموت وهزم الشيطان قام بمجد إلهى وصعد إلى السماء بجلال فائق ومن هناك وزع الغنائم والبركات على أولئك الذين كانوا أسرى مسبيين فى قبضة العدو، فهو (أى المسيح) الأقوى الذى غلب القوى وخلص الأسرى إذ حطّم الأغلال والقيود التى كبلهم بها ذلك العدو. مبارك وممجد اسم ربنا المعبود إلى الأبد.

تأمل فى هذا! إن الذى صعد فوق جميع السموات هو الذى نزل أولاً إلى أقسام الأرض السفلى، فإذا ما تأملت فى اتضاعه فإنك لن تصل إلى أعماق تنازله. إن ذاك المعادل لله أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس. وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لقد مات رئيس الحياة موت العار والهوان والازدراء. لقد حمل دينونتنا - حمل خطايانا فى جسده على الخشبة. نعم إنه نزل إلى أقسام الأرض السفلى - أى أنه دفن فى القبر وهناك دُفنت خطايانا إلى الأبد. يا له من تنازل!

كما أنك إذا رفعت بصرك إلى السماء فإنك لن تصل إلى إدراك سمو الرفعة التى رفّعه الله إليها - الرفعة التى وصل إليها المسيح كإنسان، فإنه هو الإنسان الوحيد المُقام من الأموات والمُمجَّد والمُرتفِع إلى السماء بل فوق جميع السماوات «لذلك رفّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم» وإنى إذ أراه بالإيمان هناك أتيقن بأنى صرت مقبولاً فيه أمام الله بل مقبولاً كقبوله هو أمام أبيه. لقد صعد فوق جميع السموات «لكى يملأ الكل» وهل هناك ملء أعظم من صيرورتنا مقبولين فيه قبولاً كاملاً وأبدياً؟ وأن الله يرانا فيه «قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة»؟ نعم هل هناك ملء أكثر من أن الله يحبنا الآن كمحبته لابنه الحبيب (يو ٢٣:١٧)؟ لقد أُسلم الرب يسوع لأجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا، ووجوده هناك فوق جميع السموات هو أعظم برهان على تبريرنا وقبولنا أمام الله. هل أدركنا هذه الحقيقة المباركة أن الذى صعد فوق جميع السموات هو إنسان مثلنا تماماً ولكن بلا خطية؟ وأنه مُمجَّد على عرش الله، وأنه بالرغم من وجوده فى السماء فإنه

كإنسان يرثى لنا فى آلامنا وتجاربنا وأحزاننا؟ «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات فلنتمسك بالإقرار. لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مُجرَّب فى كل شئ مثلنا بلا خطية. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه» (عب ٤:١٤ - ١٦) نعم لنأت إليه فى كل ظروف الحياة ولنخبره بكل شئ فإن قلبه الرقيق مملوء بالحنان والعطف علينا ويده ممدودة بالعون فى حينه.

«وهو أعطى *البعض* أن يكونوا رسلاً *والبعض* أنبياء *والبعض* مبشرين *والبعض* رعاة ومعلمين» (ع ١١)

المسيح له المجد هو الرأس المُمجّد والمُرتفع إلى السماء، وهو وحده صاحب السلطان فى أن يعطى هذه المواهب المتنوعة لمن يشاء.

إن الموهبتين الأولى والثانية «الرسل والأنبياء» هما الموهبتان الأساسيتان أو بالحرى الموهبتان اللتان استخدمهما الرب لتأسيس الكنيسة. ومن الخطأ البيّن أن يظن أحد بأنه يوجد رسل فى الكنيسة الآن بخلاف الرسل الذين أقامهم الرب فى البداءة أو يوجد خلفاء للرسل باقون للآن ولهم سلطان الرسل أنفسهم.

لقد اختار الرب يسوع فى أيام جسده على الأرض اثنى عشر تلميذاً الذين سماهم رسلاً (لو ٦:١٣) ولكن خدمتهم وقتئذ لم تكن لتأسيس الكنيسة بل كانت قاصرة على خراف بيت إسرائيل الضالة (مت ١٠:٥ و ٦) أما بعد أن أكمل الرب عمل الفداء وقام من الأموات بمجد الآب فقد أعطى هؤلاء الرسل أنفسهم خدمة جديدة - أعطاهم هذه الموهبة الفريدة أى أن «يكونوا رسلاً» للكرازة بالإنجيل للخليقة كلها. على أن إرساليتهم الجديدة كانت متوقفة على صعود الرب إلى السماء وإرسال الروح القدس ليحل عليهم ويزودهم بالقوة فى إتمام خدمتهم الجديدة هذه، وهى خدمة تأسيسية «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف ٢:٢٠).

«والبعض أنبياء» أقام الله في البداءة أشخاصاً لم يكونوا رسلاً ولكنهم كانوا أواني للوحي مثل مرقس ولوقا وغيرهما، هؤلاء كانوا أنبياء. وليس ذلك فقط بل كان هناك أنبياء آخرون ولكنهم لم يكونوا أواني للوحي نظير أغابوس (أع ١٠:٢١ و ١١) وغيره. ذلك لأن أسفار الوحي لم تكن كلها قد كُتبت وقت تأسيس الكنيسة لذا أقام الله الأنبياء الذين كان يعطيهم إعلانات أي نبوات شفوية ينطقون بها عند الحاجة لمعرفة فكر الله في أي أمر من الأمور. هذا هو المقصود بقوله للمؤمنين في كورنثوس بأنه إذا كان أحد المؤمنين يتكلم في الاجتماع لبنيان المؤمنين إخوته وحدث أن «أُعلن لآخر جالس فليسكت الأول» (١كو ٣٠:١٤) ذلك لأن الإعلان هنا هو عبارة عن وحي شفوي لإرشاد الكنيسة في أي أمر من الأمور أو مبدأ من المبادئ الإلهية. أمّا وقد كملت أسفار الوحي (التي تبدأ بسفر التكوين وتنتهي بسفر الرؤيا) فلم تعد هناك حاجة إلى إعلانات جديدة، وإن كل ادعاء بوجود ما يسمى إعلانات في الوقت الحاضر لهو إنكار لكمال الوحي الإلهي الذي فيه كل الكفاية لإرشاد المؤمنين أفراداً وجماعات في كل شيء، كما أن هذا الادعاء يعطي الشيطان الكذّاب وأبو الكذّاب فرصة لخداع النفوس وتضليلها.

مما لا ريب فيه أن الله أقام من حين إلى آخر رجالاً موهوبين كان لهم في خدمتهم ما يشبه إلى حد ما خدمة الأنبياء إذ استخدمهم في إظهار بعض الحقائق الإلهية المعلنة في كلمة الله والتي أخفاها العدو عن الناس ربما لأجيال عديدة. مثال ذلك، الحق البسيط الخاص بالتبرير بالإيمان بدون أعمال. هذا الحق قد طمس العدو عيون المسيحيين عن إدراكه أجيالاً طوالاً إلى أن أقام الله لوثر الذي استخدمه في إنارة الملايين من الناس في إدراك هذا الحق الإلهي الثمين أن «البار بالإيمان يحيا». كذلك الحق المبارك الخاص بمجيء الرب الثاني كرجاء الكنيسة، هذا الحق الذي غاب واختفى من أمام الكنيسة أجيالاً عديدة، ولكن الله أقام من وقت ليس ببعيد رجالاً موهوبين لم يكونوا أنبياء بالمعنى المقصود في هذا العدد ولكن

كان لهم فى خدمتهم ما يشبه خدمة الأنبياء إذ استخدمهم الرب فى إحياء هذا الحق الثمين فأشرق نوره البهيج على الكثيرين من أولاد الله فملأ قلوبهم بفرح مجيد، كما أنه قادهم إلى الانفصال العملى عن كل ما ليس من الله. وأين تجد فى كتابات المفسرين فى عصور المسيحية الوسطى المظلمة الحق الخاص بدعوة الكنيسة وصيرورتها جسد المسيح ومقامها السماوى؟ وأين تجد شرحاً مفصلاً وكاملاً لرجاء الكنيسة - أعنى مجئ الرب لاختطاف المؤمنين ليكونوا معه ويشاركوه فى مجده؟ هذه وحقائق أخرى غيرها غابت وأصبحت مجهولة حتى من المؤمنين الحقيقيين أجيالاً عديدة إلى أن أقام الرب رجالاً مكرسين استخدمهم فى شرح وتوضيح هذه الحقائق الثمينة.

على أن هناك نوعاً آخر من الأنبياء بخلاف الأنبياء الذين استخدمهم الرب هم والرسل فى تأسيس الكنيسة. هذا النوع الآخر من الأنبياء هم الذين يكلمون جماعة المؤمنين «ببنيان ووعظ وتسلية» (١كو ١٤: ٣) هؤلاء موجودون فى الكنيسة فى كل مدة وجودها على الأرض وإلى أن يأتى الرب.

«والبعض مبشرين». ما أسمى هذه العطية! فإن خدمة المبشر المجيدة هى أن يحمل أخبار النعمة الغنية المفرحة إلى عالم أثيم وهالك، فخدمته ليست دائرتها الكنيسة حيث الخدمة فيها للراعى والمعلم، ولكن دائرتها «العالم أجمع»، ومع ذلك فإن خدمة المبشر هى أعظم بركة للكنيسة فإنه يأتى بالنفوس البعيدة ويقودها إلى المسيح وبالتالى إلى جماعة المؤمنين. ومما هو جدير بالملاحظة أن الكنيسة التى لا تهتم بالكرازة بالإنجيل هى كنيسة ضعيفة ومنحطة روحياً ولا يمكن أن تنمو أو يتزايد عدد تلاميذ الرب فيها، أو كما قال أحدهم «إن الكنيسة المحلية التى تتوقف عن خدمة البشارة تعد كفنها بيدها» وهذا ما آلت إليها فعلاً بعض الاجتماعات المحلية.

ثم إن هذه الموهبة ليست قاصرة على طائفة معينة من المؤمنين ولكن الرب الذى صعد إلى السماء يعطى البعض من المؤمنين بين كل الجماعات المسيحية أن يكونوا

«مبشرين».

يظن بعض المسيحيين أن خدمة المبشر هى أقل أهمية أو أدنى مرتبة من خدمة الراعى أو المعلم ولكن هذا الظن لا أساس له من الصحة، فقد كان الرسول بولس مبشراً وكذا تيموثاوس وفوق الكل الرب يسوع الذى كان يذهب إلى القرى والمدن كارزاً ومبشراً بملكوت الله.

إن المبشر هو شخص قد ملأ الرب قلبه بالمحبة للنفوس البعيدة وألهب عواطفه بالغيرة المقدسة والاهتمام بالإتيان بالنفوس إلى المخلص الكريم. ليت الرب يملأ قلوب الكثيرين من خاصته بالمحبة للنفوس البعيدة ويزودهم بالقوة الروحية لتقديم بشارة الإنجيل المباركة للنفوس «الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون. فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده».

«والبعض رعاة» إن كان عمل المبشِّر هو الكرازة بالإنجيل للنفوس المسكينة فإن الراعى الحقيقى يتميز بأن قلبه مملوء بالعطف والاهتمام بسلامة قطيع المسيح. إن كان المبشِّر يجد النفوس كخراف ضالة وتائهة فى برية هذا العالم ويأتى بها إلى مكان الأمن والسلام - إلى حيث قطيع المسيح فإن الراعى يغذيها من مراعى كلمة الله. إنه يهتم بكل واحد منها فيعمل على تقوية الضعيف وتعزية الحزين وتشجيع المجرَّب وإقامة الساقط والعاثر. يهتم بكل واحد من قطيع المسيح ولو كان فى حالة المرض أو على فراش الموت.

عندما التقى الرب يسوع راعى الخراف العظيم المُقام من الأموات ببطرس ومعه بعض التلاميذ عند بحر طبرية وسأله ثلاث مرات قائلاً «أتحبنى؟» كان جوابه «نعم يارب أنت تعلم أنى أحبك» عندئذ قال له الرب «ارع خرافى .. ارع غنمى .. ارع غنمى» (يو ٢١: ١٥ - ١٧) فلم يكن بطرس رسولاً فحسب بل كان راعياً أيضاً. ما أسمى هذه الخدمة! إنها موهبة لا تُنال بالعلم فى الجامعات أو الكليات اللاهوتية ولكن الرب نفسه هو الذى يُعطى الراعى قلباً مملوءاً بالمحبة الشديدة لخرافه.

«ومعلمين» وهنا يجب أن نراعى أن هناك فرقاً بين الراعى والمعلم، فالراعى شخص قد ميّزه الرب بأن أعطاه فطنة روحية فى رعاية قطيعه والاهتمام بكل واحد منهم فى ظروفه المتنوعة، بينما المعلم هو شخص أعطاه الرب معرفة واسعة فى كلمته وقدرة على شرحها للمؤمنين. إننا نقرأ فى رسالة كورنثوس الأولى (١٢:٨) «فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة. ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد» فيمكننا القول بأن الراعى تتميز خدمته بكلام «حكمة» - حكمة فى رعاية خاصة المسيح ومعالجة متاعبهم أو بالحرى كل ظروفهم، بينما تتميز خدمة المعلم بكلام «علم» فهو يستطيع أن يشرح ويفصّل كلمة الحق بالاستقامة حتى يستوعبها المؤمنون ويستفيدوا منها.

وقد يعطى الرب شخصاً واحداً أن يكون راعياً ومعلماً فى وقت واحد.

هذه هى المواهب الدائمة واللازمة لكنيسة الله كل مدة وجودها على الأرض، وذلك بخلاف بعض المواهب الأخرى المعجزية المذكورة فى رسالة كورنثوس الأولى أصحاحى ١٢ و ١٤ والتى كانت لازمة لتثبيت الكرازة عند تأسيس الكنيسة «وكان الرب يعمل **معهم** ويثبت الكلام بالآيات التابعة» (مر ١٦: ٢٠، قارن أيضاً عب ٢:٣ و ٤).

«لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح» (ع ١٢)

يبين الرسول هنا غاية الرب العظمى من إعطاء المواهب الروحية، فإن قصده من خدمة الرسل والأنبياء والمبشرين والرعاة والمعلمين هو «لأجل تكميل القديسين» أى نموهم ونضوجهم الروحى. هذه هى إرادة الرب من نحو قديسيه، فهو يريدهم أن يكونوا كاملين فى المعرفة وفى الحياة العملية. إن كان الرسل والأنبياء المؤسسون ليسوا موجودين الآن بالجسد بين المؤمنين على الأرض فإن لدينا كتاباتهم - الأناجيل وسفر الأعمال والرسائل وسفر الرؤيا وفيها كل الكفاية لكنيسة المسيح إلى نهاية وجودها فى هذا العالم، كما أعطى البعض أن يكونوا مبشرين للإتيان بنفوس المعينين للحياة الأبدية إلى المسيح، وكذلك أعطى البعض أن يكونوا رعاة

ومعلمين لفائدة شعبه. وغاية الرب في ذلك كله هي «لأجل تكميل القديسين» وذلك بواسطة الخدمة التي أعطاها الرب لخدامه للقيام بها «لعمل الخدمة» ـ هذا العمل الذي يستخدمه الرب «لبنيان جسد المسيح». إن الرب يسوع المسيح رأس الجسد الذي أحب الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها هو الذي يغذي ويقوت أعضاء جسده وذلك بواسطة المواهب الروحية التي أغدقها على كنيسته لبنيان جسده.

«إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح» (ع ١٣)

المسيح يسوع ربنا وحده ولا سواه هو موضوع كلمات الرسول هذه، فإن قصد الله في إعطاء المواهب الروحية هو بنيان المؤمنين ونموهم روحياً حتى يكون لهم هدف واحد وهو المسيح نفسه. إنه جميل حقاً أن نعرف حقيقة الفداء الذي صار لنا بموت ربنا يسوع، ولكن إرادة الله الأسمى هي أن ننمو ونتعمق أكثر في معرفة ابن الله نفسه. إن الإيمان بعمله الكفاري فوق الصليب لازم ولا غنى للنفس عنه، ولكن أسمى ما يستطيع أن يصل إليه الإيمان هو الرب يسوع ابن الله المبارك نفسه، فإنه من أسمى امتيازاتنا أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ـ أي الإيمان الواحد المسلَّم مرة إلى القديسين ـ أن نتعمق في الإيمان بكل ما للمسيح من أمجاد فائقة ومقام فريد، وننمو في معرفة ابن الله.

«إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح» والكمال هنا بمعناه الحقيقي هو أن نعرف الرب يسوع معرفة اختبارية، وأن يكون هو هدفنا الوحيد. أن يكون هو كل شئ في حياتنا وأن يكون موضوع تعلق وفرح وتعبد قلوبنا.

صحيح أننا سنصل إلى هذه الحالة السامية والمجيدة بصورة كاملة في المجد عندما يأتي الرب يسوع ويأخذنا لنكون مثله ونراه كما هو، ولكن قصد الروح القدس هنا هو حالة النمو الروحي التي يجب أن نكون عليها ونحن هنا على الأرض قبل أن نصل إلى المجد. وهذا يؤيده قول الرسول في العدد التالي «كي لا

نكون فيما بعد أطفالاً .. الخ».

«كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال. بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شئ إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح» (ع ١٤ و ١٥)

جدير بنا أن نلاحظ هنا المباينة الواضحة بين «إنسان كامل» فى العدد السابق وبين «أطفال مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم» فإن غاية الله من إعطاء المواهب الروحية هى نمو المؤمنين فى النعمة وفى معرفة ربنا يسوع المسيح. إنه لا يريد أن يكون المؤمنون به كالأطفال الصغار الذين لا استقرار لهم ولا ثبات «محمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال».

إن قرعتنا وقعت فى هذه الأيام الأخيرة «الأزمنة الصعبة» التى كثر فيها المعلمون الكذبة الذين يستعملون كل حيلة لاقتناص المؤمنين الذين لا يزالون فى حالة الطفولة الروحية. فليحذر كل مؤمن وليسهر لئلا ينخدع بآراء هؤلاء المعلمين أمثال شهود يهوه أو المعلمين العصريين وغيرهم.

إن أهم وسيلة لوقاية المؤمنين من «حيلة الناس» ومكرهم ومكايدهم التى تقود إلى «الضلال» هى درس كلمة الله بروح الصلاة إذ هى «اللبن العقلى العديم الغش».

«بل صادقين فى المحبة» أى متكلمين بالحق أو متمسكين بالحق فى المحبة[1]

إن المقصود بهذه العبارة هى ألا نكون أطفالاً بل بالحرى نامين فى إدراك الحق الإلهى والتكلم به بروح المحبة. إنه لأمر له أهميته أن نكون أمناء فى تمسكنا بالحق الإلهى والمجاهرة به بشجاعة وبكل أمانة، ولكنه أيضاً أمر جوهرى أن نفعل

---

(1) "But speaking the truth in love" أو "Holding the truth in love" أو "Being truthful in love".

ذلك بروح المحبة، فلا نكون متشامخين ولا معجبين بنفسنا ظانين أننا أفضل ممن لم يدركوا بعد كل الحق الذى قبلناه من الله إذ ليس لنا فضل فى ذلك «لأنه من يميزك. وأى شئ لك لم تأخذه (من الله) وإن كنت قد أخذت (من الله) فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ؟» (أى كما لو كان ما عندك هو منك ولم تأخذه من الله) «إن كانت لى نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً» (١كو ١٣:٢). إننا نرى هذين الأمرين «الحق والمحبة» ظاهرين فى كمالهما فى ربنا يسوع المسيح، فقد كان تبارك اسمه هو «النور الحقيقى» (يو ٨) الذى أعلن الحق كاملاً بل كان هو «الحق» بعينه (يو ١٤) كما كان هو المحبة المتجسدة «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥:١٣) بل ولأجل أعدائه أيضاً!

فبينما يجب علينا أن نتمسك بالحق المعلن فى كلمة الله ونجاهر به بدون خوف بل بكل شجاعة مقدسة، فإنه من واجبنا أيضاً أن نكون لطفاء مزينين التعليم الصحيح بوداعة المحبة.

«بل صادقين فى المحبة **ننمو** فى كل شئ إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح» هذه هى إرادة الله من نحو كل واحد من المؤمنين خاصته. فهو يريد أن نكون جميعنا نامين «فى كل شئ» أعنى فى كل ناحية من نواحى حياتنا، النمو الذى يقودنا إلى الرأس الممجد ربنا يسوع وإلى إظهاره وإظهار كمالاته فى حياتنا يوماً بعد يوم.

> **«الذى منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة»** (ع ١٦)

الصورة الماثلة أمامنا فى هذه الكلمات مأخوذة من أعضاء الجسد الطبيعية، فكما أن كل عضو وكل مفصل أو بالحرى كل جزء فى جسم الإنسان كبيراً كان أو صغيراً له عمله وله وظيفته التى يقوم بها لفائدة وحفظ بقية أجزاء الجسد الأخرى،

كذلك الأمر فى كنيسة المسيح التى هى جسده، فإنه متى قام كل عضو فى جسد المسيح أى فى الكنيسة بعمله المعين له من المسيح الرأس «الذى منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً» فإن الجسد بمؤازرة كل مفصل يقوم بعمله «على قياس كل جزء» أى بحسب قياس العمل المعطى لكل جزء، وعندئذ «يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة». إن الرب يسوع المسيح هو «رأس الجسد» والذى منه يستمد كل عضو التوجيه والإرشاد لمعرفة واجبه من نحو بقية الأعضاء، كما يستمد منه القوة والمعونة للقيام بذلك الواجب وبذلك «يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة». ليعط الرب كل واحد منا إدراكاً أكثر لمسئوليته الفردية كعضو فى جسد المسيح من نحو نمو وبنيان بقية الأعضاء فى المحبة.

«فأقول هذا وأشهد فى الرب أن لا تسلكوا فى ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببطل ذهنهم» (ع ١٧)

يناشد الرسول بولس المؤمنين بأن لا يسلكوا كما يسلك سائر الأمم، واضعاً أمامهم الرب يسوع الذى آمنوا به والذى بوركوا فيه بكل بركة روحية فى السماويات «فأقول هذا وأشهد فى **الرب**». إنه الرب صاحب السلطان والسيادة علينا نحن المؤمنين به والذى صرنا أعضاء جسده فلا يليق أبداً بأن يكون سلوكنا مشابهاً لسلوك غير المؤمنين به. لقد كان المؤمنون فى أفسس من الأمم الوثنيين ولكنهم رجعوا إلى الله من الأوثان وقبلوا المسيح يسوع مخلصاً ورباً لذا يحذرهم الرسول من الرجوع إلى الحياة أو العوائد الوثنية الدنسة أو السلوك فيها، فإن غير المؤمنين يسلكون فى الشر والدنس منقادين فى ذلك «ببطل ذهنهم» وإذ «لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق» (رو ١: ٢١) وما يقوله الرسول للمؤمنين فى أفسس يقول له الروح القدس لنا نحن أيضاً.

«إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذى فيهم بسبب غلاظة قلوبهم» (ع ١٨)

مظلمو الفكر، أو بالحرى «أظلم قلبهم الغبى» (رو ١:٢٨) فليس لديهم أى شعاع أو ومضة من النور الإلهى. هذه هى حالة النفوس المسكينة، النفوس البعيدة عن الله فإنهم «متجنبون عن حياة الله» أو بالحرى ليس فيهم حياة إلهية «من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة» (١يو ٥:١٢). فأولئك الأمم هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله بسبب الجهل الذى فيهم بسبب غلاظة (أو عمى) قلوبهم. لذا أرسل الرب يسوع عبده بولس عندما ظهر له وهو فى طريقه إلى دمشق، إلى أولئك الأمم المساكين قائلاً له «لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين» (أع ٢٦:١٧ و ١٨).

«الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة فى الطمع» (ع ١٩)

أودع الله فى الإنسان «الضمير» الذى يميز بين الخير والشر، ولكن أولئك الأمم الوثنيون أو بالحرى جميع البعيدين عن الله متى تمادوا فى الشر فإنهم يصلون إلى هذه الحالة المرعبة ـ أحط درجة يمكن أن يصل إليها الإنسان، أعنى أنهم يفقدون الحس، وكأن الضمير لم يبق له أى عمل فيهم. لقد صاروا أناساً «موسومة ضمائرهم» فإنهم يفعلون الشر بدون مبالاة. يشربون الإثم كالماء، ولا يشعرون بأى ألم فى أنفسهم بسبب ارتكابهم الشر، «وإذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة فى الطمع» (أو بطمع) أى أنهم ارتكبوا كل أنواع النجاسة بطمع وشراهة.

يا لعظم غنى نعمة الله! فإن القديسين فى أفسس كانت هذه الحالة البشعة حالتهم قبل إيمانهم بالرب يسوع. حقاً إنه المخلص القدير الذى يدعو أشر الفجار

ليقبلوا إليه بالإيمان فيخلصون من حالة الشر القذرة وينالون حياة أبدية. يصبحون خليقة جديدة «الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً» يا له من مخلص!! تبارك اسمه المعبود إلى الأبد.

«وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا إن كنتم قد سمعتموه وعلمتم فيه كما هو حق في يسوع» (ع ٢٠ و ٢١)

العلاج الإلهي الصحيح لحفظنا من السلوك كما يسلك سائر الأمم هو في المسيح يسوع. إنه، له المجد، ليس فقط مخلصاً من الدينونة والهلاك الأبدي بواسطة موته فوق الصليب ولكن حياته التي عاشها فوق الأرض كإنسان وأيضاً كالمقام من الأموات والممجد عن يمين الآب هي دستور حياة المسيحي الحقيقي. وكما أنه هو المعلم الوحيد الذي ليس مثله معلم، فهو أيضاً الدرس الأعظم الذي يجب أن نتعلمه «تتعلموا المسيح» وذلك بالشركة معه والتفرس في كمالاته «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو ٣:١٨).

«تتعلموا المسيح .. قد سمعتموه» إن الروح القدس هنا يربطنا بالمسيح بكيفية مباشرة. صحيح أن الرسول يوحنا يخبرنا عما سمعه هو والرسل من المسيح لكي تكون لنا شركة معهم فيما سمعوه ولكي يكون فرحنا كاملاً (١يو ١)، ولكن لنا ما هو أكثر من ذلك كما هو ظاهر من قول الرسول بولس هنا «سمعتموه» وليس سمعتم عنه. إن هذا هو امتياز خاصة المسيح ـ أننا تعلمنا المسيح وأننا سمعناه هو، كما قال بفمه الكريم بأن «الخراف تتبعه لأنها **تعرف صوته** .. ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً **فتسمع صوتي** .. خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني» (يو ١٠).

«سمعتموه وعلمتم فيه كما هو حق في يسوع» إن الحق كله هو «في يسوع» وليس هناك حق خارجاً عنه «أنا هو الطريق والحق والحياة». فإذا أردنا أن ننمو لم

الحق من جهة **الإنسان**، فإننا لن نجده فى آدم الإنسان الأول الذى فشل فى مسئوليته أمام الله ولكننا نجد الحق كله فى الإنسان الكامل - الإنسان الثانى الذى كان هنا بحسب فكر الله، كما أننا إذا أردنا أن نتعلم الحق من جهة **الله** فإننا لن نجده فى أى شخص أو فى أى شئ آخر سوى المسيح، فهو وحده الذى استطاع أن يقول «أنا والآب واحد .. والذى رآنى فقد رأى الآب» (يو ١٠ ، ١٤). وحتى إن أردنا أن نتعلم فكر الله من نحو الخطية فإننا لن نتعلمه إلا فى صليب المسيح، فهناك نرى مخلصنا المبارك آخذاً مكاننا ونرى ما تستحقه الخطية. إن الحق هو فى يسوع فكأن المسيح المُمجد فى الأعالى يقودنا إلى شخصه كمن عاش هنا فى هذا العالم لنتعلم كيف يجب أن نسلك كما سلك هو. وبالإجمال لن نستطيع أن نجد الحق بخصوص أى أمر من الأمور إلا فى «يسوع وحده».

واضح كل الوضوح أن يسوع هو المسيح، والمسيح هو يسوع ولكن الروح القدس لا يضع أمامنا هذين الاسمين فى هذا العدد بدون قصد أو غرض. فهو أولاً يضع أمامنا اسمه «المسيح» - «لم تتعلموا المسيح هكذا» لأنه فى ذلك يقودنا إلى إدراك كل بركاتنا وامتيازاتنا التى صارت لنا فى المسيح المُقام والمُمجَّد فى السموات. ثم يضع أمامنا اسم «يسوع» وهو الاسم الذى سمى به لما كان هنا فى هذا العالم وذلك لندرك واجبنا من حيث السلوك كما هو حق فى يسوع الذى ترك لنا مثالاً لكى نتبع خطواته «كما سلك ذاك هكذا نسلك نحن أيضاً».

«أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور» (ع ٢٢)

كيف أستطيع أن أسلك كما سلك المسيح لما كان هنا على الأرض وأنا أعلم أننى ورثت من «الإنسان الأول» آدم طبيعة ساقطة وفاسدة؟. إن الحق كما هو فى يسوع هو أن نخلع من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور. وهذا ليس معناه تحسين الإنسان العتيق فإنه لا يقبل إصلاحاً بأى حال من الأحوال، ولكن العلاج الإلهى الوحيد هو أننى كمسيحى أخلع أو أطرح

كل تصرفات الإنسان العتيق الفاسد السابقة.

إن الإنسان العتيق هو الطبيعة القديمة الساقطة التى لا تحب شيئاً سوى الفساد والشهوات الغاشة والتى لا تحب البر والقداسة كما أنها عديمة القوة فلا تستطيع أن ترضى الله بعمل أى شئ صالح أو مقدس «لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع» (رو ٨:٧) والرب يسوع لم يطلب قط من «الإنسان العتيق» أن يخلع عنه تصرفاته الفاسدة، فإن محاولة تكليف الإنسان العتيق بخلع أعماله وتصرفاته وشهواته وبعمل ما هو مرضى أمام الله هى نظير وضع خمر جديدة فى زقاق عتيقة. «ليس أحد يجعل خمراً جديدة فى زقاق عتيقة لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق فهى تُهرق والزقاق تتلف بل يجعلون خمراً جديدة فى زقاق جديدة فتحفظ جميعاً» وإذ عرف الرب يسوع ما كان فى قلوب الفريسين قال لهم «وليس أحد إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد لأنه يقول العتيق أطيب» (لو ٥:٣٧ - ٣٩). هذه هى حالة القلب غير المتجدد إنه يفضل شهوات «الإنسان العتيق الفاسد» ومسراته الوقتية الغاشة على العيشة فى البر والقداسة. إن المقصود بخلع الإنسان العتيق هو النظر إليه فى صليب المسيح - الإيمان واليقين بأنه قد سُمر فى الصليب «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية»، وأن نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا (رو ٦:٦ و١١).

ومن الأهمية بمكان أن نعرف أن خلع الإنسان العتيق ليس معناه أنه لم يبق فينا أى أثر أو ميل إلى الخطية فإن ذلك يحسبه الرسول يوحنا ضلالاً وليس بحسب الحق (١يو ١:٨ و ١٠). والرسول بولس بعد أن يقول للمؤمنين «متم مع المسيح» (كو ٢: ٢٠) «لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله» يعود فيقول لهم أيضاً «فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض» (كو ٣:٣ و ٥). فالقول بالموت مع المسيح أو خلع الإنسان العتيق ليس معناه أننا وصلنا إلى حالة الكمال وهذا ما قاله الرسول العظيم بولس عن نفسه «ليس أنى قد نلت أو صرت كاملاً

ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضاً المسيح يسوع. أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع» (فى ٣: ١٢ ـ ١٤).

وجدير بالملاحظة أن القول بأننا لم نصل بعد إلى حالة الكمال ليس معناه التساهل أو التهاون فى السلوك بالتدقيق والعيشة فى القداسة العملية بل نظير القدوس الذى دعانا نكون قديسين فى كل سيرة (١بط ١: ١٥ و ١٦) فإن الرسول يوحنا بعد أن يقرر هذه الحقيقة وهى أننا «إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا» يحثنا قائلاً «يا أولادى أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا» (١يو١: ٨، ٢: ١ و٢).

«وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق» (ع ٢٣ و ٢٤)

بالمباينة مع خلع الإنسان العتيق وتصرفاته الفاسدة يحثنا الرسول على أن نتجدد بروح ذهننا، والمقصود بتجديد روح الذهن هو تغذية وتقوية أرواحنا المتجددة حتى يمتلئ الذهن بأشواق ورغائب مقدسة وطاهرة. فكما نحرص بكل اهتمام على تغذية أجسادنا بالأطعمة التى تحفظها وتجددها وتجعلها قوية كذلك يجب أن تتجدد وتتقوى أرواحنا وأذهاننا النقية بالتغذى بكلمة الله «اللبن العقلى العديم الغش» وبالشركة مع الرب يسوع ومع شعبه المحبوب. بهذه الوسائل الإلهية تتجدد أرواح أذهاننا. فلن تجد مسيحياً قوياً ونشيطاً دون أن يكون متغذياً بكلمة الله محباً لها وشغوفاً بها، ودون أن يكون فى شركة عميقة مع الرب ومحباً لإخوته المؤمنين أيضاً.

«وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق» مما لا ريب فيه أن لبس الإنسان الجديد قد تم فعلاً فى اللحظة التى فيها قبل الإنسان

المسيح مخلصاً له، وولد الولادة الثانية، ولكن المقصود هنا هو لبس الإنسان الجديد بكيفية عملية أو اختبارية. إنه إظهار الإنسان الجديد أو الحياة الجديدة بكيفية علنية ـ ذلك الإنسان الجديد أو الطبيعة الجديدة التى حصل عليها المؤمن فى داخله.

وهذا الإنسان الجديد هو «المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق». فإنه إن كانت الخليقة الأولى قد فسدت ولم تبق بحسب فكر الله فإن الخليقة الجديدة هى «بحسب الله» أى كما قصد أن تكون عليه، وذلك بواسطة المسيح أو لأن الله يراها فيه. «أعرف إنساناً فى المسيح». وهذا الإنسان الجديد يُرى بكيفية عملية فى صورتين وهما البر وقداسة الحق : البر فى تعاملنا المسيحى اللائق مع جميع الناس، والقداسة هى فى سلوكنا بالتقوى أمام الله. البر هو سلوكنا الخارجى أمام الناس فى كل ناحية من نواحى الحياة، والقداسة هى فى حالة قلوبنا الداخلية أمام الله.

وإذ صرنا خليقة جديدة فيجب أن نلبس ثياب «الإنسان الجديد» أعنى سيرة جديدة وتصرفات جديدة، تختلف كل الاختلاف عن تصرفات الإنسان العتيق وشهواته الفاسدة. يجب أن تكون رغبة كل مسيحى حقيقى هى أن الرب «يعطينا أننا بلا خوف .. نعبده بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا» (لو ١:٧٤و٧٥).

«لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه. لأننا بعضنا أعضاء البعض» (ع ٢٥)

أيليق بالمؤمن الذى خلع الإنسان العتيق ولبس الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق أن لا يكون أميناً وصادقاً فى أعماله وفى أقواله أيضاً؟ إن الكذب هو من أعمال الطبيعة العتيقة الفاسدة، كما أنه من صفات غير المؤمنين الذين «نصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى .. لأن خارجاً (أى خارج المدينة السماوية) .. كل من يحب أو يصنع كذباً» (رؤ ٢١:٨، ٢٢:١٤ و ١٥).

إن واجب كل من تعلم الحق كما هو فى يسوع أن يطرح عنه الكذب وأن يتكلم بالصدق دائماً متمثلاً بالسيد الذى كانت كل أقواله تعلن حقيقة حياته «فقالوا من أنت؟ فقال لهم يسوع أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به» (يو ٨:٢٥) فإن كلام الإنسان هو المرآة التى تظهره على صورته الحقيقية.

«لأننا بعضنا أعضاء البعض» أى أننا أعضاء فى جسد واحد، فمن لا يتكلم بالصدق مع قريبه الذى هو عضو فى الجسد الواحد فهو لا يغش أخاه فقط ولكن كأنه يخدع نفسه. هل يعقل أن عضواً فى أجسادنا الطبيعية يعمل على خداع وأذى عضو آخر؟ إن ما يضر عضواً واحداً يضر بقية الأعضاء، وما يفيد عضواً واحداً يفيد بقية الأعضاء، وهكذا الحال فى جسد المسيح. فالعضو الذى يتكلم بالصدق مع أى عضو آخر فإنه يحسن، لا إلى ذلك العضو فقط، بل إلى نفسه أيضاً. ليت طلبة المرنم قديماً تكون طلبتنا نحن أيضاً «لتكن أقوال فمى وفكر قلبى مرضية أمامك يارب صخرتى ووليى» (مز ١٩:١٤).

«اغضبوا ولا تخطئوا لا تغرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا إبليس مكاناً»(ع ٢٦ و ٢٧)

لقد حيرت هذه الكلمات كثيرين من المؤمنين وأربكت أذهانهم لأنهم يتصورون أن الغضب فى كل الحالات هو شر لا يليق بالمؤمنين، ولكن ليست هذه هى الحقيقة تماماً، ولا نغالى إذا قلنا إنه فى بعض الحالات يكون عدم الغضب شراً لا يليق بالمؤمن الذى يحب المسيح ويغار على مجده، غير أنه من المهم جداً أن نتنبه إلى الحافز أو الدافع إلى الغضب، فإذا كان سببه شيئاً يمس الذات أو الكرامة الشخصية فإنه لا يكون غضباً مقدساً، بل هو الغضب الذى يحذرنا منه الرسول يعقوب بقوله «لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله» (يع ١:٢٠).

أما الغضب الذى بحسب مشيئة الله فهو الذى نرى فيه المسيح مثالاً لنا، فإننا نقرأ عنه بأنه «نظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم» (مر ٣:٥) لقد

غضب الرب فى مناسبات مختلفة ولكنه، تبارك اسمه، لم يخطئ فى غضبه. غضب حينما رأى أولئك الذين جعلوا الهيكل بيت تجارة فصنع سوطاً من حبال وطرد الجميع من الهيكل (يو ٢: ١٣ - ١٦) كما أنه نطق بالويل على الكتبة والفريسيين المرائين لأنهم كانوا يأكلون بيوت الأرامل ولعلة يطيلون صلواتهم (مت ٢٣: ١٤).

إنى إذا كنت أرى أو أسمع كلمات التجديف المهينة لشخص ربنا يسوع ولمجده وأبقى جامداً ولا تحتد روحى فىَّ فإنى لا أكون فى الحالة التى يجب أن أكون عليها كمسيحى يحب المسيح ويعتز بمجده وكرامته. إن عدم الغضب فى هذه الحالة هو عدم تقدير لمجد وكرامة سيدنا المعبود المبارك. هذا أمر له أهميته لأن البعض يظنون أن ذلك يتعارض مع المحبة. إن ظناً كهذا لا أساس له من الصحة، فإن المحبة الصحيحة هى التى تغار للحق ولا تتساهل مع الشر. إنها «لاتفرح بالإثم بل تفرح بالحق» (١كو ١٣: ٦) فلا يليق أن تكون المحبة على حساب حق الله والمسيح، فإن المحبة فى هذه الحالة لا تكون محبة صادقة بل رياء.

غير أن هناك خطراً نحن معرضون له بكل سهولة وهو الغضب المقترن بالخطية. لذا يحذرنا الروح القدس بقوله «اغضبوا ولا تخطئوا» إن الوسيلة الإلهية لحفظنا من الخطأ هى أن يكون الغضب لمجد الله وأن يحدث منا ونحن فى حضرة الله وهناك ينتهى ولا يتعدى هذا الحد، لذا يقول الرسول «ولا تغرب الشمس على غيظكم» لأنه إذا بقى هياج أو غضب كامناً فى نفوسنا فلا يكون هذا الغضب من الله. فإذا ما غربت الشمس فإما أن أكون فى حالة السلام القلبى العميق والشركة الحلوة مع الرب، أو أكون فى حالة الغيظ محروماً من التمتع به والشركة معه، وواجبى فى هذه الحالة الأخيرة أن لا أستريح على فراش نومى إلا بعد أن أعترف بخطأى لأخى الذى غضبت عليه وبعد أن أجثو أمام الرب معترفاً بخطيتى، وإلا فإننا نعطى لإبليس مكاناً، فإننا إذا أبقينا شيئاً من الغضب فى قلوبنا وأذهاننا فإننا بذلك نعطى منفذاً للعدو ليدخل إلى حياتنا. يجب أن نكون فى حالة الصحو

والسهر لأن ذلك العدو الخبيث يريد أن يهيمن على حياتنا فيسلبنا أفراحنا ويحرمنا من الشركة الحلوة مع الرب سيدنا.

يجب أن يكون الصفح رائدنا فى حياتنا فى كل حين «لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كو ٢: ١٠ و١١).

«لا يسرق السارق في ما بعد بل بالحرى يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطى من له احتياج» (ع ٢٨)

صحيح أن المؤمنين فى أفسس كانوا قبلاً وثنيين لا يعرفون الله، وكانوا سالكين فى كل أنواع الشرور والرذائل، لذا كانوا بعد إيمانهم بالمسيح، معرضين لارتكاب هذه الخطايا ـ كانوا معرضين لخطية السرقة التى كانوا يمارسونها قبل إيمانهم بالرب يسوع. هذا صحيح ولكن ليس المعنى أن المسيحى ليس معرضاً لارتكاب هذه الخطية إذا لم يكن متحصناً بالنعمة الإلهية. إن ما يوجهه الروح القدس للمؤمنين فى أفسس يوجهه أيضاً لجميع القديسين فى كل مكان وزمان. لقد كان القديسون فى أفسس فى حالة السمو الروحى. وقد عرّفهم الرسول بولس بمقامهم السماوى كأعضاء فى جسد المسيح، فأدركوا أن الله الآب قد باركهم بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح، وأنهم قاموا مع المسيح وأجلسوا فيه فى السماويات، ومع ذلك كان يعظهم بالقول «لا يسرق السارق فيما بعد». فمن الخطأ والخطر أن نتصور أننا لسنا معرضين للوقوع فى هذه الخطية ـ ليحفظنا الرب بنعمته.

ما أسمى وأجمل تحريضات النعمة لمن أدركتهم هذه النعمة «لا يسرق السارق فيما بعد» هذه لغة النعمة اللطيفة، وما أكبر الفرق بين تحريضات النعمة وبين تهديدات الناموس (خر ٢١: ١٦ ، ٢٢: ١ ـ ٣).

إن هناك أشكالاً متنوعة للسرقة، فقد يسرق موظف أو عامل من وقت عمله، وآخر يسلب سمعة غيره أو صيته، وما أكثر المؤمنين الذين يسلبون الله فلا يعطونه

حقه من الأموال التى أعطاهم إياها «أيسلب الإنسان الله؟ فإنكم سلبتمونى. فقلتم بمَ سلبناك؟ فى العشور والتقدمة .. إياى أنتم سالبون» (ملا ٣:٨ و ٩). على أن عمل النعمة فى المؤمن فى العهد الجديد يقوده إلى العطاء للرب بسخاء أكثر مما كان مطلوباً فى العهد القديم (انظر ٢كو ٨:٣ ـ ٥).

«بل بالحرى يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطى من له احتياج» لا يكفى أن يكون المؤمن أميناً فلا يسرق، بل هناك صورة إيجابية جميلة وهى أنه يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له هذا الامتياز المبارك وهو أن يعطى للمحتاجين. عجيبة حقاً هى نعمة الله! فإن اليدين اللتين كانتا تمتدان للسرقة تغيرتا تغييراً كلياً فصارتا تمتدان للعطاء للمعوزين والمحتاجين. «إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قدمضت. هوذا الكل قد صار جديداً». لقد كان أنسيمس عبداً سارقاً ولكن إذ افتقدته نعمة الله المخلصة أصبح الأخ **الأمين الحبيب** (كو ٤:٩). قال واحد من رجال الله الأفاضل «إنى أكون سالكاً بحسب البر الذى فى الناموس إذا لم أسلب وأختلس حقوق غيرى، ولكننى لا أستطيع أن أحيا بحسب مبدأ النعمة الغنية والقداسة الحقيقية إذا لم أشرك الآخرين فى الخيرات التى متحنى الله إياها». إن فرح المعطى أسمى وأعظم بكثير من فرح الآخذ «وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه» (١يو ٣:١٧) ولنذكر دائماً كلمات الرسول المغبوط «لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله» (عب ١٣:١٦).

«لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كى يعطى نعمة للسامعين» (ع ٢٩)

ينتقل الرسول من الحث على العمل الصالح وعلى العطاء للمحتاجين إلى التحذير من الكلام الردئ والحث على الكلام الصالح الذى يؤول للبنيان. وما أكثر التحريضات التى فى كلمة الله عن هذا الموضوع الهام، فإن كلام الشفتين هو مرآة

صادقة لحالة القلب الداخلية «فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم» (مت ١٢:٣٤). لقد أفاض الرسول يعقوب فى الكلام عن اللسان «إن كان أحد لا يعثر فى الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً» (يع ٣:٢).

وكم هو جميل ومبهج أن نوجد فى حضرة قديس فاضل يفيض قلبه ولسانه بكلمات النعمة التى تبنى السامعين! وكم هو مؤذٍ وهادم أن يخرج من أفواهنا «كلام السفاهة والهزل الذى لا يليق» أو أقوال النقد والمذمة والطعن فى سير الآخرين. ليتنا نحرص على أن لا تخرج من أفواهنا كلمة ردية «انزع عنك التواء الفم وابعد عنك انحراف الشفتين» (أم ٤:٢٤).

«ليكن كلامكم كل حين مصلحاً بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد» (كو ٤:٦). إن «الملح جيد» وله قيمته فهو وإن كان لا يصلح الفاسد ولكنه يحفظ الجيد من الفساد. إنه الحق الذى يحفظ النفس فى القداسة. فمتى كان لنا فى أنفسنا ملح فإن كلامنا يكون نقياً وأقوالنا تؤول إلى السلام مع الآخرين. هكذا قال الرب يسوع «ليكن لكم فى أنفسكم ملح وسالموا بعضكم بعضاً» (مر ٩:٥٠).

يجب أن لا نتكلم إلا بما كان «صالحاً للبنيان». والكلام الصالح هو من القلب الصالح «فاض قلبى بكلام صالح» (مز ٤٥:١) «من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة؟ لا يصلح يا إخوتى أن تكون هذه الأمور هكذا. ألعل ينبوعاً ينبع من نفس عين واحدة العذب والمر؟» (يع ٣:١٠ و ١١).

كذا يجب أن يكون الكلام «حسب الحاجة» فإنه من الخطأ أن نتصور أن الكلام من أى نوع كان لا يكلفنا شيئاً، اقرأ ما كتبه الرسول يعقوب عن الأضرار المروعة التى مصدرها اللسان (ص ٣).

يجب أن لا ننسى أن كثرة الكلام لا تخلو من معصية، فلنحرص على أن لا نتكلم إلا بحسب الحاجة.

«ولا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء»
(ع ٣٠)

الروح القدس هو الأقنوم الإلهى الذى حضر من السماء فى يوم الخمسين، أى بعد أن أكمل الرب يسوع المسيح عمل الفداء بموته فوق الصليب وبعد أن قام من الأموات بمجد الآب ثم صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه هناك. إن الروح القدس ليس هو مجرد تأثير أو قوة بل هو الشخص الإلهى المعادل للآب وللابن، فهو يتكلم، ويُرسل خداماً للكرازة بالإنجيل (أع١٣: ٢ و ٤)، ويبكت العالم (يو ١٦: ٨) ويعزى المؤمنين إذ يأخذ مما للمسيح ويخبرهم، وهو الذى يرشدهم ويقودهم (يو ١٦: ١٣ - ١٥ ، رو ٨: ١٤)، كما أنه يحزن إذا لم يسلك المؤمنون فى **القداسة** لأنه روح الله **القدوس.**

إنه ساكن فى **كل** مؤمن حقيقى وهو يصغى إلى كل كلمة ننطق بها ويعرف كل فكر يخطر بأذهاننا ويرى كل عمل نعمله، لذا يحرضنا الرسول بالقول «ولا تحزنوا روح الله القدوس» وهذا ليس معناه أن الروح القدس يترك المؤمن، فإنه متى سكن فى المؤمن فإنه يسكن فيه إلى الأبد «معزياً آخر يمكث معكم إلى الأبد» (يو ١٤: ١٦) هذا هو امتياز مؤمنى العهد الجديد. لقد صلى داود فى العهد القديم قائلاً : «روحك القدوس لا تنزعه منى» (مز ٥١: ١١) أما فى عهد النعمة الحاضر فإن صلاة كهذه لا تليق بالمسيحى الحقيقى الذى سكن فيه الروح القدس وبه ختم إلى يوم الفداء، إن الروح القدس ساكن فى المؤمن الحقيقى ولن يفارقه مطلقاً ولكنه يحزن إذا لم نسلك سلوكاً مقدساً بحسب كلمة الله، وهذا هو سبب حرمان الكثيرين من الفرح ومن التلذذ بالشركة الحلوة مع الرب. أما إذا سلكنا فى القداسة والأمانة للرب فإن الروح القدس يبهج قلوبنا، ويأخذ مما للمسيح ويخبرنا.

فى الأصحاح الأول من هذه الرسالة يقول الرسول «إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد

القدوس الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده» (ع ١٣ و ١٤) وهنا يعود الرسول ليؤكد هذه الحقيقة المباركة وهى أننا ختمنا بالروح القدس - ختمنا ختماً دائماً «ليوم الفداء». والمقصود بيوم الفداء ليس فداء أرواحنا «الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا» (ص ١:٧) بل فداء أجسادنا وذلك عندما يأتى الرب يسوع المسيح من السماء ليأخذنا إليه وعندئذ يفدى هذه الأجساد الذليلة. «سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (فى ٣: ٢٠ و ٢١) سيأتى الرب يسوع لأخذ كل المؤمنين الحقيقيين ولن يترك مؤمناً واحداً فإن كل مسيحى حقيقى هو عضو فى الجسد الواحد ولن يكون الجسد فى المجد ناقصاً عضواً واحداً مهما كان صغيراً أو ضعيفاً.

«ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث» (ع ٣١)

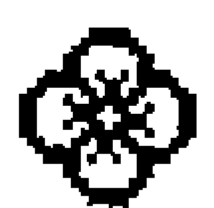
يحذرنا الرسول هنا من بعض الخطايا التى إذا تساهلنا معها فإننا نُحزن الروح القدس الساكن فينا. والرسول يبدأ بالتحذير من الشر الكامن فى داخل القلب «ليرفع من بينكم كل مرارة» والمرارة هى عكس الحلاوة ومتى وجدت المرارة فى قلب الإنسان فإنها تسلبه حلاوة الفرح والسلام الداخلى وتجعله قلباً مظلماً وكئيباً، إنها صفة بغيضة من صفات غير المؤمنين الذين فمهم مملوء مرارة (رو ٣:١٤) والرسول يعقوب يحذرنا من الغيرة المرة فى قلوبنا (ص ٣:١١ - ١٥).

ثم يحذرنا الرسول أيضاً من الخطايا الظاهرة التى تنشأ من المرارة التى يجب أن لا تبقى فى القلب - يحذرنا من كل سخط وغضب وصياح وتجديف (أو كلام شرير). هذه الخطايا التى يحركها الخبث متى وجد فى القلب. نعم أيها الإخوة **الأحباء يجب أن ترفع كل هذه الأشياء من بيننا. إننا نقولها كلمة صريحة وهى إنه** إذا لم نتحرر من هذه الخطايا بقوة الروح القدس فإننا لا نكون عائشين العيشة المسيحية الحقيقية. فلنحرص على أن لا يكون لهذه الأمور المعيبة وجود فينا أو بيننا وذلك بنعمة ومعونة إلهنا لنا.

«وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح» (ع ٣٢)

المسيحية الحقيقية ليست قاصرة على تجنب الشرور والخطايا التى تُحزن الروح القدس، بل هى أسمى من ذلك بكثير، إنها إظهار صفات المسيح الجميلة فى حياتنا، فلكى نكون لطفاء وشفوقين فى تعاملنا مع بعضنا البعض يجب أن نتمثل بسيدنا فى لطفه وشفقته، ولكى نكون متسامحين يجب أن نضع أمامنا المقياس الإلهى فى الصفح والغفران «متسامحين كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح» هل أخطأ إلىَّ أحد بأخطاء كثيرة توازى خطاياى أنا من نحو الله؟ إن كان الله قد سامحنى بجميع خطاياى من أجل المسيح وعمله فوق الصليب فبالقدر الذى به سامحنى يجب أن أسامح أخى. ربما تظن أن الشخص الذى أخطأ فى حقك لا يستحق الصفح والمسامحة فهل كنت أنت مستحقاً للغفران الإلهى؟ إنه لا يمكن أن يكون شخص قد أساء إليك وأخطأ إليك بالقدر الذى أخطأت أنت به إلى الله، ومع ذلك فقد أحبنا الله وغفر لنا جميع خطايانا. وهذا هو المقياس الذى به يجب أن تغفر للآخرين.

ياربنا يسوع هبنا بنعمتك أن نتعلمك، وأن نتعلم منك ونتمثل بك. آمين.



الأصحاح الخامس

«فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء» (ع ١)

نرى هنا ارتباطاً وثيقاً بين هذه الكلمات وبين الكلمات الأخيرة في الأصحاح السابق، فإنه بعد أن يحثنا الرسول على أن نكون لطفاء شفوقين متسامحين كما سامحنا الله أيضاً في المسيح، يضع أمامنا الله كالمثال الكامل، لا في الصفح والتسامح فقط بل في كل شئ. «فكونوا» أي لذلك أو بسبب ذلك «كونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء».

إن هذا الحث موجه إلى المؤمنين الحقيقيين دون سواهم فإنه من العبث أن تطلب من أي شخص غير متجدد لم ينل من الله طبيعة جديدة أن يتمثل بالله أو يتبع آثار خطوات المسيح، فإن سلوكنا في إثر خطوات الرب يسوع ليس هو الوسيلة لفدائنا أو تجديدنا بل هو نتيجة أو ثمرة فدائنا ونوالنا حياة أبدية، فكل محاولة من جانب الإنسان للتمثل بالله قبل أن يصبح شريكاً للطبيعة الإلهية بالولادة من فوق هي بلا شك محاولة فاشلة، ولكننا «كأولاد أحباء» فقط نستطيع بنعمة الله ومعونته أن نتمثل به. أما غير المؤمنين «أبناء إبليس» فإنهم لا يريدون أن يعملوا سوى «شهوات أبيهم» (يو ٨:٤٤).

إنه شئ طبيعي أن الأولاد يريدون دائماً أن يقلدوا آباءهم ويتمثلوا بهم، هكذا نحن المؤمنين فإن الله خلصنا بنعمته وأعطى لكل منا حياة أبدية أي طبيعته الإلهية لذا ينتظر منا أن نتمثل به.

إنه، تبارك اسمه، هو مثالنا في كل شئ - في الفكر والكلام والعمل، فدستور

أو قانون سلوك المسيحى ليس هو مجرد أوامر أو نواه بل هو الله نفسه معلناً ذاته وصفاته فى ابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح. «كأولاد الطاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة فى جهالتكم بل نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة» (١بط ١:١٤ و ١٥). «من قال إنه ثابت فيه ينبغى أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً» (١يو ٢:٦).

قد يبدو غريباً أن يطلب منا أن نتمثل بالله الذى لم نره ولكن كلمات ربنا يسوع فيها كل الكفاية لإيضاح هذا الأمر «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر (أى أعلنه أو أظهره)» (يو ١:١٨). كما قال هو بنفسه «الذى رآنى فقد رأى الآب» (يو ١٤:٩)، فإنه «فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو ٢:٩).

«واسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة» (ع ٢)

السلوك المسيحى هو ما ينبر عليه الروح القدس فى هذه الرسالة بصفة خاصة، فمع أنه يرينا فيها مقامنا السماوى وبركاتنا الروحية التى بوركنا بها فى المسيح، وكيف أننا قد أجلسنا فيه فى السماويات، إلا أنه من الناحية الأخرى يحثنا كثيراً على السلوك الذى يتوافق مع هذه الامتيازات المباركة، وفى هذا الأصحاح الخامس يشير إلى ثلاثة أشياء يجب أن نسلك فيها وهى : السلوك فى المحبة (ع ٢) والسلوك فى النور (ع ٨) والسلوك بالتدقيق (ع ١٥).

أولاً : «اسلكوا فى المحبة». هذا الحث موجه إلى الذين كانوا قبلاً خطاة مساكين، أمواتاً بالذنوب والخطايا ولكنهم عرفوا محبة المسيح ـ المحبة التى أظهرها فى موته نيابة عنهم فوق الصليب. عرفوها ووثقوا فيها، وفى كفاية عمله النيابى فانتقلوا من الموت إلى الحياة ومن ثم انسكبت محبة الله فى قلوبهم بالروح القدس المعطى لهم. هؤلاء هم الذين يطلب الله منهم أن يسلكوا فى المحبة إذ لا

يكفى أن نعرف أو نتعلم عن المحبة بل يجب أن نسلك فيها عملياً «لا نحب بالكلام واللسان بل بالعمل والحق» (١يو ٣:١٨).

ومقياس المحبة التى يجب أن نسلك فيها هو المسيح نفسه، «كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة».

حقاً ما أسمى المستوى الذى يجب أن يكون عليه سلوكنا كمسيحيين فليس هو السلوك بحسب أوامر الناموس الذى أعتقنا منه بل أن مقياس سلوكنا فى المحبة هو محبة المسيح «**كما** أحبنا المسيح».

لقد كانت محبة المسيح لنا قوية بهذا المقدار حتى أن الموت لم يستطع أن يعطلها أو يؤخرها لحظة واحدة فقد أحبنا «وأسلم نفسه لأجلنا» هذه هى المحبة الحقيقية - المحبة الباذلة التى نحن مدعوون أن نتمثل به فيها. إن المحبة تجد شبعها فى خدمة من تحب، والمسيحى المتمثل بالمسيح فى محبته يجد سروره فى خدمة الآخرين.

يرسم الروح القدس أمامنا هنا ذبيحة المسيح من بعض أوجهها فإنه «أسلم نفسه لأجلنا»، فقد كان فوق الصليب كذبيحة خطية «الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة». مات رئيس الحياة لكى نحيا نحن الأموات، لاسمه المعبود كل سجود وإكرام. ولكن هناك وجه آخر أسمى بما لا يقاس من موته «لأجلنا» فقد كان «قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة». الإشارة هنا هى إلى «قربان التقدمة» (لا ٢) الذى كان رمزاً لناسوت ربنا الطاهر، وإلى «المحرقة» (لا ١) التى كانت أسمى أنواع الذبائح حيث ترمز إلى المسيح كمن قدّم نفسه لا لأجلنا بل لله، فهو الذى «وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب». إنه الإنسان الفريد الذى أطاع الله ومجده فى حياته كما فى موته فوق الصليب «ولكن ليفهم العالم أنى أحب الآب وكما أوصانى الآب هكذا أفعل، قوموا ننطلق من ههنا» (يو ١٤:٣١) إلى أين؟ إلى الصليب حيث أكمل العمل الذى أعطاه إياه الآب ليعمله (يو ١٧:٤) نعم. إنه المحرقة التى تصاعدت رائحتها الزكية فأشبعت قلب الله

«رائحة طيبة» وكما أنه أسلم نفسه لأجلنا فوضعت عليه كل خطايانا هكذا إذ قدم نفسه «ذبيحة لله رائحة طيبة» انتقلت كل كمالاته إلينا فصار الله يرانا حاضراً وأبدياً فيه ـ مقبولين كقبوله هو أمام الله ومحبوبين بنفس محبة الآب له. أمام هذه الرفعة التي أوصلتنا إليها محبة الله الآب والرب يسوع المسيح نجثو ونخر سجوداً وتعبداً.

«وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يسم بينكم كما يليق بقديسين» (ع ٣)

ينتقل الرسول انتقالاً مفاجئاً من الكلام الجميل عن وجوب تمثل المؤمنين بالله كأولاد أحباء وعن السلوك في المحبة كما أحبنا المسيح، إلى التحذير من الخطايا الدنسة المذكورة هنا. صحيح أن القديسين في أفسس كانوا قبل إيمانهم بالمسيح، أمماً وثنيين غارقين في كل أنواع الخطايا النجسة وكانوا في حاجة إلى التحذير من الرجوع إلى تلك الشرور القذرة التي كانوا عائشين فيها قبلاً، ولكن كما كانوا وقتئذ في حاجة إلى ذلك التحذير فإن المؤمنين في هذه الأيام في حاجة إلى هذا التحذير عينه لأن القلب البشري هو هو لم يتغير ولم يتحسن بالرغم من وسائل المدنية والتهذيب. إن كل أنواع الشرور والمفاسد التي كانت منتشرة بين الوثنيين قبل أيام الرسول بولس وفي أيامه لا زالت موجودة في كل مكان في هذا العالم إن لم تكن قد ازدادت بسبب وسائل المدنية التي لم تكن موجودة وقتئذ، كالسينما وصالات الرقص وأماكن الملاهي والمجلات المصورة وغير ذلك كثير.

إن القديسين في هذه الأيام كما في كل زمان في حاجة إلى أن يكونوا في حالة الصحو والسهر، وأن يكونوا مواظبين على الصلاة لكي يحفظهم الرب من هذه الخطايا «الزنا وكل نجاسة» وكذا من كل «طمع» ـ أعني من الطمع في الأمور المادية أي محبة المال، كما أن كلمة طمع قد تشير إلى الرغبة أو الميل إلى ارتكاب كل أنواع النجاسة. يجب ألا ننسى أن فينا نفس الطبيعة الساقطة التي في جميع البشر بدون استثناء ولكن الذي يميزنا عن غير المؤمنين هو أننا نلنا طبيعة إلهية

كما أخذنا الروح القدس الذى يمنح هذه الطبيعة الجديدة القوة لإماتة أعمال الجسد والنصرة على جميع أمياله. إن واجبنا ليس قاصراً على أن نمتنع فقط عن ارتكاب هذه الخطايا بل يجب أن لا تسمى بيننا لأنها لا تليق بالقديسين. فالقديس من واجبه لا أن يمتنع عنها فقط بل ولا يفكر فيها أو يتحدث عنها. «فلا يسم بينكم» أو كما يقول الرسول فى نفس هذا الأصحاح «لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح».

«ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التى لا تليق بل بالحرى الشكر» (ع ٤)

يضع الرسول هذه الخطايا جنباً إلى جنب مع خطايا النجاسة المذكورة فى العدد السابق، والمقصود بالقباحة كل ما من شأنه أن يحول قلوبنا وأفكارنا إلى أمور دنيئة سواء بالكلام أو بالعمل ولا سيما بالكلام لأن هذا العدد يدور حول ما ينطق به اللسان، أما المقصود بكلام السفاهة فهو أقوال الجهالة والغباوة، فالمفروض هو أن الجهال والسفهاء هم الذين ينطقون بكلام السفاهة وهذا ما لا يليق بالمؤمن الحقيقى. «والهزل» هذه الخطية التى يضعها الروح فى قائمة الخطايا الدنسة يتعرض لها مع الأسف كثيرون من المؤمنين، فإنهم يتصورون أن من الظرف والكياسة وخفة الروح أن يمزحوا بكلمات تضحك الآخرين وتدخل السرور إلى نفوسهم فيستعملون ألفاظاً لا تليق بقديسى الرب.

إنهم يتكلمون أحياناً بأقوال تحمل معنيين «أقوال التورية» أو بالحرى أقوالاً ملتوية قد تؤذى السامعين أو تمس كرامة أشخاص غائبين، ظانين أن الهزل من علامات السرور والانشراح وهم يجهلون ما يقوله الحكيم «يوجد من يهذر مثل طعن السيف أما لسان الحكماء فشفاء» (أم ١٢ :١٨). إن الرجل المطوَّب هو الذى «فى مجلس المستهزئين لم يجلس» (مز ١ :١) على أنه ليس المقصود هنا هو أن يكون المؤمن عَبوساً أو كئيب الوجه ومقطب الجبين، كلا فإن مشيئة الله من جهة المؤمن الحقيقى هى أن يكون دائماً فرحاً مبتهجاً، لأن «القلب الفرحان يطيب

الجسم» (أم ٧:٢٢). إن كلمة الله لا تحرم الضحك على الإطلاق. قال أحد رجال الله «إنى أخاف من أولئك الذين صاروا قديسين لدرجة أنهم يحرمون الضحك مع أنه مما يميز الإنسان عن الخلائق هو الضحك» وقال أيضاً «ما لم يستطع العلماء أن يجدوا قرداً يمكنه أن يضحك فإنهم لن يجدوا الحلقة المفقودة بين الإنسان والقرد» أما المقصود بالهزل فهو أقوال المزاح التى تجفف الحياة الروحية «التى لا تليق» فبدلاً من القباحة وكلام السفاهة والهزل التى لا تليق يجب أن تكون أفواهنا مكرسة للرب وفائضة بالحمد والتسبيح «بل بالحرى الشكر» فإنه لا يليق الجمع بين هذين الأمرين، بين كلام السفاهة والهزل، والشكر.

إن المؤمن الفَطن الذى يقدّر قيمة نعمة الله التى خلصته ويدرك سمو المقام الذى أوصلته إليه هذه النعمة لابد أن يفيض قلبه «بكلام صالح» بأقوال الشكر وأغانى الحمد والتسبيح للرب.

«فإنكم تعلمون هذا أن كل زان أو نجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله» (ع ٥)

يذكّر الرسول المؤمنين بأن ما يكتبه إليهم ليس شيئاً جديداً، بل حقيقة معلومة عند جميعهم، وهى أن من يسلك فى هذه الخطايا لا يمكن أن يكون ابناً حقيقياً لله، وليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله. لقد ظهرت نعمة الله الغنية مقدمة خلاصاً لأشر الخطاة والفجار ـ خلاصاً من الدينونة الأبدية وعتقاً وتحريراً من سلطة الخطية، ولكن المبدأ الإلهى الثابت لن يتغير فإن من يرفض نعمة الله المانحة خلاصاً مفضلاً أن يعيش فى هذه الخطايا القذرة لا يمكن أن يكون له نصيب فى الميراث الأبدى. لقد وجدت محبة الله غير المحدودة علاجاً لمشكلة الخطايا فى صليب المسيح إلا أن قداسته لا يمكن أن تتساهل مع الخطية، ولا يمكن أن الله والخطية يكونان معاً، لذا يحذّر الرسول المؤمنين الحقيقيين أولاد الله الذين لهم الميراث المجيد فى ملكوت المسيح والله من الوقوع فى هذه الخطايا التى يعيش فيها غير المؤمنين الذين ليس لهم نصيب فى ذلك الميراث الأبدى.

يشير الرسول إلى الطمّاع بأنه عابد للوثن، وهذا صحيح فإنه يعبد إلهاً وهذا الإله أو الصنم هو ذاته، لذا يضعه الرسول جنباً إلى جنب مع الزانى أو النجس الذى ليس له هدف سوى لذاته وشهواته الدنسة.

«لا يغركم أحد بكلام باطل لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية. فلا تكونوا شركاءهم» (ع ٦ و ٧)

يحذّر الرسول المؤمنين من الانخداع بآراء ونظريات الإباحيين الذين يتحدثون كثيراً عن رحمة الله ونعمته. الذين يحولون نعمة الله إلى الدعارة ظانين أن النعمة تتساهل مع الخطية، فيؤكد الرسول لهم أن غضب الله لابد أن يأتى على أبناء المعصية العائشين فى الخطية.

إن من واجبنا أن نصلى من أجلهم لكى يرحمهم الرب من هذه الحالة ولكن لا يليق بنا أن تكون لنا شركة مع أمثال هؤلاء.

«لأنكم كنتم قبلاً ظلمة أما الآن فنور فى الرب. اسلكوا كأولاد نور» (ع ٨)

ثانياً: السلوك فى النور . لقد بدأ هذا الأصحاح بالحث على السلوك فى المحبة «واسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً» وهنا يحثنا الروح القدس على السلوك فى النور واضعاً أمامنا الفرق الكبير بين حالتنا فى الماضى وحالتنا كمؤمنين فى الحاضر «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور فى الرب».

لقد عمل الرسول فى الأصحاح الثانى مباينة بين الموت والحياة، والمباينة هنا هى بين الظلمة والنور، وبما أننا قد صرنا فعلاً نوراً فى الرب لذا يجب أن لا نكون شركاء أبناء المعصية «فلا تكونوا شركاءهم».

يوجد مملكتان كبيرتان، وكل إنسان فى العالم موجود فى واحدة منهما، وهما مملكة الشيطان ـ مملكة الظلمة، ومملكة الرب يسوع ـ مملكة النور، وغير المخلصين

موجودين بإرادتهم تحت سيادة وسلطان الظلمة، وهم يحبون الظلمة ويفضلونها على النور لأن أعمالهم شريرة (يو ٣:١٩). إنهم ليسوا فى الظلمة فقط بل هم أنفسهم «ظلمة» وأعمالهم كلها ظلمة لأنهم لا يعرفون غير ذلك.

أما المسيحى الحقيقى فقد كان قبلاً ظلمة، ولكنه منذ اللحظة التى فيها قبل الرب يسوع المسيح «نور العالم» مخلصاً له أنقذه الله الآب من سلطان الظلمة ونقله إلى ملكوت ابن محبته (كو ١:١٣). «لأن الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح» (٢كو ٤:٦) لقد كنا قبلاً ظلمة وأما الآن **فنور** فى الرب، أى أننا لسنا فى النور فحسب بل أننا الآن فعلاً «نور فى الرب». لذا يجب علينا أن نسلك كأولاد نور، فلا نسلك فيما بعد فى الأشياء التى نخجل الآن من ذكرها. يجب أن تكون الحياة بجملتها مختلفة كل الاختلاف عن حياة غير المؤمنين «لأنكم كنتم **قبلاً** ظلمة وأما **الآن** فنور فى الرب».

لما كان ربنا يسوع المسيح هنا فى هذا العالم قال عن نفسه «أنا هو نور العالم» (يو ٨:١٢)، ولكنه أعطى خاصته هذا الشرف العظيم أن يكون لهم نفس المركز السامى الذى كان له وهو على الأرض إذ قال لهم «أنتم نور العالم .. فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السماوات» (مت ٥:١٤ و ١٦) ولكى نستطيع أن نضئ يجب أن نكون باستمرار ممتلئين بالروح القدس وذلك لكى نجتذب أنظار الناس، لا لأنفسنا، بل لكى يُرى المسيح فى حياتنا وبذا يتمجد الله أبونا. قال الرب، له المجد، عن يوحنا المعمدان بأنه كان «السراج الموقد (أى المشتعل أو المحترق) المنير» (يو ٥:٣٥) وكان كل غرضه أن يضئ السبيل أمام الآخرين نحو المسيح وليس نحو نفسه. فهل نريد نحن أيضاً أن ننير ونضئ؟ إن الأمر يتطلب البذل والتضحية - يتطلب أن نكون مستعدين أن نكون كالسراج الموقد - أى المستعد أن ينفق لأجل المسيح فنكون بلا لوم وبسطاء أولاداً لله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتوٍ نضئ بينهم كأنوار فى

العالم» (فى ٢: ١٥). قال الحكيم بأن «سبيل الصديقين كنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل» (أم ٤: ١٨).

«لأن ثمر الروح هو فى كل صلاح وبر وحق» (ع ٩)

يضع الرسول أمامنا أشياء هى الثمر الحقيقى للروح أو بالحرى للنور [(١)] وهى الصلاح والبر والحق، ولا شك أن هذه الأشياء الثلاثة هى من عمل الروح القدس فى المؤمن، إلا أن المعنى الأصلى لهذه الكلمة هو «النور» أى أن هذه الأشياء هى من ثمر النور فينا نحن الذين صرنا «نوراً فى الرب» وهذا يتفق مع قصد الوحى الإلهى هنا، بينما فى رسالة غلاطية أصحاح ٥ نجد أن الثمر هناك ليس ثمر النور بل «ثمر الروح» لأن المباينة هناك هى مع «أعمال الجسد» المعادية لله والمضرة للناس، أما «ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف. ضد أمثال هذه ليس ناموس» (غل ٥: ٢٢ و ٢٣) بينما هنا فى أفسس ٥: ٩ ليست المباينة مع أعمال الجسد التى يدينها الناموس بل مع الظلمة «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة».

إن ثمر النور هو فى كل صلاح وبر وحق، فإن قصد الله من جهتنا هو أن تظهر فينا نحن أولاده نفس صفاته الأدبية الجميلة، هذه المبادئ الإلهية السامية التى تتوافق مع الحياة الجديدة التى أعطانا إياها فى المسيح يسوع، فالطبيعة الجديدة التى منحنا إياها تحب وترغب فى كل صلاح وبر وحق أو بالحرى فى صلاحه وبره وحقه هو. كم هو جميل أن نتمثل بإلهنا فى صلاحه من نحونا فنكون لطفاء شفوقين ومحسنين فنعمل الخير للجميع .. للذين يحبوننا والذين لا يحبوننا أيضاً. هذه هى النعمة التى يجب أن يتميز بها كل أولاد النور. وكم هو جميل أيضاً أن نظهر النور فى عمل البر. هذه الصفة هى من مميزات الإنسان الجديد «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق» (٤: ٢٤). يجب أن

---

(١) فقد جاءت كلمة الروح فى معظم الترجمات بمعنى النور "For the fruit of light is ..."

تكون أقوالنا وأفكارنا وأعمالنا بحسب البر والاستقامة. هذا ما يميزنا كأولاد نور عن أبناء الظلمة الذين تسيطر عليهم الأنانية ومحبة الذات. كما أن من مميزات أولاد الله ـ أولاد النور السلوك بحسب الحق. إن كان تعاملنا مع الآخرين يجب أن يكون في كل صلاح وبر، فإنه يجب أن تكون حياتنا الشخصية بحسب الحق، لأن الرب يسر «بالحق في الباطن» (مز ٥١ :٦) فلا يكون للرياء أو التظاهر مكان في حياتنا المسيحية كأولاد نور. إن النور الإلهي لا يمكن أن يسمح لأي شر أو شبه شر بأن يوجد في حياتنا.

«مختبرين ما هو مرضي عند الرب» (ع١٠)

كلمة «مختبرين» هنا هي بمعنى «ممتحنين» أو «فاحصين» لمعرفة ما هو مرضي عند الرب. أي أن واجبنا هو أن ندرك ونتيقن ما هي مشيئة الرب وإرادته في كل شئ. هذا ما يجب أن يبتغيه كل أولاد النور، فلا يليق أن تكون لغة المسيحي الحقيقي «أنا أظن أو أعتقد أن هذا التصرف حسن» أو «إني لست أرى أي ضرر في عمل هذا أو ذاك». وبالتالي لا يليق بالمؤمن أن يعمل بحسب إرادته الذاتية، بل يجب أن يكون لسان حاله «إني بنعمة الله تابع للمسيح، والروح القدس ساكن فيّ، فهل هذا العمل هو ما يريده المسيح ويرضى به؟ وهل عملي هذا يؤول لمجد ربي وسيدي المبارك؟ إذا قلت هذا القول أو عملت هذا العمل أو ذهبت إلى ذلك المكان، هل أكون بذلك مكرماً ومعظماً لمخلصي؟» إننا بهذه الكيفية وحدها نستطيع أن نختبر ما هو مرضي عند الرب.

«ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبخوها» (ع ١١)

ليس في استطاعة المسيحي الحقيقي أن تكون له شركة مع أبناء المعصية العائشين في الظلمة (ع ٦ و ٧) دون أن يتنجس بأعمالهم الدنسة وأفعالهم الشريرة. لذا نجد في رسائل الرسول بولس تحذيرات كثيرة من مخالطة ومعاشرة غير المؤمنين «كتبت إليكم في الرسالة أن لا تخالطوا الزناة» (١كو ٥ :٩) «ولا

تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين. لأنه أية خلطة للبر والإثم. وأية شركة للنور مع الظلمة ... وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن» (٢كو ٦:١٤ و ١٥) فلا يليق بالمؤمن الحقيقى أن يكون له شركة مع غير المؤمنين ولا أن يكون تحت نير معهم فى أية ناحية من نواحى الحياة، سواء فى الزواج أو الأعمال الزمنية أو فى المنظمات أو الأندية العالمية أو فى الجمعيات السرية ولا حتى فى الأنظمة الدينية المخالفة لكلمة الله، لأن «الله نور وليس فيه ظلمة البتة. إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق» (١يو ١:٥ و ٦). إن واجبنا هو أن لا نشترك فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى نوبخها بحياتنا العملية التقوية وبأقوالنا النقية، فلا يليق بنا أن نهادن الشر أو أن نتعامل مع الخطية باستخفاف وعدم مبالاة. لقد كانت حياة ربنا يسوع على الأرض نوراً ساطعاً وموبخاً لأعمال وأفكار البشر المظلمة. ومن واجبنا أن نتمثل به فى ذلك أيضاً، أى يجب أن يكون سلوكنا فى النور فيكون موبخاً لأعمال الظلمة غير المثمرة.

«لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح» (ع ١٢)

المؤمن الواعى والممتلئ قلبه وعقله بالمسيح وبطهارته لا يفكر إلا فى كل ما هو جليل وطاهر، فلا ينشغل بنجاسات الأشرار الدنسين ولا يفكر فيها وبالتالى لا يدنس لسانه بذكر الأمور القبيحة الحادثة سراً من أبناء المعصية العائشين فى ظلمة الخطية.

«ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور. لأن كل ما أظهر فهو نور» (ع ١٣)

ليس المقصود بقوله قبلاً «لا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى وبخوها» (ع ١١) أن نبحث عن خطايا الآخرين ونشهّر بها، بل المقصود هو أن النور من شأنه أن يُظهر كل شئ من أعمال الظلمة ويوبخه، أو بعبارة أوضح، أنه إذا كانت حياتنا العملية نقية ومقدسة ومكرسة للمسيح وكنا متمثلين به فى كل شئ، فإن حياتنا العملية هكذا تُظهر رداءة الشر المحيط بنا وتوبخه، فليس هناك

شئ يكشف حقيقة الشر ويوبخه سوى النور «لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتى إلى النور لئلا تُوبَّخ أعماله. وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور لكى تظهر أعماله أنها بالله معمولة» (يو ٣: ٢٠ و ٢١).

«لأن كل ما أُظهر فهو نور» أى أن كل شئ يُسلط عليه النور فيظهره لا يبقى بعد ذلك مظلماً بل يصير ظاهراً وواضحاً إذ أن النور يظهره على حقيقته.

لما كان الرب يسوع هنا فى هذا العالم ووبخ الفريسيين على ريائهم، لم تكن شرورهم قبل ذلك ظاهرة على حقيقتها أمام التلاميذ وغيرهم من اليهود ولكن عندما سلّط المسيح نور الحق على شرورهم ظهرت على حقيقتها . ظهرت رداءتها بصورة جلية.

على أن عبارة «لأن كل ما أظهر فهو نور» وردت فى بعض الترجمات بمعنى «لأن كل ما يُظهِرُ فهو نور[1]» أعنى أن النور هو الذى يظهر الأشياء على حقيقتها ، وبدون النور لا يمكن رؤية الأمور كما هى. لقد صيّرنا الله بنعمته «نوراً فى الرب» فواجبنا أن نكون دائماً «بلا لوم وبسطاء أولاداً لله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتو نضئ بينهم كأنوار فى العالم» (فى ٢: ١٥) وبذا نكون سبب هداية وبركة للعائشين فى الظلمة وظلال الموت.

«لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضئ لك المسيح» (ع ١٤)

يوجه الروح القدس هذه الكلمات، لا لغير المؤمنين، بل للمُؤمنين الحقيقيين - إلى الذين انتقلوا من الموت إلى الحياة، أى أنهم ليسوا أمواتاً روحياً بل أحياء فى المسيح ومعه، ولكنهم، ويا للأسف، ليسوا متمتعيّن ببهجة الحياة الجديدة وأفراحها . إنهم مخلصون بالنعمة ولكنهم فقدوا بهجة الخلاص. لقد استسلموا

---

(1) " For that which makes everything manifest is light "

للنوم والرخاوة. لقد فقدوا نشاطهم الروحي وتركوا محبتهم الأولى. لقد ناموا وسط قبور الأموات روحياً، وكأنه لم يبق هناك فرق بينهم وبين الأموات بالذنوب والخطايا. أليست هذه صورة حقيقية لكثيرين من أولاد الله؟ إنك تكاد لا تميز بينهم وبين غير المؤمنين. لذا يحث الرسول كل متغافل متهاون أن يقوم من غفلته الروحية وأن يستيقظ من نومه.

إن عبارة «**لذلك يقول** استيقظ أيها النائم» لا نجدها كما هى فى أى سفر من أسفار العهد القديم، والأرجح، أن الرسول اقتبس العبارة الواردة فى سفر إشعياء (ص ٦٠:١) بمعناها وليس حرفياً وهى «قومى (أى استيقظى) استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك» فإنه بسبب الشرور التى كانت منتشرة فى أيام النبى إشعياء، قد وجه الدعوة إلى شعب الرب وخاصته بأن يستيقظوا فيضئ عليهم مجد الرب ونوره فى وسط الظلمة الدامسة المحيطة بهم. وهذه هى دعوة الرب لخاصته فى تدبير النعمة الحاضر. إذ لا يليق بأن يكون الأحياء بين الأموات. إننا لا نقرأ عن أى واحدٍ كان مقيماً بين القبور سوى مجنون كورة الجدريين. ليحفظنا الرب من هذه الحالة المزرية.

ما أعجب محبة الرب ونعمته! فإنه يريد أن شعبه يتمتع بنور وضياء وجهه، لذا يوجه الدعوة لكل واحد منا بمفرده قائلاً «استيقظ أيها النائم ... فيضئ لك المسيح» لأن النائم لا يستطيع أن يرى نوراً أو ضياءً، وبالتالى هل يستطيع المؤمن النائم روحياً أن يتمتع بنور محيا ربنا يسوع المسيح وبضياء وجهه الجميل؟ ليتنا نوجد فى حالة الصحو الروحى والشركة المستمرة مع ربنا المبارك فنتمتع بنور طلعته إلى أن يأتى وعندئذ «نراه كما هو».

«فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة» (ع ١٥ و ١٦)

ثالثا : السلوك بالتدقيق. فقد بدأ هذا الأصحاح بالحث على السلوك فى

المحبة (ع ٢) ثم على السلوك في النور «اسلكوا كأولاد نور» (ع ٨) أما هنا فإن الروح القدس يحثنا على السلوك بالتدقيق. ولنلاحظ أن هذه هي المرة السابعة والأخيرة التي فيها يشار إلى السلوك في هذه الرسالة - هذه الرسالة التي يرسم فيها الروح القدس مقامنا السماوي باعتبارنا جسد المسيح الرأس المُقام من الأموات والمُمجد عن يمين الآب، وكيف أننا بوركنا فيه (أي في المسيح) بكل بركة روحية في السماويات، لذا ينبر الروح القدس في هذه الرسالة على السلوك العملي أكثر مما في أية رسالة أخرى، لأنه بقدر ما قد سَما مقامنا، بهذا القدر عينه تعظم مسئوليتنا كما يحق لهذا المقام.

إن سلوك المؤمن بالتدقيق معناه السلوك بمنتهى الحرص واليقظة الروحية في كل لحظة وذلك بالاعتماد على الرب والاستناد على نعمته ومعونته. مكتوب عن العالم الذي نعيش فيه بأنه «العالم الحاضر الشرير» (غل ١:٤) ومكتوب أيضاً «العالم كله قد وُضع في الشرير» (١يو ٥:١٩) والشيطان هو «رئيس هذا العالم» لذا نحتاج إلى السهر والحذر فإن إبليس عدو المسيح وعدونا نحن أيضاً ينصب في طريقنا فخاخاً وشباكاً متنوعة ويحفر حفراً من كل جانب ليسقطنا فيها، لذا يجب أن نكون في حالة الوعي الروحي «لا كجهلاء بل كحكماء» فنعرف كيف نخطو كل خطوة - نعرف كيف نرفع قدماً وأين نضعها، ولنا النظر الثاقب والبصيرة النيرة لنعرف أين سنخطو الخطوة التالية. إن الحكيم يعرف كيف يخطو كل خطوة بحسب إرادة الله - يعرف ما هو الكلام الذي يتكلم به والعمل الذي يجب أن يعمله، يعرف من هم الأصدقاء الذين يجب أن يسير معهم ويستفيد من معاشرتهم. الحكيم هو الذي يهدف إلى أن يكون سلوكه لمجد الرب يسوع، أما الجاهل فهو الذي يسير في هذا العالم بدون تقدير لعواقب الأمور ولا يبالي بالنتائج الوخيمة للسلوك الطائش - سلوك الجهالة.

فاحذر أيها الأخ المسيحي من أن تجاري غير المؤمنين في تصرفاتهم بحجة أنهم الأكثرية. كن مدققاً في سلوكك فلا تفعل شيئاً مهيناً لاسم سيدك ومعطلاً لحياتك

الروحية لأن الآخرين يفعلون ذلك الشئ. كن حكيماً «لتنظر عيناك إلى قدامك وأجفانك إلى أمامك مستقيماً. مهد سبيل رجلك فتثبت كل طرقك. لا تمل يمنةً ولا يسرةً.باعد رجلك عن الشر» (أم ٤: ٢٥ ـ ٢٧).

«مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة» أى أن من واجب المسيحى الحقيقى أن يغتنم الفرص فلا تفلت من يديه. يجب أن يغتنمها فى الشهادة لسيده ولخدمته فى كل حين. إن الوقت يمر بسرعة واللحظة التى تنتهى لا يمكن إرجاعها لقد مضى يوم أمس ولا يمكن إعادته، ولابد أن يمضى هذا اليوم أيضاً ومن سيكون فى مقدوره إرجاعه مرة أخرى؟ والعمر كله مهما طال فلابد أن ينتهى سريعاً «أيام سنينا هى سبعون سنة. وإن كانت مع القوة فثمانون سنة .. إنها تقرض سريعاً فنطير» (مز ٩٠: ١٠) فالحكيم هو الذى يفتدى الوقت مستخدماً كل لحظة لمجد سيده قبل أن تفلت من بين يديه.

أيها الأحباء إن مجئ الرب أصبح قريباً جداً، والوقت الذى فيه نستطيع أن نمجده ونشهد له ونخدمه هو فرصة الحياة الحاضرة. إذن لنفتد الوقت. لنعمل «ما دام نهار. يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل» (يو ٩: ٤) «إذاً يا إخوتى الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين فى عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب» (١كو ١٥: ٥٨).

«لأن الأيام شريرة» وهذا ما يحفزنا على أن يكون سلوكنا بالتدقيق، وعلى افتداء الوقت وانتهاز كل فرصة للشهادة لسيدنا ولخدمته.

إن الباب مفتوح أمامك اليوم للشهادة للرب ولخدمته فلا تتوان عن افتداء هذا الوقت، فمن يدرى إن كان هذا الباب سيستمر مفتوحاً للغد أم سيكون مغلقاً لأى سبب من الأسباب. إذن يجب علينا أن نفتدى الوقت لأن الأيام شريرة.

«من اجل ذلك لا تكونوا أغبياء، بل فاهمين ما هي مشيئة الرب» (ع ١٧)

جدير بالملاحظة أن الوسيلة الوحيدة التى بها نستطيع أن نكون كحكماء وليس كجهلاء هى فهم مشيئة الرب. وإننا نشكره لأنه قد أودع لنا كل مشيئته فى كلمته الحية ـ تلك الهبة الإلهية التى منحنا إياها «الكتاب المقدس» فإننا بدون كلمة الرب لا نستطيع أن نفهم ما هى إرادة الرب. إن الكتاب المقدس قد تضمن كل ما قصد الله أن يعلمنا إياه، ولا نستطيع أن نفهم ما هى مشيئة الرب من أى مصدر آخر سوى كلمته. فكلمته هى دستور الحياة المسيحية، والروح القدس الساكن فينا يمنحنا القوة للسلوك بحسب الكلمة الإلهية. إنه من المخجل حقاً أن نجد كثيرين من المؤمنين يهملون دراسة كلمة الله التى هى الغذاء الحقيقى للحياة الروحية. لذا نناشد كل مسيحى بأن يدرس كلمة الله يومياً ـ يدرسها بترتيب وبروح الصلاة فيجد فيها الغذاء لحياته الروحية. إنه «اللبن العقلى العديم الغش» كما أنها الخبز المُشبع للنفس، لأنه «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (مت ٤:٤) وبها يستطيع المؤمن أن يعرف مشيئة الرب فى كل أمر وفى كل ناحية من نواحى حياته. فمنها نستمد الحكمة التى نحتاج إليها. إنها سراج لأرجلنا ونور لسبيلنا. لقد قال الرب يسوع «فتشوا الكتب». هذه هى وصية لجميعنا ومن واجبنا أن نطيع أمره وذلك لخيرنا وبركتنا، وإلا فإننا نكون مخطئين وواجبنا فى هذه الحالة أن نبادر إليه ونعترف له بهذه الخطية ونعقد النية بعزم ثابت، واثقين فى معونته، على درس كلمته الصادقة التى منها نستمد المعرفة الحقيقية.

«ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح» (ع ١٨)

يضع الرسول أمامنا هنا أمرين متباينين، الواحد يختلف عن الآخر إختلافاً بيِّناً، وهما «السكر بالخمر» و «الامتلاء بالروح» ولِمَ يعمل الرسول هذه المباينة؟ السبب هو أن الإنسان الذى يسكر بالخمر يصبح شخصية أخرى غير شخصيته

الحقيقية، فإنه يتفوه بأقوال ويعمل أشياء لا يمكن أن يتفوه بها أو يعملها فى حالته الطبيعية، ذلك لأن روح المسكر هى التى تهيمن عليه، وهذا ما لا يليق بالمؤمن الحقيقى «لا تكونوا أغبياء .. ولا تسكروا بالخمر» بل بالحرى يجب أن يهيمن روح الله القدوس على كل كيانه، وبذا يستطيع أن يتكلم بأقوال روحية ويعمل أعمالاً مقدسة لا يستطيع أن ينطق بها أو يعملها بقوته الذاتية.

إن كثيرين من غير المؤمنين يتلمسون الفرح الوهمى والسرور الكاذب بواسطة الخمر الذى فيه الخلاعة - المسكر الذى يسلبهم وعيهم ويفقدهم الكرامة ويتلف عقولهم وأجسادهم، وما أكثر التحذيرات التى لنا فى كلمة الله من تعاطى المسكرات «الخمر مستهزئة. المسكر عجاج ومن يترنح بهما فليس بحكيم» (أم ٢٠:١) «لا تكن بين شريبى الخمر بين المتلفين أجسادهم» (أم ٢٣: ٢٠) «لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن إزمهرار العينين؟ للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون فى طلب الشراب المزوج. لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها فى الكأس وساغت مرقرقة. فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان. عيناك تنظران الأجنبيات وقلبك ينطق بأمور ملتوية، وتكون كمضطجع فى قلب البحر أو كمضطجع على رأس سارية. يقول ضربونى ولم أتوجع. لقد لكأونى ولم أعرف. متى أستيقظ أعود أطلبها بعد» (أم ٢٣:٢٩ - ٣٥) وغير ذلك كثير فى كلمة الله، وهذا ما لا يليق بالمسيحى الحقيقى بل بالحرى يجب عليه أو هو امتيازه أن يمتلئ بالروح القدس. إن هذا ما يجب أن يكون عليه المؤمن باستمرار. ومما يجب ملاحظته أن الإمتلاء بالروح القدس ليس اختباراً استثنائياً لفرد أو لجماعة معينة من المؤمنين بل هو امتياز لكل المؤمنين الحقيقيين أو بالحرى هو الحالة الدائمة التى يجب أن يكونوا فيها.

على أنه يجب أيضاً أن نراعى هذه الحقيقة الهامة وهى أن الحث على الامتلاء بالروح القدس ليس معناه أننا نصلى ونصلى طالبين «معمودية الروح القدس» فإن كل المؤمنين قد اعتمدوا بالروح القدس «لأننا **جميعاً** بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى

جسد واحد» (١كو ١٢:١٣) ثم يجب أن نراعى أيضاً أن الامتلاء بالروح القدس ليس معناه القيام بأعمال معجزية أو التكلم بألسنة أخرى ولا القيام بحركات انفعالية «لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح (أى التعقل)» (٢تى ١:٧) إن خدمة الروح القدس الرئيسية هى أن يأخذ مما للمسيح ويخبرنا. إنه يقود للتفرس فى جماله وكمالات وسجايا ربنا يسوع المسيح وبذا يجتذب قلوبنا وعواطفنا إليه، فنحبه ونتعلق به أكثر ونحيا الحياة المكرسة له، وبقدر ما نزداد تفرساً فيه بهذا القدر عينه نتغير إلى صورته (٢كو ٣:١٨).

«مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب» (ع ١٩)

ما أجمل ثمار الامتلاء بالروح القدس! فالمؤمنون الممتلئون بالروح لا يلذ لهم حديث به يكلمون بعضهم بعضاً إلا عن الرب، وهو، له المجد، يسر بأن يصغى إلى خاصته الذين أحبهم وهم يكلمون بعضهم بعضاً عنه وعن محبته ونعمته «حينئذ كلّم متقو الرب كل واحد قريبه والرب أصغى وسمع وكتب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين فى اسمه» (ملا ٣:١٦). والمؤمنون الممتلئون بالروح القدس تفيض قلوبهم بالتسبيح والترنم للرب. لغتهم التى يتحدثون بها معاً هى أغانى شجية وتسابيح روحية عذبة تبهج السماء بل بالحرى تكون مبهجة لقلب الرب ومنعشة لنفوسهم «أغنى للرب فى حياتى. أرنم لإلهى ما دمت موجوداً فيلذ له نشيدى وأنا أفرح بالرب» (مز ١٠٤:٣٣ و ٣٤).

كتب الرسول بولس للمؤمنين فى كولوسى هذه الكلمات «لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنىً وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية بنعمة مترنمين فى قلوبكم للرب» (ص ٣:١٦) وهنا نجد التسبيح والترنيم والأغانى الروحية هى ثمرة سكنى كلمة الرب بغنى فى المؤمنين بينما فى رسالة أفسس هذه نجد أنها ثمرة الامتلاء بالروح، وهذا معناه أن المسيحى الممتلئ بكلمة الله هو بعينه المسيحى الممتلئ بالروح القدس، لأنه متى سادت كلمة الله

على حياتنا وسلكنا فى الطاعة القلبية لها فإن الروح القدس يملأ كياننا واضعاً أمامنا كمالات ربنا يسوع المسيح الذى هو «أبرع جمالاً من بنى البشر» فتفيض قلوبنا بالتسبيح والترنم له.

«مكلمين بعضكم بعضاً» أعنى أننا نجتمع معاً بنفس واحدة باسم ربنا يسوع المسيح ولنا فكر واحد وهو بنيان بعضنا بعضاً والتغنى والترنم للرب.

«بمزامير» كان شعب الرب فى العهد القديم يرنمون معاً من سفر المزامير، ولا شك فى أن هذا السفر يتضمن أقوالاً وتعبيرات جميلة توافق اختبارات المسيحى فى سياحته فى هذا العالم. ولو أن لغة هذا السفر لا تسمو إلى المقام السماوى للمسيحى وامتيازاته فى تدبير النعمة الحاضر، إلا أننا نجد فى أجزاء كثيرة منه ما نرنم به مما يوافق أحوال وظروف واختبارات متنوعة فى حياتنا.

«وتسابيح» أى ترانيم تعبدية موجهة إلى الله مباشرة. إن موضوعها ليس هو ظروفنا أو احتياجاتنا بل الله إلهنا وأبونا فى جلاله وأمجاده ونعمته، والرب يسوع المسيح فى كل كمالاته ومحبته الفائقة المعرفة وعمله الفدائى. إنها ترانيم السجود والتعبد والتعظيم لله الآب وللرب يسوع المسيح.

«وأغانى روحية» أعنى ليست أغانى عالمية، والأغانى الروحية تتضمن نواحى متعددة كالحث على حياة القداسة العملية والتكريس للرب، والتشجيع على الثقة فيه والاعتماد عليه فى كل ظروف الحياة المتنوعة، وكذلك الحث على الصلاة ودرس كلمة الله وبالجملة التحريض على النهوض بالحياة الروحية. كما يمكن أن تتضمن الأغانى الروحية دعوة الخطاة إلى التوبة وإلى الإيمان بالرب يسوع المسيح.

«مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب» إن الرب يُسر «بالحق فى الباطن» فليست كل العبرة بالصوت المسموع أو الصوت الجميل، وإن كان واجباً أن يكون الترنيم بصوت مسموع بقدر الإمكان، إلا أن المهم هو أن يكون الترنيم تابعاً من القلب الممتلئ بالروح القدس، وغايته وغرضه هو الرب نفسه «مرتلين فى قلوبكم للرب»

وبعد قليل سيكون الرب يسوع، له المجد، موضوع «الترنيمة الجديدة» في السماء، ولكن عمل الروح القدس فينا، ونحن هنا في هذا العالم، هو أن يملأ قلوبنا بالتسبيح والترنم لسيدنا ونحن على الأرض قبل أن نصل إلى السماء «اعبدوا الرب بفرح. ادخلوا إلى حضرته بترنم .. ادخلوا أبوابه بحمد دياره بالتسبيح احمدوه باركوا اسمه» (مز ١٠٠) «طوبى للشعب العارفين الهتاف. يارب بنور وجهك يسلكون. باسمك يبتهجون اليوم كله» (مز ٨٩: ١٥ و ١٦).

«شاكرين كل حين على كل شئ في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب» (ع ٢٠)

المؤمن الممتلئ بالروح القدس هو مؤمن شاكر في كل حين وعلى كل شئ، فإن الشكر هو من مميزات الحياة الروحية والعيشة في التقوى والقداسة العملية. إن مشيئة الله من جهة جميع المؤمنين هي أن يكونوا شاكرين كل حين وفي كل الظروف «اشكروا في كل شئ لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم» (١تس ٥: ١٨) «لا تهتموا بشئ بل في كل شئ بالصلاة والدعاء مع **الشكر** لتعلم طلباتكم لدى الله» (في ٤: ٦) فإذا سلمنا أنفسنا لإرادة الله ولعمل الروح القدس فينا فإننا نمتلئ يقيناً بأن «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» (رو ٨: ٢٨) لنفحص أنفسنا أيها الأحباء. هل نحن نشكر الله **على كل شئ؟** هل نشكره على الآلام والمشقات كما نشكره على الراحة؟ إنه من السهل أن نشكره على بعض الأشياء، ولكن المخجل هو أننا نتذمر ونتململ في بعض الظروف التي نجتاز فيها والتي لا توافق ميولنا الطبيعية، مع أنه كان يجب أن نشكر الله عليها واثقين أن وراءها خيراً وبركة لنفوسنا حتى وإن كنا لا نعرف ما وراءها.

إذا لزم الأمر أن يجتاز مريض عملية جراحية فإنه بلا شك يتألم من إجرائها له ولكنه يرضى بها عالماً أن مبضع الجراح وإن كان مؤلماً إلا أنه سيريحه من آلام المرض وربما ينقذ حياته من الموت إذا كانت هذه إرادة الله. إنه بكل يقين يشكر

الجراح الذى أنقذه من الآلام. كذلك الأمر معنا فإن أبانا وإلهنا يسمح لنا باجتياز ظروف أليمة لينقينا من الشوائب التى تعطل حياتنا الروحية. إن الكرام الذى ينقي الأغصان المثمرة لكى تأتى بثمر أكثر. إنه أبونا المحب الذى يرى البداية من النهاية فيعمل كل شئ لخيرنا وبركتنا. فليحفظنا الرب من روح التذمر وعدم الشكر بل بالحرى نكون شاكرين الله أبانا شكراً مقبولاً لديه لأننا نقدمه له «فى اسم ربنا يسوع».

«خاضعين بعضكم لبعض فى خوف الله» (ع٢١)

يتميز المسيحيون الممتلئون بالروح القدس أيضاً بخضوعهم بعضهم لبعض وهذا ما يجب أن يراعيه المؤمنون الذين يجتمعون معاً باسم الرب يسوع، فإنهم متى كانوا جميعاً خاضعين بعضهم لبعض فى خوف الله فإن هذا يجنبهم كل نزاع وخلاف، كل أنانية وغيرة مرة وحسد. إن خضوعنا لربنا يسوع سيدنا يقودنا إلى الخضوع بعضنا لبعض حاسبين الآخرين أفضل من أنفسنا. إن المؤمن الممتلئ بالروح هو مؤمن ممتلئ بالفرح (ع ١٩) وهو مؤمن شاكر (ع ٢٠) ثم هو مؤمن خاضع (ع ٢١). هذا هو المحك الصحيح لمستوى الحياة الروحية.

***

العلاقات العائلية فى البيوت المسيحية

«أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب» (ع ٢٢)

يبدأ الروح القدس هنا بالكلام عن الروابط والعلاقات العائلية فى البيوت المسيحية، والرب الذى يعنى بسلامة وبركة خاصته كأفراد تهمه سلامة وبركة المؤمنين كعائلات، فكما أنه يريد أن يكون له مكانه فى قلوبنا فإنه يريد أن يكون له مكانه أيضاً فى بيوتنا، وما أسعد البيت المسيحى الذى للرب مكانه اللائق به فيه! والوسيلة الوحيدة لضمان الهناء فى العائلة هى فى الخضوع للرب ولكلمته.

ولنراع أن هناك ارتباطاً بين العدد السابق «خاضعين بعضكم لبعض فى خوف الله» وبين النصائح الثمينة الموجهة للعائلات المسيحية بشأن العلاقات المقدسة والواجبات المتبادلة بين أفرادها، لذا يبدأ الرسول بالكلام عن أهم العلاقات فى البيت المسيحى، أعنى بين الزوجة وزوجها، فللزوجات يقول «أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب». هذا التعليم الواضح والصريح ليس مقبولاً عند الكثيرات ولا سيما فى عصرنا الحاضر - عصر المدنية التى جرفت الكثيرين فى البعد عن الله وعن كلمته، وبصفة خاصة بين النساء المثقفات، ولكن واجب المرأة المسيحية هو أن تصغى لكلمة الله وتفتح قلبها لتسكن فيها كلمة المسيح فى هذا الأمر كما فى كل أمر آخر.

قد تكون زوجة ما أكثر فطنة وفهماً من زوجها، ولكنها تستطيع بخضوعها له - الخضوع المقترن بالفطنة الموهوبة لها من الله - أن تكون بركة له، لا بل يجب على الزوجة أن تخضع لزوجها حتى ولو كان غير مؤمن حقيقى فإنها تستطيع بسيرتها الطاهرة أن تربحه للمسيح (١بط ٣:١ و ٢). على أن هذا ليس معناه أن يتزوج المؤمن بغير المؤمنة ولا المؤمنة بغير المؤمن بل «تتزوج بمن تريد فى الرب **فقط**» (١كو ٧:٣٩) «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين» (٢كو ٦:١٤ و ١٥).

لقد تكلم الله إلى حواء قائلاً «إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك» (تك ٣:١٦) ذلك لأنها كانت قد تخطت الحدود الموضوعة لها من الله عندما استسلمت لغواية الشيطان وبذا برهنت على ضعفها وعلى أن مكانها اللائق بها هو الخضوع، وهذا ما أشار إليه الرسول بولس ضمناً فى قوله «لتتعلم المرأة بسكوت فى كل خضوع ولكن لست آذن للمرأة أن تعلّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت. لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء. وآدم لم يُغوَ لكن المرأة أُغويت فحصلت فى التعدى» (١تى ٢:١١ - ١٤) لذا يشدّد الرسول بولس على لزوم خضوع المرأة لأن آدم أكل من الشجرة بمحض إرادته أما حواء فإنها أغويت وهذا يدل على أن المرأة أكثر من الرجل تعرضاً لأن تنقاد بعواطفها أكثر مما بتفكيرها.

على أن للنساء التقيات مركزهن المبارك بين شعب الرب ولا سيما فى البيوت التى فيها تمارس الصلاة العائلية وفيها تقرأ كلمة الله وتطاع طاعة قلبية.

إن خضوع المرأة لرجلها ليس هو عبودية أو مذلة وإنما هو خضوع المحبة القلبية، وإنه مما يزيّن الزوجة المسيحية ويجمّلها هو خضوعها لرجلها «كما للرب» أعنى أن خضوعها لزوجها هو خضوع للرب نفسه وهذا واضح من قول الرسول نفسه فى رسالته إلى أهل كولوسى «أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما يليق فى الرب» (ص ٣:١٨) وهذا يرينا أيضاً أن خضوع المرأة لرجلها يجب أن لا يتعدى الطاعة للرب ولكلمته لأنه ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس. عندئذ يكون خضوع المرأة لرجلها هو جزء من خضوعها للرب نفسه.

«لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن فى كل شئ» (ع ٢٣ و ٢٤)

يذكر الرسول هنا السبب الذى لأجله يجب على المرأة أن تخضع لرجلها، فكما أن ربنا يسوع المسيح هو رأس الكنيسة الذى يهتم بسلامتها وبركتها مدة وجودها فى هذا العالم، كذلك الزوج المسيحى، فإنه رأس المرأة وقد أعطى له هذا المركز لا ليسيطر عليها ويعاملها بعنف أو قسوة بل بالحرى ليعنى بها ويهتم بسلامتها وإسعادها. إلا أنه واضح من الناحية الأخرى أن واجب المرأة هو الخضوع لرجلها فى كل شئ كما تخضع الكنيسة للمسيح.

كم هو جميل ومبهج حقاً أن الروح القدس، فى سياق الكلام عن الواجبات المتبادلة بين الزوج وزوجته، يتحدث بإفاضة وبأسلوب سماوى بديع عن العلاقة الأسمى التى بين المسيح الرأس والكنيسة التى هى جسده، وإنه لمما يشرّف العلاقة المقدسة بين الزوج وزوجته أو بالحرى الزواج المسيحى هو أنه صورة للعلاقة المجيدة التى بين المسيح وكنيسته.

لقد رأينا في الأصحاح الأول هذه العلاقة مرسومة في صورة «جسد» والمسيح المُقام من الأموات والمُمجد عن يمين الآب في السماويات هو رأس هذا الجسد وأن المؤمنين الحقيقيين هم أعضاء هذا الجسد. وكذلك رأينا في الأصحاح الثاني هذه العلاقة مرسومة في صورة «بناء» والمسيح هو «حجر الزاوية» وأن المؤمنين مبنيون معاً مسكناً لله في الروح، أما في هذا الفصل (ص ٥) فإننا نرى هذه العلاقة المقدسة مرسومة في الصلة الكائنة بين الرجل وزوجته. إن الرب يسوع هو العريس السماوي والكنيسة هي عروسه التي أحبها وأسلم نفسه لأجلها. وسيجئ الوقت وهوقريب، عندما تزف العروس امرأة الخروف لعريسها المبارك (رؤ ١٩:٧ـ ٩ ، ١٧:٢٢).

«أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها» (ع ٢٥)

إن كان واجب الزوجة هو أن تخضع لزوجها كما تخضع الكنيسة للمسيح، فإن واجب الزوج هو أن يحب زوجته كمحبة المسيح للكنيسة. والروح القدس، في هذا الفصل، يقدِّم المسيح نفسه للزوج كما للزوجة أيضاً مبيناً أن مقياس خضوع المرأة لرجلها هو خضوع الكنيسة للمسيح، وأن مقياس محبة الرجل لامرأته هو محبة المسيح للكنيسة.

لقد أحب المسيح الكنيسة بمحبة لم يستطع الموت أن يعطلها بل بالحرى أظهر قوتها ـ أحبها وأسلم نفسه لأجلها. عندما يُظهر الزوج لزوجته محبة كهذه فإن الزوجة تجد سرورها في خضوعها له. إن المسيحي الحقيقي الذي يُظهر المسيح سيده في حياته يُسر بإظهار المحبة الباذلة والمضحية لأجل زوجته وبذا يستأسر قلبها وعواطفها فتجد هي من جانبها أن سرورها في إرضائه والخضوع له. وهل هناك أجمل وأسعد من بيت كهذا؟

هل ينتظر الزوج الطاعة القلبية من زوجته إذا كان قاسياً عليها؟ «أيها الرجال

أحبوا نساءكم ولا تكونوا قساةً عليهن» (كو ٣:١٩) وهل تستطيع القسوة أن تقود الزوجة إلى الطاعة؟ إن المحبة وحدها هى التى تؤثر فى قلب الزوجة وتقودها إلى الطاعة الحقيقية.

«أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها» يا له من مثال مقدس يضعه الروح القدس أمام الأزواج! مثال سماوى مبارك، فبقدر ما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها هكذا يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم.

لقد كان المسيح كل شئ فى حياة الرسول بولس، وفى خدمته، فإنه عند الكلام عن واجب الرجال من نحو نسائهم لم يستطع إلا أن يضع أمامهم الشخص المبارك الذى سبى قلبه وامتلك كل كيانه - الرب يسوع المسيح عريس الكنيسة ورأسها المجد الذى أحبها ووضع حياته لأجلها. إن كانت محبة الرجل لامرأته تسبى قلبها وعواطفها فتقابل محبته بالخضوع الحبى له، فكم بالأحرى يجب أن تكون محبتنا وخضوعنا لرأسنا وعريسنا المبارك محبة كاملة وخضوعاً قلبياً تاماً!

«وأسلم نفسه لأجلها» إنه لم يُعط مما عنده للكنيسة بل أعطى نفسه، ولم يتألم لأجلها فقط بل بذل نفسه - بذل حياته لأجلها. ما أعجب محبتك أيها الرب يسوع! فلأجلنا بذلت حياتك لتحيينا نحن الأموات. أسلمت نفسك لتكون لنا حياة وليكون لنا أفضل. لاسمك المعبود كل سجود وحمد وإكرام.

لقد أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها. ما أمجد هذا العمل وما أبرك نتائجه، وما أحلى ثماره! فالكنيسة تُرى الآن أمام الله بلا خطية، لأن الخطايا كلها قد مُحيت إلى الأبد. الفداء قد كَمل والشيطان قد هُزم، والغضب والدينونة قد انتهيا، والفرائض التى كانت ضداً لأولئك الذين كانوا تحتها قد سُمرت فى الصليب، والعداوة قد أزيلت إلى الأبد، وبالتالى تكوّن «الإنسان الجديد» والأساس الإلهى لكل ذلك بل ولأكثر من ذلك قد وضع بواسطة تسليم المسيح نفسه لأجلنا. لقد افتدينا بدم المسيح الكريم، ولكن هذا الفداء مؤسس على قيمة شخصه الكريم، ففيه أى فى شخصه صار لنا هذا الفداء بدمه كما هو مكتوب

«الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته» (ص ١ :٧). إنه من الأهمية بمكان أن نعرف أن قيمة الفداء مرتبطة بقيمة وسمو شخصه الكريم، فإن ما يجعل لعمله المبارك فقيمته الفائقة الإدراك إنما هو شخصه الجليل. إن ما يملأ نفوسنا حباً له وتعلقاً به وتكريساً وخدمة له هو أن لا نذكر فقط العمل الذى عمل بل بالحرى الشخص نفسه الذى عمله.

«لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة» (ع ٢٦)

عجيبة حقاً هى محبة المسيح للكنيسة! إنها محبة أزلية! وما أمجد ما عملته محبته هذه، فإنها قادته إلى بذل نفسه لأجلها. هذا العمل المبارك قد أكمل فوق صليب الجلجثة. إنه عمل كامل قد تم مرة واحدة ولن يتكرر «لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين» (عب ١٠ :١٤) إلا أن محبته هذه لم تقف عند حد ما عمله فى الماضى، بل كان قد بذل نفسه لأجلها «لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة». إنه بموته (فى الماضى) قد خلصها، وبكلمته (فى الحاضر) يقدسها ويطهرها، وبمجيئه الثانى (فى المستقبل) يمجدها.

«لكى يقدسها» وهنا يجب أن نراعى أن هناك وجهين للقداسة، فعلى أساس عمله فوق الصليب أصبحنا قديسين وبلا لوم أمام الله، وهذا مركز كامل وثابت وأبدى. إلا أنه تبارك اسمه، يعمل بروحه فينا باستمرار لكى تكون حياتنا العملية حياة القداسة، وبقدر ما نسمح للروح القدس أن يهيمن على حياتنا بهذا القدر ننمو فى حياة القداسة. فلنحرص على أن تكون عيشتنا فى القداسة باستمرار، وعلى أن ننمو فيها «مكملين القداسة فى خوف الله».

«مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة» وهذا يرينا ما لكلمة الله من قيمة عظمى وأهمية فائقة. إننا عند إيماننا بالرب يسوع المسيح قد حصلنا على غسل الميلاد الثانى (تى ٣ :٥) وهذا ما قصده الرب بقوله لنيقوديموس «إن كان أحد لا يولد من الماء (أى الكلمة) والروح (أى الروح القدس) لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو ٣ :٥). هذا العمل يتم مرة واحدة ولن يتكرر وذلك عند قبول الرب يسوع المسيح

مخلصاً وفادياً. إلا أننا نحتاج إلى تطهير مستمر بواسطة كلمة الله، لأن «الذى اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله» (يو ١٣: ١٠).

ولا حاجة إلى القول بأن المقصود بغسل الماء ليس هو ماء المعمودية، فإن الرسول أوضح لنا معنى هذه العبارة بقوله «بغسل الماء بالكلمة». ما أحوجنا إلى درس كلمة الله باستمرار وبروح الصلاة! «ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تصيِّر الجاهل حكيماً .. أيضاً عبدك يحذَّر بها وفى حفظها ثواب عظيم» (مز ١٩).

«لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب» (ع ٢٧)

يا لسمو عمل المسيح لأجل الكنيسة فقد أحبها وبذل حياته الغالية لأجلها ـ لقد تجرع لأجلها كأس الدينونة المروعة، ومع ذلك فلم يكن ذلك سوى وسيلة لتحقيق غاية إلهية وقصد أزلى. نعم إن بذل حياته لأجل الكنيسة، وكذا خدمته لها فى الحاضر كالكاهن العظيم الذى يقدسها ويطهرها بغسل الماء بالكلمة، هذه ليست سوى وسائل إلهية مباركة لإتمام المشورة الأزلية وهى أن يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب. هناك فى المجد سيتمتع بوجود كنيسته معه، وهناك ستحظى الكنيسة «العروس امرأة الخروف» بكمال البركة الأبدية.

إنه سيحضرها لنفسه كنيسة مجيدة أى أنها ستشترك معه فى مجده، وهذا ما قاله لأبيه فى صلاته «وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى» (يو ١٧: ٢٣ و ٢٤).

وهذا ما رآه الرسول يوحنا فى نفيه فى جزيرة بطمس، فقد رأى «العروس امرأة الخروف ... ولها مجد الله» (رؤ ٢١: ٩ و ١١). سوف لا تحتاج الكنيسة هناك إلى تطهير أو غسل بماء الكلمة لأنه سيحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها

كما أنها ستخلص مما يعتريها هنا من وهن وضعف فلن يرى فيها «غضن» أي تجعد أو شئ من مثل ذلك بل سيراها عريسها المبارك فى نضارة وجمال كاملين، إنها ستصل عندئذ إلى حالة القداسة الكاملة فتكون «مقدسة وبلا عيب». إنه، تبارك اسمه، يريدنا أن نكون هنا فى حالة القداسة فى خوف الله عاملاً فينا بروحه القدوس وبالكلمة إلى أن نصل إلى المجد وهناك سنُرى أمامه وأمام كل الخليقة «بلا عيب».

«كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم، من يحب امرأته يحب نفسه. فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة» (ع ٢٨ و ٢٩)

يضع الرسول أمامنا مقياساً إلهياً للمحبة التى يجب على الرجال أن يحبوا بها نساءهم، فكما أحب المسيح الكنيسة التى هى جسده وأسلم نفسه لأجلها وذلك لكى يسعدها ويشركها معه فى مجده، كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. لقد أوضح الرب يسوع هذه الحقيقة بأسلوب بديع عندما قال للفريسيين «أمَا قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى .. ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد» (مت ١٩:٤ ـ ٦) فالزوج والزوجة هما «جسد واحد» لذا يجب على الرجال أن يتعاملوا مع نسائهم بحسب هذا المبدأ السامى ـ أن يحبوا نساءهم كأجسادهم «فإن من يحب امرأته يحب نفسه» أما من يحتقرها ويهينها فإنه فى الحقيقة يحتقر ويهين نفسه.

إنه أمر طبيعى أن كل إنسان يحب نفسه، ولا يوجد إنسان عاقل يبغض جسده أو يؤذيه بل بالحرى يعتنى به «يقوته ويربيه» إذن يجب على الزوج المسيحى أن يعتنى بزوجته ويعمل كل ما فى راحتها وإسعادها لأنها جسده.

ويضع الروح القدس أمامنا هنا الرب يسوع كالمثال الكامل، فإنه باستمرار يعتنى بالكنيسة «التى هى جسده» يعتنى بها ـ يقوتها ويربيها مستخدماً وسائط نعمته لبركتها. وإنه لأمر معزٍ ومشجع أن نعلم أن الرب يسوع، الرأس الممجد فى

السماء، هو الذى بنفسه «يقوت ويربى» كل أعضاء جسده مدة وجودهم فى هذا العالم. يا لها من بركة وياله من ضمان إلهى!

«لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (ع٣٠)

يبين الرسول هنا السبب الذى لأجله يعنى المسيح بنا فيقوتنا ويربينا. ذلك «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» فكما تكونت حواء من آدم كذلك الكنيسة من المسيح. فقد أخذ الرب ضلعاً من جنب آدم وعمل منها حواء، حتى قال آدم عنها «هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى، هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت» (تك ٢:٢١ ـ ٢٣) كذلك نحن أيضاً قد صرنا قريبين من المسيح «أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» يا له من قرب عجيب واتحاد مبارك، لاسمه المعبود كل الحمد.

على أنه ليس المقصود بقوله هنا «من لحمه ومن عظامه أن المسيح صار جسداً مثلنا واشترك معنا فى لحمنا وعظامنا، بل إننا صرنا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه أى أنه صارت لنا علاقة مع المسيح المُقام من الأموات والمُمجّد فى السماء، واتحاد به، وليس المقصود علاقته هو بنا كإنسان على الأرض. إنه لا يشار هنا إلى ربنا المبارك كمن اشترك معنا فى اللحم والدم، مع أن هذا صحيح، ولكننا لا نتعلم هذا هنا فى هذه الرسالة بل فى الرسالة إلى العبرانيين (ص ٢). إننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه أى صرنا جزءاً منه ومتحدين به الآن وهو الممجد فى حضرة الله وليس فى صيرورته جسداً هنا على الأرض.

«من أجل هذا يترك الرجل أباه وامه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً» (ع ٣١)

يقتبس الرسول هنا نفس الكلمات التى كتبها موسى قديماً بمناسبة إحضار حواء لآدم «لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً» (تك ٢:٢٤) وقد اقتبس الرب يسوع، له المجد، هذه الأقوال عينها ووضع عليها ختم

مصادقته إذ أضاف إليها قوله «إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان» (مر ١٠: ٧ و ٨) وأى كلام يمكن أن يضاف إلى أقوال الرب هذه؟ لقد تكلم سيد المعلمين فلنحن أمامه الهامات خضوعاً وطاعة، فإنه أعاد للعلاقة الزوجية قدسيتها وجمالها كما كانت قبل دخول الخطية إلى العالم.

«من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته» فالعلاقة المقدسة بين الرجل وامرأته هى أقرب من أية علاقة أخرى. إنها أقرب من العلاقة الكائنة بين الوالدين وأولادهم.

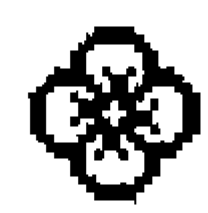
« هذا السر عظيم ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة»
(ع ٣٢)

تجئ كلمة «سر» مراراً فى هذه الرسالة، ففى الأصحاح الأول يقول الرسول «إذ عرّفنا بسر مشيئته» (ع ٩) وفى الأصحاح الثالث يقول «إنه بإعلان عرّفنى بالسر .. الذى بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتى بسر المسيح .. وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور» (ع ٣ و ٤ و ٩) وهنا يشير إلى سر «عظيم» ولا ريب فى أن المقصود بالسر هنا ليس هو العلاقة الزوجية بل الاتحاد المقدس الكائن بين المسيح وكنيسته، وهذا واضح من قوله «ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة» على أن العلاقة بين الزوج وزوجته هى بلا شك رباط مقدس قد عمله الله نفسه لأن «الذى **جمعه الله** لا يفرقه إنسان» (مر ١٠: ٩).

«وأما أنتم الأفراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه وأما المرأة فلتهب رجلها» (ع ٣٣)

يكرر الروح القدس هنا حث الرجل وامرأته على أن يراعى كل منهما واجبه من نحو الآخر، وذلك لأهمية هذا الأمر الذى عليه تتوقف السعادة العائلية، فعلى الرجل أن يحب امرأته كنفسه، وعلى المرأة أن تهاب رجلها، وإننا لنجد مثل هذا

الحث فى أماكن أخرى فى كلمة الله، وذلك لأن الله يريد أن يتمجد لا فى حياتنا كأفراد فقط بل وفى بيوتنا أيضاً، فالرسول بطرس فى رسالته الأولى أصحاح ٣ يعظ النساء بأن يكن خاضعات لرجالهم، والرجال بأن يكونوا «ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائى كالأضعف معطين إياهن كرامة كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة لكى لا تعاق صلواتكم» ما أخطر هذه العبارة الأخيرة! فإنه إذا لم يكن البيت المسيحى بحسب الترتيب الإلهى، ولم يراع كلٌ من الزوج والزوجة مسئوليته من نحو الآخر، ولم تكن العلاقة بينهما كما يجب أن تكون، فإن صلواتهما تُعاق فلا تصل إلى عرش الله، أما متى كان البيت المسيحى مزيناً بالترتيب الإلهى الجميل فإن المذبح العائلى تتصاعد منه الصلوات والتشكرات والتسابيح كبخور عطر يشتمه الله الآب والرب يسوع المسيح. ويا لها من بركة عندما يجثو الزوج وزوجته وأولادهما معاً (إذا كان الله قد أعطاهما أولاداً) للسجود والصلاة والترنيم ولدرس كلمة الله معاً والتغذى بها. ليت هذه تكون حالة جميع بيوت المؤمنين «طوبى لكل من يتقى الرب ويسلك فى طرقه .. طوباك وخير لك. امرأتك مثل كرمة مثمرة فى جوانب بيتك. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك. هكذا يبارك الرجل المتقى الرب» (مز ١٢٨).



الأصحاح السادس

«أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى الرب لأن هذا حق» (ع ١)

تعتبر التسعة الأعداد الأولى من هذا الأصحاح مرتبطة بالجزء الأخير من الأصحاح السابق (٥: ٢٢ ـ ٣٣) ذلك لأن الرسول هنا يستمر فى الكلام عن الواجبات العائلية فى بيوت المؤمنين. لقد شرح الرسول بإفاضة فى الأعداد السابقة الواجبات المتبادلة بين الزوج وزوجته، إذ أن البيت يبدأ دائماً بالزواج، ثم يأتى بعد ذلك دور الأولاد الذين هم ثمرة الزواج، لذا يحدثهم الرسول عن الواجبات المتبادلة بينهم وبين والديهم، وهنا نرى أن موضوع الخضوع أو الطاعة لم ينته بعد، فإن كان واجب الرجل هو أن يحب امرأته وواجب المرأة هو أن تخضع لرجلها فإننا هنا نرى أن واجب الأولاد هو الخضوع أو الطاعة لوالديهم. هذا ما يجب أن يتميز به الأولاد ـ البنون والبنات ـ الذين نشأوا فى بيوت مسيحية. إننا نجد فى رسالتى رومية وتيموثاوس الثانية قائمتين من الخطايا، الواحدة عن خطايا الأمم الوثنيين الذين لم يعرفوا الله الحى الحقيقى، ومن بين تلك الخطايا أنهم «غير طائعين لوالديهم» (رو ١: ٢٩ ـ ٣١) والثانية تصف خطايا الناس فى الأزمنة الصعبة فى هذه الأيام الأخيرة ـ أيام لاودكية، ومن بين هذه الخطايا أنهم «غير طائعين لوالديهم» (٢تى ٣: ٢). هذه علامة من ضمن العلامات التى تصف الأيام الأخيرة. إن قلب الإنسان البعيد عن الله هو هو، فكما كانت حالته بين الوثنيين قديماً لا زالت كما هى فى هذه الأيام ـ أيام المسيحية الإسمية والمدنية الكاذبة. أما كلام الرسول هنا فإنه موجه إلى الذين عرفوا الرب يسوع، وهذا واضح من قوله «أطيعوا والديكم **فى الرب**» إذ لا ننتظر الطاعة «فى الرب» ممن ليست لهم معرفة بالرب أو علاقة به.

وهناك سببان يذكران فى كلمة الله عن لزوم طاعة الأولاد لوالديهم : السبب الأول «لأن هذا حق»، والسبب الثانى هو «لأن هذا مرضى فى الرب» (كو ٣ : ٢٠). لقد كان ربنا يسوع المسيح المثال الأعظم فى ذلك، كما فى كل شئ آخر، فقد كان مطيعاً وخاضعاً لأمه وليوسف رجلها كما هو مكتوب «ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما» (لو ٢ : ٥١). ليت جميع الأولاد يتمثلون فى ذلك بالرب يسوع عالمين أن «هذا حق» فإن كانت الطاعة هى حق فإن عدم الطاعة هو شر.

«اكرم أباك وأمك التى هى أول وصية بوعد لكى يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض» (ع ٢ و٣)

يوجه الرسول بولس إلتفات المؤمنين إلى هذه الحقيقة الهامة وهى أن طاعة الأولاد لوالديهم لها أهميتها وتقديرها عند الله، فقد أعطى الله قديماً الناموس أعنى الوصايا العشر، وعندما نقرأها نجد أن الأربع الوصايا الأولى، مع ما لها من أهمية عظمى، ليست مقترنة بأى وعد، ولكن الوصية الخامسة، وهى الخاصة بإكرام الأولاد لوالديهم «هى أول وصية بوعد» «اكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض» (خر ٢٠ : ١٢). فإن كان هذا تقدير الله لطاعة الأولاد لوالديهم فى عهد الناموس فهل يكون تقديره لهذه الطاعة أقل فى عهد النعمة؛ فكما أن طاعتنا للرب لها مجازاتها كذلك طاعة الأولاد لوالديهم لها مجازاتها الحسنة «لكى يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض» هذا وعد مبارك يجب أن يثق فيه ويتمسك به الأولاد الأتقياء الذين يطيعون والديهم ويكرمونهم. وكما أن للطاعة مكافأتها فإن لعدم إطاعة الوالدين وإكرامهم عاقبتها الوخيمة «من سب أباه أو أمه ينطفئ سراجه فى حدقة الظلام» (أم ٢٠ : ٢٠) «العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة إطاعة أمها تقورها غربان الوادى وتأكلها فراخ النسر» (أم ٣٠ : ١٧). ليت كل الأولاد - بنين وبنات - يطيعون والديهم ويكرمونهم فيتمتعون برضى الله عليهم ويختبرون عملياً هذا الوعد الجميل «لكى يكون لكم

خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض».

«وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره» (ع ٤)

إن كان واجب الأولاد هوالطاعة لوالديهم، «لأن هذا حق» ولأنه «مرضى فى الرب» فإن واجب الوالدين هو أن لا يعاملوا أولادهم بالقسوة والعنف، وفى هذا يحتاج الآباء والأمهات أن يكونوا قريبين من الله وفى شركة معه ليمنحهم الحكمة التى يحتاجون إليها فى تربية أولادهم التربية المسيحية الحقة. لا شك أنه من الخطورة بمكان أن يتهاون الوالدون ويتساهلون فى تربية أولادهم، الأمر الذى يجلب عليهم متاعب وآلاماً لا حصر لها، كما يجلب عليهم أيضاً قضاء إلهياً مثلما حدث لعالى الكاهن وبيته (١صم ٢:٢٧ ـ ٣٦) إلا أنه من الناحية الأخرى يجب على الوالدين أن لا يكونوا قساة على أولادهم، وحتى عندما يستلزم الأمر استعمال الحزم والتأديب يجب أن لا يكون ذلك بروح الغضب، بل أن يكون الباعث عليه المحبة التى لا تريد سوى خير الأولاد وبركتهم. إن كثيرين من الآباء يعاملون أولادهم بالقسوة ويتسرعون فى معاقبتهم ويضربونهم باستمرار وبغضب وهياج. أبهذه الكيفية يعاملنا الله أبونا؟ إن هؤلاء الوالدين يكونون سبب عثرة لأولادهم ويبعدونهم عن الله «أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا» (كو ٤:٢١). فليحذر الوالدون من الكلام مع أولادهم بروح الغضب، كما يجب أن لا يأمروهم بشئ فوق طاقتهم كما لو كانوا كباراً نظيرهم، بل يراعون مدى فهمهم ومداركهم التى تتفق مع أعمارهم.

إن واجب الوالدين هو أن يربوا أولادهم «بتأديب الرب وإنذاره» متذكرين بأنهم كانوا أولاً أولاداً قبل أن يكونوا والدين، وكم كانوا فى حاجة إلى صبر وطول أناة والديهم فى تربيتهم لهم، وهذا ما يحتاجه أولادهم منهم الآن. يجب على الآباء والأمهات أن يصلّوا كثيراً لأجلهم ومعهم. يجب أن يسهروا على سلامتهم روحياً وعقلياً وجسدياً من بدء حياتهم ـ فى سن الطفولة وفى كل مرحلة من مراحل

حداثتهم ولا سيما سن المراهقة. إن واجب الوالدين هو أن يجلسوا كثيراً مع أولادهم ويوجهوهم التوجيه الحسن ويرشدونهم إلى الكتب التى يجب عليهم أن يقرأوها ويحذروهم من قراءة الكتب التى تؤذى حياتهم الروحية والأخلاقية، وأن يعرفوا ما هى هواياتهم التى يحبونها، وما هو نوع الأصدقاء الذين يعاشرونهم، وبالجملة يجب عليهم أن يهذبوهم التهذيب المسيحى الذى لا يمكن أن يستعاض عنه بشئ آخر. عليهم أن يرشدوهم إلى ما يعلمه الكتاب المقدس عن الإيمان بالمسيح وعن العيشة المسيحية، فلا يتركون هذا الواجب المقدس لمدرسة الأحد أو لاجتماعات الشبان ولا للكنيسة، بل عليهم أن يغرسوا هم أولاً بذار الكلمة الإلهية فى قلوبهم الغضة وبذا يقودونهم إلى قبول الرب يسوع مخلصاً لهم. إن أى ميراث أرضى يتركه الوالدون لأولادهم لا قيمة له، إذ أن أهم وأثمن ما يمكن أن يقدموه لأولادهم هو أن يربوهم «بتأديب الرب وإنذاره» لا بالكلام فقط بل بالقدوة الحسنة. يجب أن يرى الأولاد فى والديهم أحسن مثال لحياة القداسة والعيشة التقوية.

لقد قال الرب يسوع «هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار» (مت ١٨:١٤) بل إن أمره الصريح هو «دعوا الأولاد يأتون إلىّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات» (مت ١٩:١٤).

ولنا مثال جميل على تربية الأولاد تربية مسيحية فى البيت وثمار هذه التربية فى «تيموثاوس» فقد كتب له الرسول بولس «وأما أنت فاثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفاً ممن تعلمت وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع» (٢تى ٣:١٤ و ١٥) فتيموثاوس قد تعلم ولا شك من الكتب المقدسة الطاعة وإكرام الوالدين وهو طفل على ركبتى أمه وركبتى جدته (٢تى ١:٥) لقد ربياه بتأديب الرب وإنذاره. إنه تعلم الكتب المقدسة فى البيت أولاً. ولابد أن والديه وجدته سينالون المجازاة والمكافأة أمام كرسى المسيح.

«أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح» (ع ٥)

يستمر الرسول فى كلامه عن الخضوع والطاعة، فكما هو واجب الأولاد أن يطيعوا والديهم، كذلك هو واجب العبيد أن يطيعوا سادتهم، ومما لا ريب فيه أن هذا لا ينطبق على العبيد والسادة فى البيت فقط، بل أيضاً على العامل وصاحب العمل ـ على الصانع وصاحب المصنع وكذلك على الموظف ورئيسه، وهذا واضح من قوله فى نفس هذا الفصل «عبداً كان أم حراً» (ع ٨) وإذا ما راعى الكل هذا المبدأ الإلهى فإن ذلك يحل مشاكل معقدة كثيرة بين العمال وأصحاب العمل ـ مشاكل كثيراً ما يترتب عليها اضطرابات بل وثورات أيضاً.

فى الوقت الذى كتب الرسول فيه هذه الأقوال كان نظام العبيد الأرقاء سائداً فى كل العالم ولا سيما فى الدولة الرومانية التى كانت لها السيادة العليا وقتئذ، ومع أن ذلك النظام لم يكن بحسب إرادة الله، لأن مشيئته هى أن جميع البشر يعيشون أحراراً، إلا أنه مما لا يتفق مع مبادئ الإنجيل تحريض العبيد ليثوروا ضد سادتهم، ومع ذلك فإننا نجد فى رسالة الرسول بولس إلى فليمون فكر الله من جهة تحرير العبيد، لا بالعنف بل بالمحبة والسلام، لذا يحث الرسول بولس فليمون على أن يقبل أنسيمس العبد الآبق «لا كعبد فى ما بعد بل أفضل من عبد أخاً محبوباً ولا سيما إلىّ فكم بالحرى إليك فى الجسد والرب جميعاً فإن كنت تحسبنى شريكاً فاقبله نظيرى» (ع ١٦ و ١٧) وهذا نفس ما أشار إليه الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس «الدعوة التى دعى فيها كل واحد فليلبث فيها. دعيت وأنت عبد فلا يهمك. بل وإن استطعت أن تصير حراً فاستعملها بالحرى لأن من دعى فى الرب وهو عبد فهو عتيق الرب» (ص ٧: ٢٠ ـ ٢٢).

إن الأمر الصريح هو أن العبيد يطيعون سادتهم «بخوف ورعدة» أى الخوف من إهمال القيام بواجباتهم، فإن واجبهم يحتم عليهم أن يؤدوا أعمالهم بكل أمانة «فى بساطة قلوبهم» أعنى بكل إخلاص «كما للمسيح» وهذا ما يملأ قلوبهم

رضى وسروراً.

«لا بخدمة العين كمن يرضى الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس» (ع ٦و٧)

يمكننا القول بأن «خدمة العين» هى نوع من عدم الأمانة فى العمل، فإذا ما قام العامل بعمله عندما يرى أن صاحب العمل أو رئيسه يراقبه وذلك لكى يرضيه، ثم يهمل القيام بعمله عندما يبتعد عنه، فإنه فى هذه الحالة لا يكون أميناً فى القيام بواجبه. أما المؤمن الذى يعتبر أنه «عبد للمسيح» فإنه يمارس عمله بكل أمانة لا كمن «يرضى الناس» بل ليعمل «مشيئة الله من القلب» إنه يقوم بعمله بكل أمانة واجتهاد «بنية صالحة كما للرب ليس للناس» فهو يعمل عمله، مهما كان شاقاً، واضعاً نصب عينيه المسيح وليس الناس الذين يخدمهم، وهذا ما يجعل للخدمة، مهما كانت حقيرة فى نظر الناس، قيمة عظيمة فى نظر العامل كما هى فى عينى الله نفسه.

«عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حراً» (ع ٨)

للأمانة فى القيام بالعمل الذى يعينه الرب لكل واحد منا مجازاتها ومكافأتها من الرب نفسه، فالعبد الذى يطيع سيده أو العامل الذى يطيع رئيسه ويقوم بواجبه بأمانة وإخلاص لابد أن ينال المكافأة من الرب حتى ولو كان ذلك الرئيس لا يقدِّر أمانته وإخلاصه فى عمله، فإن الرب لن ينسى تلك الأمانة وذلك الإخلاص «لا تضلوا. الله لا يشمخ عليه. فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غل ٦:٧) فليتيقن كل مسيحى أمين فى عمله، مهما كان مركزه حقيراً فى هذا العالم، بأن للأمانة مجازاتها الصالحة فى الحياة الحاضرة والعتيدة أيضاً.

بعض الناس فى هذا العالم أغنياء والبعض فقراء. البعض سادة والبعض عبيد

أو خدم. البعض رؤساء والبعض مرؤوسون، كذلك البعض أمناء والبعض غير أمناء، ولكن كل هذه الفوارق ستزول ولا يبقى لها أثراً، وكل إنسان سيعطى حساباً أمام الله عن حياته التى عاشها فى هذا العالم. عندئذ سيسمع كثيرون من المؤمنين الأمناء، الذين كانوا فقراء ومجهولين فى هذا العالم، كلمات الرب المبهجة «نعماً أيها العبد الصالح والأمين كنت أميناً فى القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك» (مت ٢٥ :٢٣) فليتشجع وليتعزَ كل مؤمن عائش بالأمانة ولو كان مركزه حقيراً فى هذا العالم، عالماً «أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك سيناله من الرب». هل يعاملك رئيسك بدون تقدير لأمانتك؟ ثق بأن الله لن يغفل أو يهمل هذه الأمانة فلا يكافئك عليها. هل يقسو رئيسك عليك ويظلمك كما حدث ليوسف قديماً؟ (تك ٣٩) عش أمينا فى أداء عملك واثقاً بأن الله لابد أن يجازيك. «سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجرى. ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة. انتظر الرب واصبر له» (مز ٣٧:٥ ـ ٧).

«وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور تاركين التهديد عالمين
أن سيدكم أنتم أيضاً فى السموات وليس عنده محاباة» (ع ٩)

يختم الرسول بولس هذا الجزء الخاص بالعلاقات والواجبات المتبادلة فى البيت المسيحى بتوجيه النصح للسادة فلا يوجهه إلى طرف واحد بل إلى كل طرف فى البيت المسيحى، فإنه فى العلاقة الزوجية، كما يعظ النساء بأن يخضعن لرجالهن، كذلك يعظ الرجال بأن يحبوا نساءهم، وكما يعظ الأولاد بأن يطيعوا والديهم، كذلك يعظ الوالدين بأن لا يغيظوا أولادهم بل أن يربوهم بتأديب الرب وإنذاره، وهنا كما يعظ العبيد أو المرؤوسين بأن يطيعوا سادتهم (أو رؤساءهم) كذلك يعظ السادة (أو الرؤساء) بأن يكونوا لطفاء ومترفقين بعبيدهم (أو مرؤوسيهم).

«وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور». إن الرب الذى سيحاسب ويجازى العبيد هو بعينه الرب والسيد الذى سيحاسب ويجازى السادة أيضاً، وكل واحد منهم سينال إما المجازاة الحسنة أو العقاب المؤلم من الرب الذى هو سيد السادة

والعبيد على السواء. إنه سيد المرؤوس كما هو سيد الرئيس، فلا يليق بالسادة المؤمنين أن يعاملوا مرؤوسيهم بالتهديد كما ولا بالمواعيد الكاذبة.

وكلمات الرسول بولس هذه واضحة كل الوضوح فإنه يقول للسادة «افعلوا لهم هذه الأمور» أعنى نفس الأمور التى طلبها من العبيد، أى أنهم (أى السادة) يتعاملون مع عبيدهم (أو مرؤوسيهم) «كعبيد للمسيح عاملين مشيئة الله من القلب .. بنية صالحة كما للرب. عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب **عبداً** كان أم **حراً**» (ع ٥ ـ ٨). فإذا كانت الأمانة والإخلاص مطلوبين من العبيد فإنهما مطلوبان أيضاً من السادة، وكما أن العبد (أو المرؤوس) يجب أن يخدم بأمانة عاملاً ما فيه خير وفائدة مرؤوسيه، فلا يليق به أن يسود عليه بالقسوة أو التهديد بل باللطف والعطف. إن العنف أو القساوة هما من صفات الأشرار الذين لم يختبروا محبة الله ورحمته «الصِّديق يراعى نفس بهيمته. أما مراحم الأشرار فقاسية» (أم ١٢ : ١٠) فإن كان الصديق يشفق على بهيمته فكم بالأحرى يجب عليه أن يشفق على ابن آدم نظيره حتى ولو كان عبداً له؟ إن من واجب السادة أو الرؤساء أن يكونوا مترفقين بمن يخدمونهم، فلا يظلمونهم فى أجورهم أو فى أى حق من حقوقهم، كما لا يليق بهم أن يرهقوهم فى القيام بعمل فوق طاقتهم. يجب عليهم أن يعنوا بصحتهم وبكل ما فيه خيرهم وسلامتهم روحياً وجسدياً ومن كل وجه. ويا له من تحذير خطير يوجهه الرسول يعقوب إلى السادة! «هلمّ الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة .. هوذا أجرة الفعلة، الذين حصدوا حقولكم، المبخوسة منكم (أى الأجرة الزهيدة) تصرخ وصياح الحصادين قد دخل إلى أذنى رب الجنود» (يع ٥ :١ ـ ٤).

«عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً فى السموات وليس عنده محاباة» فكما أن سيدنا، تبارك اسمه، يعاملنا بالمحبة والرفق كذلك يجب على السادة المؤمنين أن يعاملوا مرؤوسيهم بنفس الكيفية التى يعاملنا بها الرب. فكما أن العبيد هم تحت سلطان ورئاسة سادتهم كذلك نحن أيضاً تحت سلطان ورئاسة ربنا وسيدنا الذى هو

الآن في السموات. وكما يحاسب الرئيس مرؤوسيه على ما عملوه كذلك نحن وكل السادة أو الرؤساء سنعطى حساباً أمام كرسي المسيح، فهو لابد أن يجازى السادة القساة كما سيجازى العبيد غير الأمناء، إذ «ليس عنده محاباة» إن من واجب جميع المؤمنين ـ السادة والعبيد أو الرؤساء والمرؤوسين أن يراعى كل منهم واجبه المسيحى، وإلا فإننا نكون سبب عثرة للبعيدين عن المسيح.

كم هو جميل أن نراعى أن هذه الرسالة تبدأ وتدور حول مقامنا السماوى كأعضاء في جسد المسيح المقام من الأموات والمُمجَّد عن يمين أبيه فى السماويات، وكيف أن الآب قد باركنا بكل بركة روحية فى السماويات في المسيح. ومع ذلك فإننا نجد بين أعضاء الجسد الواحد أشخاصاً فقراء فى هذا العالم يشغلون مركز عبيد لسادة قد يكون البعض منهم قساة وظالمين، ولكن شكراً لله الآب والرب يسوع المسيح على النعمة التى رفعتهم ورفعتنا جميعاً وعلى الرجاء المبارك الموضوع أمامنا، فإن العبد المسيحى سيكون مع المسيح ومثله فى المجد ـ سيكون العبد (فى الأرض) واحداً من الذين يرنمون الترنيمة الجديدة فى السماء قائلين .. «وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض» (رؤ ٥ : ١٠). ليت كلا منا يعيش بالأمانة للرب فى المركز الذى وضعه فيه هنا، منتظرين كلنا اللحظة السعيدة التى فيها يأتى الرب لينهى غربتنا فى هذا العالم ويوجدنا معه فى المجد الأبدى.

***

«أخيراً يا إخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته» (ع ١٠)

وصلنا الآن إلى الجزء الختامى من هذه الرسالة، وهو الخاص بالحرب الروحية مع قوات الظلمة التى تحاول دائماً أن تحرمنا من التمتع ببركاتنا الروحية التى بوركنا بها فى المسيح يسوع. فكما أن شعب الرب الأرضى قد أعطاهم الله أرض الموعد، الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً، وكان عليهم أن ينتصروا على أعدائهم الجبابرة لكى يمكنهم أن يمتلكوا الأرض عملياً ويتمتعوا بخيراتها، كذلك الأمر مع المؤمنين

الحقيقيين الآن، فإنهم، لكى يتمتعوا عملياً بكل بركة روحية، عليهم أن يجاهدوا للانتصار على قوات الظلمة التى تحاول حرمانهم من التمتع بهذه البركات السماوية.

يظن الكثيرون من المؤمنين خطأ أن أرض كنعان هى رمز للسماء التى يدخلها المؤمن بعد الموت، وأن نهر الأردن يرمز إلى الموت الجسدى، ولكن لدى التأمل فى هذا الموضوع نجد أن الأمر بعكس ذلك، فإنه بعد دخول الشعب أرض كنعان بدأت الحروب المتواصلة مع أعدائهم الذين قاوموهم بكل قواهم لمنعهم من التمتع ببركات تلك الأرض، فهل بعد انتهاء حياتنا من هذا العالم ودخولنا إلى السماء يكون هناك أعداء وتكون هناك حروب؟ إن كنعان، فى الواقع، هى رمز للبركات الروحية التى بوركنا بها فى المسيح ونحن هنا فى هذا العالم. ولكى نتمتع بهذه البركات يجب أن ننتصر على أعدائنا الروحيين - إبليس وأجناده الذين لا يكفون عن مقاومتنا ليحرمونا من التمتع بهذه البركات.

«أخيراً يا إخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته» يا لها من كلمات مشجعة لنا نحن المؤمنين! فإننا فى ذواتنا ضعفاء، وأعداؤنا أقوى منا بكثير ولكن لنا كل الكفاية فى الرب وفى **شدة قوته**، ومن المهم أن نتيقن بأن جميع المؤمنين، حتى ولو كانوا قد قبلوا الرب يسوع مخلصاً لهم من سنين كثيرة ولهم اختبارات وتدريبات روحية مباركة، فإنهم لا شئ فى ذواتهم، وأنهم بأنفسهم أو بقوتهم لا يستطيعون أن ينتصروا على أعدائهم. فليكن لنا جميعاً الإيمان بالرب والثقة فيه وفى شدة قوته. لقد رأينا فى تأملاتنا فى الأصحاح الأول (ع ١٩ و ٢٠) أن عظمة قدرة الله الفائقة نحونا نحن المؤمنين هى حسب عمل شدة قوته الذى عمله فى المسيح إذ أقامه من الأموات ... الخ، فالقوة التى لحسابنا الآن هى نفس القوة التى أقامت المسيح من الأموات وأجلسته عن يمين أبيه فى السموات، إننا فى ذواتنا ضعفاء كالوبار «طائفة ضعيفة ولكنها تضع بيوتها فى الصخر» (أم ٣٠:٢٦) فمهما كان الأعداء الروحيون جبابرة فإن قوتنا هى فى «الصخر» صخر الدهور. ولكى

نتقوى فى الرب وفى شدة قوته، علينا أن نمارس كل وسائط النعمة ـ أن نصلى كثيراً وأن ندرس كلمة الله ونلهج فيها باستمرار، كما يجب أن تكون لنا شركة مع المؤمنين الأتقياء ـ القديسين والأفاضل.

«**البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس**» (ع ١١)

تأملنا فى الأعداد السابقة فى البيت المسيحى، وكلما قرأنا تلك الأعداد الجميلة (ص ٥:٢٢ إلى ٦:٩) نجد أنفسنا فى جو لطيف مملوء بالبهجة والسلام. نعم كم هو جميل أن نقرأ فى تلك الأعداد عن العائلة المسيحية حيث الزوج والزوجة يعيشان معاً فى جو مشبع بالمحبة والوئام ولهما الهدف الواحد وهو مجد الرب يسوع المسيح، وحيث الأولاد يربون بتأديب الرب وإنذاره، وحيث السادة والعبيد يعرفون معاً مسئوليتهم للسيد الأعظم الذى عاش هنا على الأرض «كالعبد» ولكنه الآن السيد الممجد عن يمين الآب فى السموات، إلا أن الروح القدس ينقلنا فجأة من هذا المشهد الجميل والمبارك، مشهد البيت المسيحى إلى مشهد آخر يختلف عنه كل الاختلاف ـ إلى مشهد الحرب الروحية والجهاد المقدس مع إبليس وأجناده الكثيرين، لذا يحثنا الرسول على أن نلبس سلاح الله الكامل. وسنرى فى الأعداد التالية أجزاء هذا السلاح مذكورة بالتفصيل قطعة بعد قطعة.

فى الأصحاح الرابع من هذه الرسالة و(ع ٢٤) يحثنا الرسول على أن نلبس ما يليق بنا **كقديسين**، أما هنا فيحثنا على أن نلبس ما يليق بنا **كجنود** للرب يسوع ـ أن نلبس سلاح **الله** الكامل ـ السلاح الذى أعده الله نفسه «إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون» (٢كو ١٠:٤). إن سلاح الله الكامل هو الذى به **نقدر أن نثبت** ضد مكايد إبليس. هذه هى إرادة الله من نحو كل مؤمن، أن يكون **ثابتاً** «ضد مكايد إبليس». ولنلاحظ أن الروح القدس يشير هنا إلى الثبات ضد «**مكايد**» إبليس أكثر مما إلى **قوة** إبليس. لقد انتصر الرب يسوع على قوة إبليس كما على مكايده (أو حيله وأساليبه) ذلك لأنه عدو قد هُزم

بالصليب «لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس» (عب ٢:١٤) ويجب علينا أن ننظر إليه كعدو مهزوم. هذا ما أشار إليه الرسول يعقوب بقوله «قاوموا إبليس **فيهرب** منكم» (٤:٧) فمكايد إبليس هى التى يجب أن نثبت ضدها. إنه عدو مخادع «ولا عجب. لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور» (٢كو ١١:١٤). إنه عدو الله والمسيح وبالتالى هو عدو المؤمنين المدرّب على المكايد والمخادعات. إن له ما يقرب من ستة آلاف سنة يعمل فيها بحيله ومكايده، فقد ظهر أولاً لحواء فى الحية التى هى أحيل جميع حيوانات البرية، وهو للآن «الحية القديمة»، لكن شكراً لله الذى يقودنا فى موكب نصرته فى المسيح. إذن «لنلبس سلاح الله الكامل لكى نقدر أن نثبت ضد مكايد إبليس».

«فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات» (ع ١٢)

لا ريب فى أن الحروب التى تحدث بين البشر فى العالم، ولا سيما فى هذا العصر الذى كثرت فيه الاختراعات الجهنمية الفتّاكة، هى مروعة ومدمرة، ولكن القول هنا بأن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، أى ليست مع البشر المنظورين مثلنا، يرينا بأن الحرب الروحية مع قوات الظلمة غير المنظورة هى أشد وأقسى، فإن الحروب البشرية هى بين إنسان وإنسان أو بين جيش وجيش، أو بين طائرات وطائرات وما إلى ذلك، بينما الحرب الروحية هى ضد إبليس وأجناده. إنها حرب ضد مملكة الظلمة الكبيرة «مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات» ولا يمكننا أن ننتصر على هؤلاء الأعداء إلا إذا لبسنا «سلاح الله الكامل». إن أعداءنا الروحيين هؤلاء يعملون بلا هوادة ولا مهادنة على حرماننا من العيشة لمجد الرب سيدنا وبالتالى من التمتع ببركاتنا الروحية السماوية. فمصارعتنا مع قوات الظلمة هى أقسى وأشد من المصارعة مع اللحم والدم إذ أن إبليس وكل مملكته مجندون باستمرار ضدنا نحن

المؤمنين، ومن يجهل هذه الحقيقة يعرّض حياته الروحية للأذى والخطر.

في رسالة بطرس الرسول الأولى، حيث يرى المؤمنون «كغرباء ونزلاء» في هذا العالم (ص٢:١١) يحثهم الرسول على التعقل والصحو «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصكم كأسد زائر يجول (في الأرض) ملتمساً من يبتلعه هو» (ص٥:٨). أما هنا في رسالة أفسس فإن أعداءنا يرون «في السماويات» حيث المؤمنون قد بوركوا «بكل بركة روحية في **السماويات** في المسيح» (١:٣) المسيح الذى قد تمجد عن يمين أبيه «في**السماويات**» (ص١:٢٠) وهم (أي المؤمنون) قد أجلسوا معاً «في السماويات في المسيح» (ص٢:٦)، حيث الرؤساء والسلاطين «في **السماويات**» يتعلمون بواسطتهم (أي بواسطة الكنيسة) حكمة الله المتنوعة. فالحرب الروحية إذن هي مع «رئيس سلطان الهواء» وأجناده غير المنظورين (ص٢:٢). ولكن شكراً لله على معدات النعمة الغنية، فإن كنا لسنا كفاة من أنفسنا لمواجهة هؤلاء الأعداء الروحيين ولكن كل الكفاية هي في الرب يسوع وفي شدة قوته ـ هذا الذى به «يعظم انتصارنا».

«من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا
في اليوم الشرير وبعد أن تتمموا كل شئ أن تثبتوا» (ع ١٣)

يكرر الرسول الإشارة إلى أهمية «سلاح الله الكامل» ففي (ع ١١) يقول «البسوا سلاح الله الكامل» وهنا في هذا العدد يكرر ذلك بقوله «احملوا سلاح الله الكامل» ذلك لأن كل أجناد مملكة الظلمة مصطفون ضدنا، لذلك يكرر الرسول الحث على أن نحمل السلاح كله «سلاح الله الكامل»، هذا السلاح الذى لا يمكن لقوتنا الذاتية أو لحكمتنا الجسدية أن تحل محله أو تُغني عنه. إن مسئولية كل مسيحي حقيقي هي أن يلبس سلاح الله الكامل وأن يحمله باستمرار. وهنا يجب أن نراعي أن هناك فرقاً كبيراً بين لبسنا سلاح الله الكامل وبين اللباس الذى أعده الله لنا بنعمته الغنية. فإن كل واحد منا وضع ثقته في الرب يسوع وفي كفاية عمله لأجله فوق الصليب قد صار «بر الله فيه» أي في المسيح. لقد ألبسه الله

أعظم حلة «الحلة الأولى». هذا هو مركزنا أمام الله فى المسيح. وهذه الحلة أو هذا اللباس لا نضعه نحن على أنفسنا لأن الله هو الذى ألبسنا إياه، أما عند الحرب أو المصارعة فإن واجبنا نحن هو أن نلبس كل جزء من أجزاء هذا السلاح.

وليُصغ كل مؤمن حقيقى إلى قول الرسول هنا «احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى **اليوم الشرير**». لا شك أنه مادامت رحى الحرب الروحية دائرة باستمرار وفى كل مدة وجودنا فى هذا العالم، فإن هذه المدة ينطبق عليها القول «اليوم الشرير» ولا سيما من بعد صلب ربنا يسوع المسيح حيث سُمى العدو إبليس «رئيس هذا العالم».

فى الأصحاح الخامس من هذه الرسالة يحث الرسول المؤمنين على السلوك بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت «لأن **الأيام شريرة**» أما هنا فالتحذير أقوى وأشد أى يجب أن نحمل سلاح الله الكامل لكى نقدر أن **نقاوم** «فى اليوم الشرير». ومع أن زمان الحرب والمصارعة، أعنى كل مدة وجودنا فى هذا العالم، يمكن أن يوصف بأنه «اليوم الشرير» إلا أن هناك أوقاتاً خاصة فيها يختبر المؤمن فردياً قوة الحرب الروحية عليه وشدة مقاومة العدو العنيفة له بصور مختلفة. وعندئذ يكون الخطر عظيماً إذا لم يكن صاحياً وحاملاً السلاح الكامل. ووقت كهذا يمكن أن يقال عنه بحق بأنه «اليوم الشرير» ويجب أن نراعى بأنه من واجبنا أن نكون مستعدين ومهيئين لمثل هذه الظروف القاسية أو ذلك «اليوم الشرير» من قبل. فليس واجبنا هو أن نلبس سلاح الله الكامل عندما يجئ يوم شرير كهذا بل أن نكون لابسين هذا السلاح باستمرار حتى لا يفاجئنا العدو بقوته بل بالحرى نقدر أن نقاومه وننتصر عليه.

ثم لنراع قوله «وبعد أن تتمموا كل شئ أن تثبتوا» أى بعد أن تفوزوا بالنصر فى «اليوم الشرير» يجب أن تستمروا حاملين سلاح الله الكامل ومستعدين لأى هجوم آخر يفاجئكم به العدو، ذلك لأننا عند كسب المعركة الروحية معرضون للإعجاب بأنفسنا والثقة فى ذواتنا والاستناد على قوتنا، وفى ذلك كل الخطر

على حياتنا الروحية. يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن انتصاراتنا الروحية لا تعنى أن الحرب قد انتهت. إنها حرب متواصلة ما دمنا هنا فى هذا العالم، ولكن شكراً لله فإنه بعد قليل سيأتى الرب من السماء ليأخذنا للمجد فى بيت الآب، وهناك لا تكون حرب أو جهاد بل سجود وابتهاج، فبدل لبس السلاح سنلبس هناك الأكاليل، وبدل الجهاد ستكون الراحة المجيدة فى السما.

***

«فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع *البر*» (ع ١٤)

الجزء الأول من سلاح الله الكامل :

يتحدث الرسول هنا وفى الأعداد التالية عن سلاح الله الكامل بالتفصيل فيذكر كل جزء من أجزائه قطعة بعد قطعة فيشير أولاً إلى المنطقة «فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق» إن أول شئ يجب أن يلبسه الجندى المسيحى هو منطقة الحق، والمقصود بالحق هنا هو كلمة الله، إذ لا يستطيع أن يكون ثابتاً غير متزعزع إلا إذا كان ممنطق الحقوين بكلمة الله. هذا ما يحتاج إليه المؤمنون فى هذه الأيام بصفة خاصة، فإن كثيرين من المؤمنين يهملون قراءة كلمة الله والتغذى بها واللهج فيها مفضلين عليها قراءة الكتب والقصص العالمية، لذا تجدهم ضعفاء روحياً - تراهم بلا قوة أو همة روحية وبالتالى مهزومين فى حياتهم الروحية. يقول الرسول بطرس «منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين» (١بط ١: ١٣) وهذا معناه أن كلمة الله يجب أن تهيمن على ذهن المسيحى الحقيقى، وبذا يُحفظ من الأفكار الخاطئة ومن التعاليم الغريبة المؤذية لحياته الروحية.

وكما أن المنطقة على حقوى الإنسان تكسب جسده قوة ونشاطاً كذلك درس كلمة الله فإنه يقوى وينشط إنساننا الباطن. ليتنا نمنطق أحقاءنا دائماً بالحق الإلهى «فلا نكون فى ما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شئ إلى ذاك

الذى هو الرأس المسيح» (ص ٤:١٤و١٥).

متى يخلع الجندى منطقته؟ أليس عند النوم؟ وهل يليق به أن ينام وهو فى ساحة الوغى؟ ما أخطر هذا! لقد نام سيسرا قائد جيش أعداء الرب فقتلته امرأة (قض ٤). أيها الأحباء «جميعكم أبناء نور وأبناء نهار. لسنا من ليل ولا ظلمة. فلا ننم إذاً كالباقين بل لنسهر ونصحُ» (١تس ٥:٥ و ٦).

إن مجئ الرب أصبح قريباً فلنصغ إذاً لقول الرب المبارك «لتكن أحقاؤكم ممنطقة» (لو ١٢:٣٥).

الجزء الثانى من سلاح الله الكامل :

«ولابسين درع البر» والبر هنا ليس هو «بر الله» الذى صرناه فى المسيح يسوع (٢كو ٥:٢١) فإن هذا البر هو ما احتجنا إليه فى علاقتنا مع الله بينما «درع البر» هو ما نحتاج إليه باستمرار للنصرة فى مصارعتنا مع إبليس وكل أجناده. إننا لا نُلبس أنفسنا «بر الله» فإن الله هو الذى ألبسنا إياه، أما «درع البر» المذكور هنا فإن الله يطلب منا أن نلبسه «لابسين درع البر».

وكما أن الروح القدس يرينا فى الجزء الأول من أجزاء سلاح الله الكامل أى «منطقة الحق» حاجتنا إلى تطبيق كلمة الله على حياتنا العملية وكيف يجب أن تُكيِّف هذه الكلمة كل طرقنا، كذلك يرينا فى الجزء الثانى من أجزاء هذا السلاح أعنى «درع البر» حاجتنا إلى أن تكون حياتنا حياة البر العملى، وهذان الجزءان مرتبطان معاً إذ متى كنا ممنطقين بحق الكلمة الإلهية فإن ذلك يثمر فينا ثمر البر العملى. ولنراع أن لا شئ يفقدنا الضمير الصالح ويعرِّض حياتنا للهزيمة نظير إهمال السلوك فى البر العملى. إن عدم لبس «درع البر» يعطى للعدو منفذاً للقلب والضمير لذا يجب على كل المؤمنين الحقيقيين الذين قد تبرروا مجاناً بالفداء الذى بيسوع المسيح أن يحيوا حياة البر العملى «قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله» (رو ٣:٢٤ ، ٦:١٣).

«وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام» (ع ١٥)

الجزء الثالث من سلاح الله الكامل :

المقصود باستعداد إنجيل السلام هو السلوك العملى المطابق لتعليم إنجيل الله «عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح» (فى ١ :٢٧) فإنه لا يكفى أن نشهد بأفواهنا بأن إنجيل المسيح «هو قوة الله للخلاص» وبأنه صار لنا نحن المؤمنين «سلام مع الله» وهذا حسن وجميل حقاً ولكن يجب أن نُظهِر ذلك عملياً فى سلوكنا. كذلك يجب أيضاً أن نحمل، بكافة الوسائل، إنجيل السلام للنفوس المحرومة من السلام مع الله. فعلينا من الناحية الواحدة أن نُظهِر قوة إنجيل السلام فى حياتنا العملية، ومن الناحية الأخرى نحمل بشارة النعمة والسلام إلى النفوس البعيدة عن الله. هاتان الناحيتان قد ظهرتا بكل وضوح فى حياة الرسول بولس وفى خدمته للإنجيل، فمن حيث الحياة العملية كانت حياته شهادة ناطقة لقوة الإنجيل وكذلك من حيث خدمته للإنجيل كانت له الرغبة الصادقة فى توصيل الإنجيل للبعيدين «لليونانيين والبرابرة للحكماء والجهلاء» (رو ١ :١٤ و ١٥).

أيها القارئ العزيز، إن إنجيل ربنا يسوع المسيح هو «إنجيل السلام» فهل نلت هذا السلام مع الله ـ السلام المؤسس على موت ربنا يسوع المسيح فوق الصليب وقيامته من الأموات؟ هذا هو أساس الله الراسخ الذى عليه يستريح الضمير المتعب وتجد النفس السلام الحقيقى مع الله. بعد أن رش دم خروف الفصح على أبواب شعب الرب القديم فى أرض مصر، واحتمى الشعب من سيف الملاك المُهلك وبذا صار لهم أمن تام وسلام كامل، أمرهم الرب بأن يأكلوا من خروف الفصح قائلاً «هكذا تأكلونه. أحقاؤكم مشدودة» (خر ١٢ :١١) ليت القارئ العزيز يكون قد استراح على ما عمله حمل الله ـ المسيح فصحنا الذى ذبح لأجلنا ـ هذه هى الراحة التى أعلنها بكل وضوح إنجيل السلام.

«حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة» (ع ١٦)

الجزء الرابع من سلاح الله الكامل :

كلمة ترس لا ترد فى كل العهد الجديد إلا فى هذا العدد فقط ولكنها ترد مراراً عديدة فى العهد القديم، وهى تعنى، فى لغة الكتاب المقدس، أن الله هو ترس لأولاده الواثقين فيه والمحتمين به. وأول مرة ذكرت فيها كلمة «ترس» كانت عندما قالها الله نفسه لإبراهيم بعد انتهاء الحرب بينه وبين الملوك الذين حاربوا ملك سدوم وحلفاءه، إذ قيل «بعد هذه الأمور (أى بعد الحوادث المذكورة فى تكوين ١٤) صار كلام الرب إلى أبرام فى الرؤيا قائلاً. لا تخف يا أبرام. أنا ترس لك أجرك كثير (أو الكثير[1]) جداً» (تك ١:١٥) فقد كان هذا الإعلان موافقاً لحالة وحاجة عبده إبراهيم حتى لا يتسرب الخوف إلى نفسه، الخوف من أى هجوم من أولئك الأعداء أو غيرهم عليه. وإذا كان الله ترساً لنا فليس هناك ما يدعو إلى الخوف من هجمات الشر أو الشياطين ضدنا، لأن ترسنا فيه كل الكفاية لحمايتنا من سهام الشرير الملتهبة.

والمرة الثانية التى ترد فيها كلمة «ترس» هى فى النشيد الذى علمه موسى رجل الله لشعب الرب قبيل موته «الإله القديم ملجأ والأذرع الأبدية من تحت. فطرد من قدامك العدو وقال أهلك .. طوباك .. من مثلك يا شعباً منصوراً بالرب **ترس عونك** وسيف عظمتك فيتذلل لك أعداؤك وأنت تطأ مرتفعاتهم» (تث ٢٧:٣٣ ـ ٢٩) يا له من وعد جميل لشعب الرب! فالله نفسه هو ترس لحماية أولاده من كل سهام الشرير الملتهبة. فهل لنا الإيمان الذى ينتظر الرب ويثق فيه؟ «أنفسنا انتظرت الرب. معونتنا وترسنا هو» (مز ٢٠:٣٣) «لأن الرب الله شمس ومجن (أى ترس). الرب يعطى رحمة ومجداً» (مز ١١:٨٤) «ترس هو لجميع

(1) "I am thy shield, and thy exceeding greet reward".

المحتمين به» (٢صم ٢٢:٣١) كل هذه الأقوال وغيرها ترينا أن الله نفسه هو ترس لكل شعبه.

على أن واجبنا هو أن نحمل هذا الترس في كل حين «حاملين فوق الكل ترس الإيمان» أي أن يكون لنا الإيمان الذي يثق في الرب ويستند عليه في كل الظروف. هذا الإيمان الذي به، وليس بقوتنا الذاتية، نقدر أن نطفئ سهام الشرير الملتهبة. إنها سهام نارية ولكن ترس الإيمان أقوى، فعندما نضع ثقتنا في ربنا المبارك ونستند عليه وعلى قوته بكل قلوبنا فإنه، تبارك اسمه، يصد عنا هجمات العدو. إنه ترس الإيمان الذي يطفئ تلك السهام قبل أن تصل إلينا أو تمسنا بأذى. ليتنا نحمل «ترس الإيمان» في كل حين فنضمن لأنفسنا النصرة الروحية «ويعظم انتصارنا بالذي أحبنا».

«وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله» (ع ١٧)

الجزء الخامس من سلاح الله الكامل :

خذوا أي اقبلوا أو تناولوا هذه العطية «خوذة الخلاص» من يد الله المعطي. إن الرأس هي مركز الفهم والإدراك والتفكير، وأي أذى يلحق الرأس له خطورته وله تأثيره على بقية أعضاء الجسم، لذا تحتاج الرأس إلى الحماية مما تتعرض له من أذى أو ضرر. ونشكر الله لأنه أعد للمسيحي المجاهد «خوذة الخلاص» لحمايته من هجمات إبليس وكل أجناده.

وخوذة الخلاص للمؤمن هي يقينه بخلاصه المؤسس على ذبيحة ربنا يسوع المسيح، والخلاص ليس شيئاً وهمياً أو خيالياً ولكنه يقيني. والإنسان الذي نال هذا الخلاص قد أدرك وأيقن تماماً بأن الله قد خلّصه. قد لا يكون قادراً أن يجيب على الأسئلة الكثيرة التي يوجهها إليه الملحدون أو العصريون وغيرهم ممن ينكرون وحي الكتب المقدسة، ولكن لا توجد قوة بشرية أو شيطانية تستطيع أن تسلب منه يقينه بخلاصه وبغفران خطاياه إن كان قد أخذ خوذة الخلاص التي تصون رأسه

وأفكاره.

بعد أن فتح الرب عينى الرجل المولود أعمى حاول الفريسيون بأسئلتهم الكثيرة أن يبعدوه عن المسيح. ومع أنه لم يستطع أن يجيب على كل أسئلتهم فكان يقول لهم «لست أعلم» ولكنهم لم يستطيعوا أن يزحزحوه عن معرفته بشئ واحد كان يعلمه جيداً فقال لهم «أعلم شيئاً واحداً أنى كنت أعمى والآن أبصر» (يو ٩: ٢٥). كذلك الرسول بولس، فقد أقر بأنه لا يعرف كل الأشياء «لأننا نعلم بعض العلم .. فإننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز» (١كو ١٣: ٩ و ١٢) ولكن أعداء الإنجيل لم يستطيعوا أن يزحزحوه عن إيمانه بالرب ويقينه فيه، وهذا واضح من قوله «لست أخجل لأننى عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم» (٢تى ١: ١٢) لقد أخذ الرسول بولس خوذة الخلاص. فهل أخذت أيها القارئ المحبوب هذه الخوذة؟ إذا تطرق الشك إلى نفسك من جهة خلاصك فإنك لا تستطيع أن تثبت بيقين كامل أمام العدو. أما يقين الخلاص فإنه يزحزح من أمامك الخوف من الدينونة ويملأك فرحاً بالمخلص نفسه.

يشير الرسول بولس إلى الخوذة فى رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى (ص ٥: ٨) «وأما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هى رجاء الخلاص» فالخلاص لا يشمل الماضى فقط بل الحاضر والمستقبل أيضاً، فهو خلاص من قصاص الخطية ودينونتها وكذلك من قوتها أيضاً هذا هو تعليم كلمة الله. إنها تعلّم بأننا خلصنا بالنعمة «بالنعمة أنتم مخلصون» (أف ٢: ٨) وأننا فى الحاضر «نخلص بحياته» (رو ٥: ١٠) وأننا سنخلص فى المستقبل (القريب) بمجئ الرب من السماء ليأخذنا لمجده «فإن سيرتنا نحن هى فى السموات التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شئ» (فى ٣: ٢٠ و ٢١). فالمؤمن الحقيقى يستطيع أن يتمتع بالسلام الكامل واثقاً أن المسيح بموته قد خلّصه، وبحياته يحفظه وبمجيئه ثانية بمجده معه إلى الأبد «واثقاً

بهذا عينه أن الذى ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح» (فى ١:٦). إن نصرتنا وأمننا وسلامتنا الروحية تتوقف على لبس خوذة الخلاص فى كل حين وفى جميع الظروف. إنها (أى خوذة الخلاص) عطية إلهية فليتنا نلبى نداء الروح القدس فى قوله «خذوا خوذة الخلاص».

الجزء السادس من سلاح الله الكامل :

«وسيف الروح الذى هو كلمة الله» إن كل أجزاء السلاح الخمسة التى تأملنا فيها هى أسلحة دفاعية، أعنى لوقايتنا من مكايد إبليس وأجناده، أما الجزء السادس أي «سيف الروح» فهو ليس لصد هجمات ذلك العدو بل للانتصار عليه. وليس المقصود بالسيف هنا هو الروح القدس بل كلمة الله التى أوحى بها الروح القدس لكتبة الأسفار الإلهية، وليست هذه هى المرة الوحيدة التى فيها يشار إلى كلمة الله بأنها السلاح الذى أعطاه الله للمؤمنين، فإننا نقرأ فى الرسالة إلى العبرانيين بأن «كلمة الله حية وفعّالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته» (ص ٤:١٢).

إنه لا توجد أعمال أو مكايد شيطانية أو قوات جهنمية لا تستطيع كلمة الله أن تحطمها وتبددها وتنتصر عليها. لما كتب الرسول يوحنا، وهو فى منفاه فى جزيرة بطمس عن الرب، قال «وسيف ماضٍ ذو حدين يخرج من فمه» (رؤ ١:١٦). إن سيف الرب الظافر هو كلمته التى لا يمكن أن تُقاوَم. فهو الذى يقول فيكون. فكلمة تخرج من شفتيه تُسقط أعداءه على وجوههم. لقد قال، له المجد، بروح النبوة قبل تجسده بنحو سبعمائة سنة «جعل فمى كسيف حاد» (إش ٤٩:٢).

إن السيف هو كلمة الله ـ الكتاب المقدس الذى أظهر قوته وسلطانه فى كل الأجيال. فكم من البركات التى قدمها هذا الكتاب للبشر فى كل العصور. لقد انتصرت كلمة الله وأخضعت لسلطانها الملايين العديدة من الناس فى كل القرون

وإلى الآن وستظل كذلك إلى النهاية. كما كانت سلاح خدام الله فى العهدين القديم والجديد فأحرزوا نصرات مجيدة ومباركة، ذلك لأنهم كانوا عشراء محبين لكلمة الله ـ كان لها مكانها فى عقولهم وفى قلوبهم. وكانوا هم أجناداً أمناء للمسيح فواجهوا العدو بنفس السلاح الذى استعمله الرب نفسه، فالرب يسوع واجه العدو فى البرية بهذا السلاح الإلهى «مكتوب .. مكتوب .. مكتوب» (مت٤ : ١ ـ ١١) وقريباً سيجئ الوقت الذى ستكون النصرة الأخيرة فيه بواسطة «سيف الروح» كما هو مكتوب عن الرب يسوع «ومن فمه يخرج سيف ماضٍ لكى يعذب به الأمم وهو سيرعاهم بعصاً من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شئ، وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤ ١٩: ١٥و ١٦).

إننا بهذا السيف عينه نستطيع أن ننتصر على إبليس وكل قوات الظلمة. لأن كلمة الله هى السيف الذى أعطاه الروح القدس لنا لنظفر به على كل أعدائنا الروحيين.

«مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين» (ع ١٨)

الجزء السابع من سلاح الله الكامل :

الصلاة هى الجزء السابع من أجزاء سلاح الله الكامل، ومع أن كل جزء من أجزاء السلاح الستة التى تأملنا فيها له قيمته وأهميته ولكن القيمة العظمى هى للصلاة، إذ أنها تجعل الجندى المسيحى على اتصال دائم بالقائد الأعظم الرب يسوع المسيح «رئيس جند الرب» فإنه ليست لنا قوة فى ذواتنا ولا نستطيع بقوتنا أن ننتصر على أعدائنا، لذا نحتاج أن نكون فى صلة دائمة بالرب الذى هو أقوى من العدو والذى يحارب حروبنا ويضمن لنا النصرة «لنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه» (عب ٤: ١٦).

(أ) «مصلين بكل صلاة وطلبة» أى الصلاة لأجل كل النواحى والأمور التى

تحتاج إلى الصلاة، وما أكثر النواحى التى تحتاج إلى التضرعات أمام الله! إن كلمتى «بكل صلاة» تتضمنان الصلاة الفردية والصلاة العائلية. الصلاة السرية والصلاة الجهارية.

(ب) «كل وقت» فقد قال الرب له المجد «ينبغى أن يصلّى كل حين ولا يُملْ» (لو ١٨:١) ذلك لأننا فى حاجة مستمرة إلى الصلاة، إذ أن العدو لا يكف عن مقاومتنا. إن الخطأ عند الكثيرين هو أنهم يصلون فى وقت الشدائد والتجارب فقط، ولكن واجبنا هو أن نصلى كل وقت فإن ذلك يجنبنا أخطاراً وتجارب متنوعة، لذا يجب أن تكون صلتنا بالله مستمرة إذ أن حاجتنا إليه ليست بأقل من حاجتنا إلى الهواء الذى نستنشقه. إننا نتنفس باستمرار، ولا يمكن لأجسادنا أن تتوقف عن التنفس لحظة واحدة، هكذا من الناحية الروحية فإننا لا يمكن أن نحيا الحياة الحقيقية بدون الصلاة. صحيح أنه ليس ممكناً أن نكون راكعين على ركبنا باستمرار للصلاة ولكن من واجبنا بل هو امتيازنا أن نكون فى روح الصلاة - أن تكون فى صلة مستمرة مع إلهنا. إن الصلاة تمدنا بقوة من السماء أعظم من قوة كل الأعداء الذين ضدنا. يقول الرسول بولس «صلوا بلا انقطاع» (١تس ١٧:٥) فلندرب أنفسنا على أن نكون فى اتصال دائم بإلهنا وأبينا مصدر القوة.

(جـ) «فى الروح» كما أن كلمة الله هى «سيف الروح» كذلك يجب أن تكون صلواتنا بعمل وقيادة الروح القدس. إن الصلاة كل وقت «فى الروح» هى الصلاة طبقاً لفكر وإرادة الروح الساكن فينا نحن المؤمنين، ولا يستطيع أن يصلى «فى الروح» إلا كل من ولد من الروح القدس وكان فى حياته العملية منقاداً بالروح. أما إذا لم نكن مصلين فى الروح فخير لنا أن لا نصلى صلوات جسدية ينطبق عليها قول الرسول يعقوب «تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون ردياً لكى تنفقوا فى لذاتكم» (يع ٤:٣) إن من

وسائل البنيان والنمو فى الحياة الروحية هو أن نكون «مصلين فى الروح القدس» (يه ٢٠).

(د) «ساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين». إن هذا ما نحتاج أن نراعيه باستمرار، فإن الكسل والتهاون والتراخى فى الصلاة يعطى للعدو منفذاً إلى حياتنا. لقد نام التلاميذ فى الوقت الذى كان يجب أن يكونوا فيه ساهرين ومصلين لذا قال لهم الرب «أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة» (مت ٢٦: ٤٠ و ٤١) وما أكثر التحريضات التى فى كلمة الله عن أهمية ولزوم السهر والمواظبة على الصلاة.

وما أوسع دائرة الصلاة! فإنها ليست قاصرة على ذواتنا وعلى احتياجاتنا الفردية فقط بل يجب أن تشمل «جميع القديسين». إن جميع المؤمنين هم أعضاء فى الجسد الواحد، وفى الوقت نفسه هم هدف العدو الواحد رئيس سلطان الهواء وأجناد الشر الروحية لذا نحن فى حاجة أن نسند بعضنا بعضاً أمام عرش النعمة. هذه هى خدمة الشفاعة المباركة - أى أننا نصلى لأجل شعب الرب أفراداً وجماعات - الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم - فى الوطن وفى كل أقطار المسكونة، وبقدر ما تتسع دائرة الصلاة بهذا القدر عينه يزيد تمتعنا بالرب الذى نسكب قلوبنا أمامه لا لأجل أنفسنا فقط بل «ولأجل جميع القديسين».

«ولأجلى لكى يعطى لى كلام عند افتتاح فمى لأعلم جهاراً بسر الإنجيل الذى لأجله أنا سفير فى سلاسل. لكى أجاهر فيه كما يجب أن أتكلم» (ع ١٩ و ٢٠)

تتبين هنا أهمية الصلاة لأجل الآخرين، فلم يكتف الرسول بولس بأن يطلب من المؤمنين فى أفسس بأن يصلوا لأجل جميع القديسين، بل طلب منهم أن يصلوا

أيضاً لأجله هو. لقد كان الرسول يصلى لأجل جميع المؤمنين ـ لأجل الأفراد كما لأجل الكنائس ـ لأجل الذين رآهم وكرز بينهم كما أنه صلى لأجل القديسين الذين لم يكن قد رآهم بعينيه، وقد رأينا فى تأملاتنا فى هذه الرسالة أنه صلى لأجل القديسين فى أفسس مرتين (ص ١ ، ٣) وأن كل صلاة منهما لها قيمتها العظمى، ومع ذلك فقد عرف الرسول حاجته هو شخصياً إلى صلوات أولئك المؤمنين لأجله. ومن ذا الذى يستطيع أن يقدِّر قيمة البركات التى ينالها القديسون بصفة عامة ومن يكرزون بالإنجيل بصفة خاصة بسبب صلوات المؤمنين لأجلهم؟ إن الأبدية سترينا كم كان لصلوات المؤمنين لأجل بعضهم البعض ولأجل خدام الإنجيل من ثمار مباركة. إن كاتب هذه السطور مدين كثيراً لصلوات القديسين فى جهات عديدة لأجله. فكم من المرات جاز فى أمراض قاسية وشديدة ولكن الرب رحمه منها استجابة لشفاعات وتوسلات المؤمنين لأجله، ولا ينسى ما ناله من معونات إلهية فى خدمته البسيطة استجابة لصلوات القديسين لأجله. لقد قال مرة أحد الإخوة فى بلد أجنبى بأنه منذ رآه من خمس عشرة سنة لم يمر يوم واحد دون أن يصلى لأجله، وقال آخر «إننى منذ رأيتك أقول للرب يومياً : احفظ هذا الإناء الضعيف ليواصل الخدمة التى ائتمنته عليها». إن من يصلى لأجل خدام الرب هو شريك لهم فى خدمتهم وفى المجازاة التى ينالونها أمام كرسى المسيح. ليتنا نصلى باستمرار وبلجاجة لأجل جميع العاملين فى كرم الرب.

لم يطلب الرسول بولس من المؤمنين أن يصلوا لأجله لكى تُفَك قيوده ويطلق سراحه من سجن رومية بل لكى يُعطَى له كلام عند افتتاح فمه، وهذا ما يحتاج إليه كل خادم للإنجيل. إنه فى حاجة دائمة إلى صلوات إخوته المؤمنين لكى يعطيه الرب كلاماً عند افتتاح فمه ليجاهر «بسر الإنجيل» ـ الإنجيل الذى هو عطية الله للبشر، وواجب الخادم الأمين لإنجيل المسيح هو أن يجاهر به لا بحكمة إنسانية بل «كما يجب أن يتكلم» وفى هذا يحتاج إلى تعضيد إخوته المؤمنين له بالصلوات المستمرة.

وليس المقصود «بسر الإنجيل» أنه شئ غامض بل أنه بالحرى يتضمن مشورات النعمة الغنية التى كانت قبلاً مجهولة ولكن الله أعلنها فى ابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح وفى صليبه.

«الذى لأجله أنا سفير فى سلاسل» فمع أن الرسول بولس كان أسير فى سجن رومية ومقيداً بالسلاسل، ولكنه يعتبر نفسه أنه «سفير» لأجل الإنجيل. إنه لا ينظر إلى أسرهِ من ناحية إنسانية ـ أعنى كمن أسرته الدولة الرومانية، بل من ناحية إلهية فيذكر مرتين فى هذه الرسالة أنه «أسير المسيح يسوع» (ص ٣: ١) وأنه «الأسير فى الرب» (ص ٤: ١).

إن سفراء الدول الأرضية يفتخرون بما نالوه من ألقاب وما يحملونه من أوسمة ونياشين يزينون بها صدورهم، أما أوسمة الرسول بولس فقد كانت سماوية. إنها السلاسل التى كان مربوطاً ومقيداً بها. وحسناً قال واحد من القديسين «إن الله سوف لا ينظر إلى ما نلناه من شرف عالمى أو أوسمة أو نياشين أرضية بل إلى ما حملناه فى أجسادنا من سمات آلام ربنا يسوع المسيح وإلى ما تحملناه من مشقات من أجل الاسم الحسن الذى دعى علينا».

«ولكن لكى تعلموا أنتم أيضاً أحوالى ماذا أفعل يعرفكم بكل شئ تيخيكس الأخ الحبيب والخادم الأمين فى الرب الذى أرسلته إليكم لهذا بعينه لكى تعلموا أحوالنا ولكى يعزى قلوبكم» (ع ٢١ و ٢٢)

يشهد الرسول بولس عن تيخيكس شهادتين جميلتين وهما أنه «الأخ الحبيب» وأنه «الخادم الأمين فى الرب» ومع أنه يذكر عنه نفس هاتين الصفتين الطيبتين فى الرسالة إلى أهل كولوسى إلا أنه هناك يضيف إليهما صفة أخرى وهى أنه «العبد معنا فى الرب» (كو ٤: ٧) وكم هو جميل أن تظهر هذه الصفات الحسنة فى جميع المؤمنين وبصفة خاصة فى خدام الرب، فإن الجمع بين هذه الصفات الحسنة ولا سيما المحبة للقديسين والأمانة فى الخدمة للرب يحتاج إلى نعمة من الله وإلى حكمة

سماوية، فإنه من الخطر الذى قد يتعرض له خادم الرب أنه لأجل الاحتفاظ بالمحبة الأخوية أعنى محبته للقديسين ومحبة القديسين له قد يتهاون فى الخدمة الأمينة للرب التى تستلزم، فى كثير من الحالات، الصراحة الواجبة للتمسك بالحق والمجاهرة به.

لقد عرف الرسول بولس أشواق القديسين فى أفسس إليه ورغبتهم فى معرفة أحواله لذلك أرسل إليهم تيخيكس حاملاً هذه الرسالة إليهم، وفى نفس الوقت لكى يعرفهم أحواله ولكى يعزى قلوبهم، وقد كان تيخيكس أميناً فى توصيل هذه الرسالة للقديسين فى أفسس وبالتالى إلينا وإلى كنيسة المسيح فى كل الأجيال، فكانت لتعزية قلوبهم كما لقلوبنا وقلوب جميع المؤمنين بما تضمنته من حقائق وإعلانات سماوية. وخدمة تيخيكس هذه أثبتت بأنه كان حقاً «الأخ الحبيب، والخادم الأمين فى الرب».

«سلام على الإخوة ومحبة بإيمان من الله الآب والرب يسوع المسيح» (ع ٢٣)

لنلاحظ أنه لا ترد فى خاتمة هذه الرسالة تسليمات لأفراد من القديسين كما فى معظم الرسائل الأخرى وذلك لأن هذه الرسالة موجهة إلى القديسين باعتبارهم «جسداً واحداً» أعنى إلى «الكنيسة التى هى جسده» كما أن غاية الروح القدس فيها أن تقرأ لا فى أفسس فقط بل وفى غيرها أيضاً.

«سلام على الإخوة» ذلك السلام الذى هو امتياز كل المؤمنين الذين يستودعون ذواتهم وكل ظروف حياتهم لعناية الآب المبارك. «ومحبة» لجميع القديسين الذين أعطوا إيماناً من الله الآب والرب يسوع المسيح. هذا ما يجب أن نتمناه دائماً لجميع المؤمنين.

«النعمة مع جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح في عدم فساد. آمين» (ع ٢٤)

يختم الرسول بولس هذه الرسالة الغنية بالحقائق الإلهية الجوهرية بعد التحية الجميلة الطيبة أي «النعمة مع جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح». يا لسمو هذه النعمة! النعمة التي خلصتنا والتي تعلمنا كيف نعيش في هذا العالم الموضوع في الشرير. النعمة الغنية «التي نحن فيها مقيمون» حيث لا تستطيع أية قوة أن تخرجنا من دائرتها، والتي سيؤتى بها إلينا عند مجئ ربنا يسوع المسيح.

والرسول يضيف إلى قوله «النعمة مع جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح» هذه الكلمات الفاحصة لقلوبنا وهي قوله «في عدم فساد» أعني أن التمتع بالنعمة هو من نصيب كل المؤمنين الذين يحبون ربنا يسوع المسيح حباً لا فساد فيه، أو بعبارة أوضح أن الذين يحبون ربنا يسوع المسيح يظهرون هذه المحبة في الحياة النقية والعيشة التقوية وفي السلوك في القداسة العملية. إننا بهذه الكيفية، دون سواها، نستطيع أن نتمتع عملياً بهذه النعمة وبكل بركة روحية في السماويات في المسيح يسوع.

«آمين» ما أجمل أن تُختم هذه الرسالة بهذه الكلمة «آمين». لقد ختم الرسول تسبيحته المباركة بهذه الكلمة عينها (ص ٣: ٢١) وها هو يختم الرسالة كلها بنفس هذه الكلمة «آمين» وكل مؤمن حقيقي يشترك بكل قلبه مع الرسول في تسبيحته المشار إليها ويقبل بإيمان قلبي وبيقين كامل ما تضمنته رسالة «السماويات» هذه من حقائق إلهية ثمينة لا يستطيع إلا أن يضم صوته مع الرسول قائلاً «آمين».

***

أخيراً لا يسع كاتب هذه السطور إلا أن يسكب قلبه بالشكر الكثير والحمد القلبي للرب الذى أعانه فى كتابة هذه التأملات البسيطة واضعاً إياها بين يديه تعالى ضارعاً إليه بأن يستخدمها لمجد اسمه المعبود المبارك وأن يجعلها سبب بركة وبنيان للكاتب ولكل القراء الأعزاء.

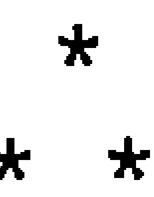
***

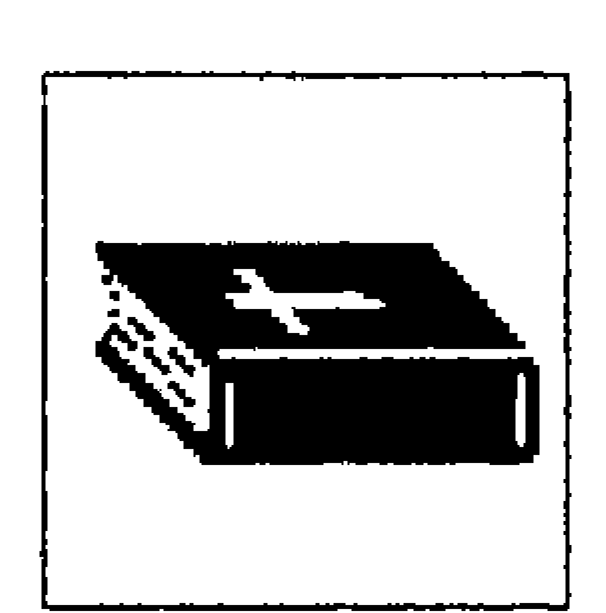
ولا يفوت الكاتب أن يشير إلى ما لقيه من معونة فى كتابة هذه الصحائف بواسطة بعض المراجع وأهمها :

أولاً : محاضرات المرحوم وليم كلي فى هذه الرسالة باللغة الانجليزية.

ثانياً : كتاب «فى السماويات» بقلم المرحوم الدكتور أيرنسايد باللغة الإنجليزية.

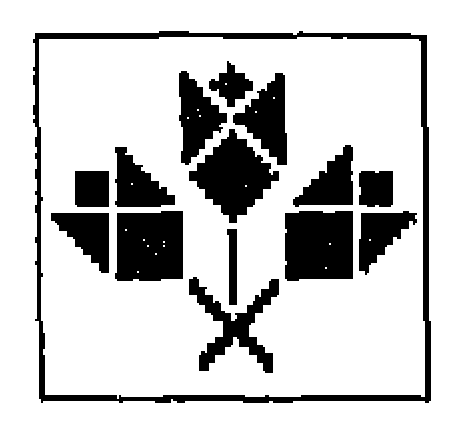
ثالثاً : مجلة «رجاؤنا» «Our Hope» باللغة الإنجليزية التى كانت تصدر قبلاً فى أمريكا.





من أهم ما كتبه الراحل الكريم :

+ مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية [جزء أول عن أسفار العهد القديم، جزء ثان عن أسفار العهد الجديد].
+ خمائل الطيب [شرح نشيد الأنشاد ـ آية آية].
+ شرح رسالة يهوذا [آية آية].
+ الإخوة فى أوربا.
+ أقانيم اللاهوت الثلاثة ولاهوت الابن.



دراسة فى رسالة أفسس

هذا الكتاب هو واحد من الروائع التى أخرجها كاتبه. فيها يجول بنا بين جنبات رسالة السماويات بما حوت من كنوز ونفائس، فيمر بآية فآية ليلقى الضوء على عظمة وروعة ما لنا فى المسيح. كما يظهر من الجزء التعليمى منها. ثم يحرض القلب ليقودنا. من خلال الجزء الثانى. إلى كيف ينبغى أن نكون بإزاء مقامنا السماوى هذا.

